جـ ١



شعراء وأدباء العصر العبّاسي في سامراء

تأليف - عبد الرزاق البدري

مراجعة وتقديم - جمال عبد الرزاق البدري

دار القادسية

شعراء وادباء

العصر العباسيّ في سامراء

٢٢٢ ـ ٢٧٤ هـ

تأليف

عبدالرزاق البدري

مراجعة واشراف

جمال عبدالرزاق البدري

مقدمة :

هذا كتاب في الادب والشعر العربي في العصر **العباسي** في سامراء عاصمة الدولة العباسية خلال القرن الثالث الهجري . وهي مرحلة تشكل نقلة نوعية في التاريخ العربي الاسلامي تمتد بين ٢٣٢هـ ـ ٢٧٤هـ » .

لقد تم الترجمة في هذا الكتاب لسبعة عشر شاعرا واديبا عاشوا تلك الفترة في سر من رأى ، وتأثروا بتلك البيئة وبظروفها السياسية والاجتماعية والثقافية ..

ان مشروع هذا الكتاب قد تم منذ اكثر من عشرين سنة مضت .. واذا اكتفينا بنشر هذه المجموعة من الشعراء والادباء فأن المرجو ان تتاح الفرصة لاكمال المشروع بجزء آخر ، حيث هناك اكثر من خمسين شاعرا واديبا عاشوا في مدينة سامراء ابان تلك الفترة التاريخية لعلنا بعون الله ان نكمل هذا المشروع الضخم في قابلات الايام لتقديم خدمة جليلة لمحبي ودارسي الشعر والادب العربي بالشكل المرضي ..

ان هذه المرحلة المهمة من الادب العربي لم تنل الا القسط اليسير من عناية الباحثين والدارسين وانا لنتمنى ان تكون دراستنا هذه بداية لدراسات وبحوث اوسع على هذا الطريق ..

واما المترجم لهم في هذا الجزء فهم :

١ ـ ابراهيم بن المدبر

٢ ـ ابراهيم بن العباس الصولي

٣ ـ أحمد البلاذري

٤ ـ ابراهيم بن المهدي

٥ ـ أحمد بن عبيد النحوي

٦ ـ ابن حماد

٧ ـ الحسن بن عليل

٨ ـ أحمد بن ابراهيم بن حمدون

٩ ـ ابن ابي فنن

١٠ ـ أحمد بن محمد السهيلي

١١ ـ أبو العيناء

١٢ ـ محمد بن زياد الاعرابي

١٣ ـ أحمد بن جعفر الملقب بجحظه

١٤ ـ الحسين بن الضحاك ـ الخليع ـ

١٥ ـ أبو تمام الطائي

١٦ ـ البحتري

١٧ ـ جعفر بن قدامة

واخيرا ارجو ان ينال هذا الجهد ـ لوالدي العزيز ـ « رحمه الله » ما يستحقه من اهتمام على طريق خدمة العلم والادب والتاريخ ...

ومن الله تعالى النجاح والتوفيق ،،،

جمال عبدالرزاق شاكر

البدري

بغداد في ١٩٨٥/١/٢

ابراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر
الملقب أبو اسحاق الكاتب

انه علم من اعلام الشعراء والادباء والكتـاب ذو الجـاه العريض والمتصرف في كبار الاعمال ومذكور الولايات • كانت له التقدمة السامقه لدى الخلفاء العباسيين •

وعنه يحدثنا معجم الادباء فيقول (الاديب الفاضل • الشاعر الجواد المترسل صاحب النظم الرائق • والنثر الفائق • تولى الولايات الجليله تم وزر للمعتمد على الله لما خرج من (سر من رأى) يريد مصر • ومات في سنة تسع وسبعين ومائتين وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد •

وأصله من (ستمسيان) وكان يدعى انـه من ضبه واخوه أحمد من جلة الكتاب وافاضلهم وكرامهم • وحسدته الكتاب على منزلته من السلطان فاغروه به حتى اخرجه الى دمشق متوليا عليها وناظرا في تحصيل اموالهـا وقبله ابن طولون في أمر قد ذكرته في كتابي التاريخ ــ ويقول ابن النديم في الفهرست (أحمد ومحمد وابراهيم وجميعهم شاعر مترسـل بليغ ولاحمد كتاب المجالسـه والمذاكـرة • وقد جـاء في حاشـية معجم الادباء [1] ، بعض من ترجمته مقتطفة من كتاب الاغاني وهذا نصها :

(هو أبو اسحاق ابراهيم بن المدبر • شاعر • كاتب • متقدم • من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال ومذكور الولايات • وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة كان يهواها وتهواه ولهما في ذلك اخبار كثيره • أخبرني أحمد بن جعفر جحظه قال : حدثني ابراهيم بن المدبر قال : مرض المتوكل مرضه خيف عليه منها ثم عوفي واذن للناس في الوصـول اليه فدخلوا على طبقاتهم كافه ودخلت معهم فلما رآني استدناني حتى قمت وراء الفتح ونظر الي مستنطقا فانشدته :

---

(1) معجم الادباء ج : ١ ص ٢٢٦ ط الاخيرة وزارة المعارف العمومية م عيسى البابي الفهرست ص ١٧٨ المطبعة الرحمانية حاشية المعجم ص ٢٢٦ و٢٢٧.

يوم اتانا بالســــــرور فالحمد لله الكبـــــير

اخلصت فيه شـــــكره ووفيت فيه بالنــــــذور

لما اعتللت تصـــــدعت شعب القلوب من الصـــدور

من بين ملتهب الفــــؤا د وبين مكتئب الضمـــير

يا عدتي للدين والدنيــــا وللخطـــب الخطـــير

كانت جفوني تــــرة الآ ماق بالدمع الغــــزير

لو لم امت جزعا لعمــــر ك أنني عين الصـــبور

يومى هنالك كالســـنين وساعتي مثل الشـــهور

يا جعفر المتوكل العـــالي على البدر المنـــير

اليوم عاد الدين غـــض العود ذا ورق نضــــير

واليوم اصبحت الخلافـــة وهي ارسى من ثبـــير

قد حالفتك وعاقدتــــك على مطاولة الدهـــور

يا رحمة للعالمـــــين ويا ضياء المســــتنير

يا حجــــة الله التي ظهرت له بهدى ونـــور

لله انت فما نشـــــا هد منك من كرم وخـــير

حتى تقول ومن بقـــــر بك من ولى أو نصــير

البدر ينطق بينـــــنا ام جعفر فوق الســـرير

فاذا تواترت العطـــــا ثم كنت منقطع النظــير

اذا تعذرت العطـــــا يا كنت فياض البحـــور

تمضي الصواب بـــلا وز ير أو ظهيرا أو مشـــير

فقال المتوكل للفتح : ان ابراهيم لينطق عن نية خالصة وود محض ! قضينا حقه فتقدم بان يحمل اليه الساعه خمسون الف درهم وتقدم الى بيدالله بن يحي بأن يوليه عملا سريا ينتفع به ..

ونعود ثانية الى ركب معجم البلدان (٢) ونتصت اليه لنسمعه بماذا يحدثنا قال : وابراهيم بن المدبر هو القائل في ابراهيم بن العباس الصولي يهجوه :

عز الطويل عن الازمه لا رده ربي بذمه
ان كان طال فانه من اقصر الثقلين همه
هب كنت صولا نفسه من كان صول ناك امه

ومن شعره ايضا :

يا كاشف الكرب بعد شدته ومنزل الغيث بعد ما قنطوا
لا تبل قلبي بشحط بينهم فالموت دان اذا هم شحطوا

هذا وكما انه قلب في قيمة ابراهيم ابن العباس الصولي وتعرض به على اقبح صوره يمجها الذوق السليم فأن هنالك من الشعراء من اسمعه الجواب وتغلغل في ذاتيته يفد منها كما يفد الحجار الصخر غير مبال ومعجم الادباء (٣) هو الذي يفض علينا ذلك حيث يقول : وقال مخلد بن علي الشامي الحوراني يهجو ابن المدبر :

على ابوابه من كل وجه قصدت له اخو مر بن أد

يعني ضبه بن أد يعي ابوابه مضببه باللؤم أو محكمه عن الخير وكان ابن المدبر ينسب الى ضبه :

اخو لخم اعارك منه ثوبا هنيئا بالقميص لك الاجد

واخو لخم يريد جذاما :

---

(٢) ص ٢٢٨ ج : ١

(٣) نفس المصدر

ابوك اراد امك حين زفـت — فلم توجد لامك بنت سـعد

بنت سعد يريد عذره بن سعد بن هذيم القبيلة المعروفة هذا والمراد بالقدرة هنا : اصل البكاره ــ لم يجد لها بكاره ..

وز بد في الهجاء بغـير دال — احب اليك من عسل بزبـد

رايتك لا تحب الـسـود الا — اذا ما كان من عصب وجلـد

اراني الله عرك في الجعـبي — وعينك عين بشار بن بـرد

وان معاني هذه الابيات واضحه لا تحتاج الى شرح وتعليق . فانهـا الادب المكشوف في الهجاء المقذع .

ولو قارنا بين ابياته في الهجاء لابراهيم بن العباس الشـاعر الاديب المعروف الذي سأحدثك عنه وبين ما هجاه مخلد بن علي الشامي لرأينا اقذاعا وقرضا في العرض اكثر بكثير مما قاله هو .

ابراهيم بن المدبر وضيفه الشاعر :

قال العطوى الشاعر : أتيت ابراهيم بن المدبر . فاستأذنت عليه فلم يأذن لي حاجبه فاخذت ورقة وكتبت فيها :

أتيتك مشتاقا فلم أر جالسـا — ولا ناظرا الا بوجه قطـوب

كأني غريم مقتض أو كأنـني — نهوض حبيب أو حضـور رقيب

فسألت الحاجب حتى اوصلها اليه : فلما قرأها قال : ويحك ، ادخل علي هذا الرجل ، فدخلت فاكرمني وقض حوائجي(٤)

وقبل ان ننتقل الى موضوع آخر نشير اشارة خفيفة ونقارن مقارنة بسيطة بين هذه الحادثه وبين ما هجى بـه . والذي يلـوح لى ان ابراهيم ابن المدبر كان كثير الرفد والوفد وان هذه الكثرة تكاد تشغله من ناحيـة وتحمله الديون واتراب ذات اليد من جهـة ثانية . فكان يضـع الحجاب

---

(٤) معجم الادباء ج : ١ ص ٢٢٩

ليتفرغ لاعماله ولكن الجشع الذي كان يسيطر على نفوس الشعراء واستجدائهم الاموال بالحاف حدا بالمخلد الشامي ان يتحامل عليه هذا التحامل الذي لا يقره من له ادنى شرف • واني لا اريد ان ادافع عنه • فأن الدفاع لا يجدي شيئا بعد هذه الوخزات المؤلمه وتسجيلها في كتب الادب ولكن الرجل لم يكن ممن يستحق هذه الالفاظ الشائنة لان معجم الادباء قد وصفه وصفا شريفا فقال الاديب الفاضل الشاعر الجواد تولى الولايات الجليله ووزر المعتمد •

كما ان صاحب الاغاني قال عنه انه من وجوه كتاب العراق ومتقدميهم وذوي الجاه والمتصرفين في كبار الاعمال •

ابراهيم بن المدبر وعريب :

لا اريد في هذه المقدمة ان اشرح شرحا مستفيضا العصر الذي عاش فيه ابراهيم بن المدبر • ولكني اطوف حول السبب الذي حدا بهذا الشاعر المترسل ذي الجاه العريض المتصرف في كبار الاعمال في آن يتعلق قلبه بسغنية• بينما كان في ميسوره ان يجعلها تحت تصرفه بما يبذله لها من الاموال الطائله التي كانت بميسوره ••

ولكن لما كان الانسان بطبيعته ميالا الى النشوة والفرح لاسيما اذا كانت اسباب العيش الرغيد متوفره وهذه النشوه لا تتم الا بالغناء نرى ابراهيم لما حاز هذه الشروط تعلق قلبه بعريب المغنيه • ولهذا يقولون (ان في الغناء خفه ونشوه تصل الى الاسماع فنرق لها ونطرب وفي الغزل حياة حلوة جميلة تعيش فيها قلوب المحبين وهي غرده مبتهجه ومن ذا الذي لا تروقه تلك الحياة وفي الغزل ذكريات يصف فيها الشعراء حال المحبين وقد يجد الناس فيها صورا من حياتهم التي نعموا منها بظلال الحب فهم يطربون ويسعدون لان هذه الحال توافق حالتهم ولان هذا الشعور صورة من شعورهم ••

وان للسحب طموحا يدفعه هذا الطموح الى الكد والجد والعمل حتى

يصل في حبه الى تحقيق ما يريد • ولهذا نرى بعض المنصفين يقولون في الحب لذه ومتعه • تدفع بالاحباب ان يضحوا بالغالي والرخيص ••

في الحب صفاء ووفاء يدفع بالمحبين ان يضحوا بما ملكت ايديهم ولو كانت ارواحهم وهي اغلى ما في الوجود ••

في الحب اعمال تتطلب الجهاد العنيف والعزم القوي والتضحيه البالغه والشجاعة النادرة •

وفي حياة الحب سمو وفن وجمال ولا يحيا هذه الحياة ولا ينعم بظلالها الوارفه الكريمة الا الاذكياء النابهون •

الحب طموح والطموح كما يقول علماء اللغة هو الرغبة في الوصول الى الامل البعيد وفي سبيل تحقيق هذا الامل لابد ان يركب صاحبه الاخطار والاهوال والرجل الطموح تهون امامه عظائم الامور • وابراهيم بن المدبر لما كان شاعرا مطبوعا رفيقا صافي النفس لابد له ان يتخذ هدفا يطمح اليه ليروض نفسه على تحمل المصاعب والمشاق لاسيما وانه قد دخل في تقلد ولايات الدولة • لذا نراه يتخذ عريبا حبيبته يتغنى فيها في شعره ويشحذ فكره فيها • يتحمل المصاعب ويسهر الليالي في سبيلها وما ساقه ذلك الا الطموح والطموح وحده ••

حفلة ختان :

قبل ان نورد علاقة مترجمنا بهذه الحفله العظيمة يروق لنا ان نصف هذه الحفله وصفا دقيقا وان خير من يحدثنا عنها هو كتاب الديارات للشابشتي(٥) قال دير السوسي : وهذا الدير لطيف على شاطيء دجلة بقادسية سر من رأى وبين القادسية وسر من رأى اربعة فراسخ والمطيره بينهما •

والقادسية من احسن المواضع وانزهها وهي من معادن الشراب ومناخات

---

(٥) « الديارات » ص ٩٦ تحقيق الاستاذ كوركيس عواد ــ مدير مكتبة الاثار العامة ببغداد سابقا ــ المطبوع سنة ١٩٥١ بمساعدة المجمع العلمي العراقي م : المعارف بغداد

المنطرفين جامعة لما يطلب اهل البطاله والخسارة •

وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف (ببركوار) ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعتز ، وجعل اعذاره فيه ، وكان من احسن ابنية المتوكل واجلها • وبلغت النفقه عليه عشرين الف الف درهم •

قال : ولما صح عزمه على اعذار ابي عبدالله المعتز ، امر الفتح بن خاقان بالتأهب له وان يلتمس في خزائن البسط بساطا للايوان في عرضه وطوله ، وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا • فلم يوجد الا فيما قبض عن بنى اميه ، فانه وجد في امتعة هشام بن عبيد الملك على طول الديوان وعرضه • وكان بساطا ابريسميا غرز مذهب مغروز مبطن ، فلما رآه المتوكل اعجب به واراد ان يعرف قيمته ، فجمع عليه التجار ، فذكر انه قوم على أوسط القيم عشرة الاف دينار ، فبسط في الايوان ، وبسط للخليفة في صدر الايوان سرير ، ومد بين يديه اربعة الاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر والند والكافور المعمول على مثل الصور ، منها ما هو مرصع بالجوهر مفردا ومنه ما عليه ذهب وجوهره وجعلت بساطا ممدودا ، وتغذى المتوكل والناس ، وجلس على السرير ، واحضر الامراء والقواد والندماء واصحاب المراتب فأجلسوا على مراتبهم ، وجعل بين صوانيهم والسماط فرجة • وجاء الفراشون بزبل [٦] قد غشبب بأدم مملؤه دنانير ودراهم نصفين ، فصبت في تلك الفرج حتى ارتفعت واقام الغلمان فوقها ، وامروا الناس عن الخليفة بالشرب ، وان ينتقل كل من يشرب بثلاث حفنات ما حملت يداه من ذلك المال • فكان اذا اثقل الواحد منهم ما اجتمع في كمه اخرجه الى غلمانه فدفعه اليهم وعاد الى مجلسه • وكلما فرغ موضع أتى الفراشون بما يملأونه به حتى يعود الى حاله ، وخلع على سائر من حضر

---

(٦) الزبل ، واحدها : الزبيل ، القفة الصغيرة او الوعاء ا هـ كوركيس عواد ـ حاشية الديارات رقم (٤) ص ٩٧

ثلاث خلع كل واحد واقاموا الى أن صـلـيت العصر والمغرب وحملـوا عند انصرافهم على الافراس والشهاري • واعتق المتوكل عن المعتز الف عبد ، وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة اثواب • وكان في صحن الدار بين يدى الايوان اربعمائة بليـه عليهن انواع الثيـاب وبين يديهن الف نبيجة خيزران فيها انواع الفواكه من الاترج والنازبح على قلتـه في ذلك الوقت والتفاح الشامي والليمون وخمسة الاف باقه نرجس وعشرة الاف باقـه بنفسج • وتقدم الى الفتح بأن نثر على البليات وخدم الدار والحاشية ما كان اعده لهم وهو عشرون الف الف درهم فلم يقدم احد على التقاط شيء فأخذ الفتح درهما ، فأكبت الجماعة على المال فنهب • وكانت قبيحه قد تقدمت بان تضرب دراهم عليها (بركة من الله ، لاعداء ابي عبدالله المعتز بالله) فضرب لها الف درهم نثرت على المزين ومن في حيزه من الغلمان والشاكريه وقهارمة الدار والخدم الخاصة من البيضان والسودان •

وكان ممن حضـر المجلس ذلك اليـوم محمد بن المنتصر وابو احمد وابو سليمان ابنا الرشيد واحمد والعباس ابنا المعتصم وموسى بن المأمون ، وابنا حمدون النديم واحمد بن ابي رؤيم والحسين بن الضـحاك وعلي بن الجهم ، وعلي بن يحي المنجم ، واخوه احمد •

ومن المغنين : عمرو بن بانه ، احمد بن ابي العلاء ، ابن الحفصي ، ابن المكي ، سلمك الرازي ، عثعث ، سليمان الطبال ، المسدود ، ابو حشيشه ، ابن القصار ، صالح الدفاف ، زنام الزامر ، تفاح الزامر •

ومن المغنيات : عريب ، بدعه جاريتهـا ، سراب ، شاريه وجواريها ، ندمان ، منعم ، نجله ، تركيه ، فريده ، عرفان •

قال ابراهيم بن المدبر : لما ظهر المعتز ، اجتمع مشايخ الكتاب بين يدى المتوكل ، وكان فيهم يحي بن خاقان ، وابنه عبيدالله اذ ذاك الوزير ، وهـو

واقف موقف الخدم بقباء ومنطقه ، وكان يحي لا يشرب النبيذ . فقال المتوكل لعبيد الله : خذ قدحا من تلك الاقداح واصبب فيه نبيذا وصبر على كتفك منديلا وامض الى ابيك يحي فضعه في كفه ، قال : ففعل ، فرفع يحي رأسه الى ابنه ، فقال المتوكل ، يا يحي لا ترده ، قال : لا يا أمير المؤمنين ، ثم شربه وقال : قد جلت نعمتك عندنا يا أمير المؤمنين . فهنأك الله النعمه ولا سلبنا ما انعم به علينا منك . فقال : يا يحي ، انما اردت ان يخدمك وزير بين يدى خليفه في طهور ولي عهد .

قال ابراهيم بن العباس : سألت ابا حرمله المزين في هذا اليوم ، فقلت : كم حصل لك الى ان وضع الطعام ؟ فقال : نيف وثمانون الف درهم، سوى الصياغات والخواتيم والجواهر والعدات .

قال : واقام المتوكل ببركوار ثلاثة ايام . ثم أصعد الى قصره الجعفري وتقدم باحضار ابراهيم ابن العباس وامره ان يعمل له عملا بما انفق في هذا الاعذار ويعرضه عليه ، ففعل ذلك . فاشتمل العمل على ستة وثمانين الف الف درهم .

من هي عريب ؟

أختلف الرواة فيها ويحدثنا كتاب الاغاني (٧) عن هذا الاختلاف فمرة يقول : كانت عريب لعبدالله بن اسماعيل صاحب مراكب الرشيد وهو الذي رباها وأدبها وعلمها الغناء ....

وقال مرة ثانية : انها بنت جعفر بن يحي وان البرامكه لما انتهبوا سرقت وهى صغيره وان أم عريب كانت تسمى فاطمه وكانت قينة لام عبدالله بن يحي بن خالد وكانت صبيه نظيفه فرآها جعفر بن يحي فهويها وسأل أم عبدالله ان تزوجه اياها ففعلت وبلغ الخبر يحي بن خالد فأنكره وقال له اتتزوج من لا يعرف لها أم ولا أب ؟ أشتر مكانها مائة جارية واخرجها

(٧) الاغاني جـ : ١٨ و١٩ ص ١٧٥ و١١٦ السادس

فأخرجها واسكنها دارا في ناحية باب الانبار سرا من أبيه ووكل بها من يحفظها وكان يتردد اليها فولدت عربيا في سنة احدى وثمانين الى ان ماتت ستا وتسعين سنه ، وماتت أم عريب في حياة جعفر فدفعها الى امرأة نصرانيه وجعلها داية لها فلما حدثت الحادثه بالبرامكه باعتها من سبنس فباعها في المراكبي .

ويقصد هذا الرأي ابن المعتز كما اخبره يوسف بن يعقوب انه سمع الفضل بن مروان يقول كنت اذا نظرت الى قدمي عريب شبهتها بقدمي جعفر بن يحي ، وقال : سمعت من يحكي ان بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتاب قال : فما يمنعها من ذلك وهي بنت جعفر بن يحي . ويقصد قوله بدليل آخر فيقول : أخبرني جحظه قال : دخلت على عريب مع شروين المغني وابي العبين بن حمدون وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقته فأفكرتني وسألت عني فأخبرها شروين وقال : هذا فتى من اهلك هذا ابن جعفر بن موسى بن يحي بن خالد وهو يغني بالطنبور فأدنتني وقربت مجلسي ودعت بطنبور وأمرتني بأن اغني فغنيت اصواتا فقالت : قد أحسنت يا بني ولتكونن مغنيا ولكن اذا حضرت بين هذين الاسدين ضعت أنت وطنبورك بين عوديهما وأمرت لي بخمسين دينارا .

ويذكر رواة الادب انها عاشت مع الامين والمأمون ابنى هارون الرشيد وتنقلت الى كثير من الشعراء وصاحبها من صاحبها لجمالها وحسن غنائها وكتاب الاغاني حافل بهذا الموضوع نضرب عنه صفحا .

وكان المعتصم قد اشتراها واعتقها فهى مولاته ولما انتقل المعتصم بالخلافه الى سامراء انتقلت مع من انتقل من الاهاين .

وقد وصفها صاحب الاغاني بقوله : كانت عريب مغنية محسنه وشاعره صالحة الشعر وكانت مليحه الخط والمذهب في الكلام ونهاية في الحسن

والجمال والظرف وحسن الصوره وجودة الضرب واتقان الصنعه والمعرفة بالنغم والاوتار والرواية للشعر والادب لم يتعلق بها أحد من نظراتها ولارؤي في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء وصفناها ما ليس لهن مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء ومن نشأ في قصور الخلافة وغذى برقيق العيش الذي لا يدانيه عيش الحجاز والنشىء بين العامة والعرب الجفاة ومن غلظ طبعه وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته الى غيره .

ضبط الشـهادة

اخبرني محمد بن خلف وكيع قال : قال لي ابي : ما رأيت أمرأة اغرب من عريب ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهـا ولا أخف روحـا ولا أحسن خطابا ولا أسرع جوابا ولا العب بالشطرنج والنرد ولا أجمع لخصلة حسنه لم أر مثلها في أمرأة غيرها .

الفن يفقد الاحساس بالالم

قال ابن المعتز : حدثني الاسـدي ، قال : حدثني صـالح بن علي بن الرشيد المعروف أبن عقرانه ، قال : تماري خالي ابو علي مع المأمون في صوت، فقال المأمون : أين عريب ؟ فجاءت وهى محمومه فسألها عن الصوت فقالت فيه بعلمها ، فقال لها : غنيه فولت لتجيء بعود ، فقال : غنيه بغير عود فاعتمدت على الحائط للحمى وغنت فأقبلت عقرب فرأيتها قد لسعت مرتين او ثلاثا فما نحت يدها حتى فرغت من الصوت ثم سقطت وقد غشى عليها .

وفاء بالوعد

قال الفضل بن العباس بن المأمون : زارتني عريب يوما معها عدة من جواريها فوافتنا ونحن على شرابنا فتمادينا ساعة وسألتها ان تقيم عندي فأبت وقالت : قد دعاني جماعة من اخواني من أهل الادب والظرف وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد فيهم ابراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحي بن عيسى من

مناره وقد عزمت على المسير اليهم ، فحلفت عليها فأقامت عندنا ودعت بدواة وقرطاس فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم وكتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها ، فأخذ ابراهيم بن المدبر الرقعه وكتب تحت اردت ، ليت ، وتحت لولا ، ماذا ، وتحت لعلي ، أرجو ، ووجهوا بالرقعه فضعفت ونعرت وشربت رطلا وقالت لنا : أأثرت هؤلاء واقعد عندكم اذا تركني الله من يديه ولكني اخلف عندكم من جواري من يكفيكم واقوم اليهم ففعلت ذلك وخلفت عندنا بعض جواريها واخذت معها بعضهن وانصرفت .

تشوق عريب الى ابن المدبر

حدث جعفر بن مقداد قال كتبت عريبة من سر من رأى الى ابراهيم بن المدبر كتابا تتشوقه وتخبره باشيحاتها له واهتمامها بأمره وأنها قد سألت الخليفة في أمره فوعدها بما تحب فأجابها عن كتابها وكتب في آخر الكتاب :

لعمرك ما صوت بديع لمعبد ... بأحسن عندي من كتاب عريب

تأملت في أثنائه خط كاتب ... ورقة مشتاق ولفظ خطيب

وراجعني من وصلها ما استرقني ... وزهدني في وصل كل حبيب

فصرت لها عبدا مقرا يملكها ... ومستمسكا من ودها بنصيب

ابراهيم بن العباس الصولي

أهم المراجع الادبية والتاريخية تحفل بترجمته فهو شاعر مطبوع عاش في سامراء بين قصور الخلفاء ومات في سامراء ودفن في سامراء ترجم له في سلم الوصول(١) بما يأتي :

(ابراهيم بن العباس بن صول تكين الصولي الشاعر المتوفى بسر من رأى في شعبان سنة ثلاث واربعين ومائتين ، كان شاعرا ماهرا له ديوان صغير كله منتخب ، ونثره بديع ، واكثر شعره من ثلاثة ابيات الى العشرة وكان صول مالك جرجان تركيا تمجس ، وجده محمد احد أجلة الدعاة قتله عبدالله بن علي عم العباس ، واتصل الصولي واخوه عبد الله بالوزير الفضل ، ثم تنقل في الاعمال الى ان مات ، ذكره بن خلكان ..

اما ابن خلكان فقد ترجم له ترجمة طويلة نقتطف منها ما يأتي(٢) :

كان احد الشعراء المجيدين ، وله ديوان شعر كله نخب ، وهو صغير ، وكان يقول ما اتكلت في مكاتبتي قط الا على ما يجلبه خاطري ويجيش به صدري ، الا قولي « وصار ما بحرزهم يبرزهم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم » وقولي في رسالة اخرى « فانزلوه من معقل الى عقال وبدلوه آجالا من آمال » فأني المت بقولي اجالا من امال بقول مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني وهو :

---

(١) سلم الوصول ص ٢١ .
(٢) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٢٥ ط : ١ م : السعادة .

موف على مهج في يوم ذي رهـج كأنه اجل يسعى الى أمـــل

وفي المعقل والعقال بقول ابي تمام :

فان باشر الاصحار فالبيض والقنــا

قراه واحواض المنــايا مناهلـــه

وان بين حيطانا عليه فانمـــا اولئك عقالاته لا معاقلـــه

والا فاعلمه بانك ســـاخط عليه فان الخوف لاشك قاتلـــه

وهو ابن اخت العباس بن الاحنف الحنفي الشاعر المشهور ونسبته الى جده صول المذكور ، وكان احد ملوك جرجان ، واسلم على يد يزيد بن المهلب بن ابي صفره ، وقال الحافظ ابو القاسم حمزه بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان : الصولي جرجاني الاصل ، وصول من بعض ضياع جرجان ويقال لها (جول) وهو عم والد ابي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي صاحب كتاب « الوزراء » وغيره من المصنفات فانهما يجتمعان في العباس المذكور .

وقد ذكره ابو عبد الله بن داود ابن الجراح في كتاب « الورقة » فقال : ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، بغدادي في اصله من خراسان ، يكن ابا اسحاق ، اشعر نظرائه الكتاب وارقهم لسانا واشعاره قصار ثلاثة ابيات ونحوها الى العشرة ، وهو انبت الناس للزمان واهله غير مدافع ، واصله تركي ، وكان صول وفيروز اخوين ملكا جرجان ، تركيان ، تمجسا وصارا اشباه الفرس ، فلما حضر يزيد بن المهلب بن ابي صفره جرجان امنهما فلم يزل صول معه ، واسلم على يده حتى قتل معه يوم العقر (٣) .

---

(٣) العقر ـ بفتح العين وسكون القاف ـ اسم لعدة مواضع ، منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، وفي الموضع قتل يزيد بن المهلب بن ابي صفره في

وقد ترجم له ابن النديم في الفهرست (٤) فقال : ابو اسحاق بن العباس بن محمد بن صول الكاتب احد البلغاء والشعراء الفحصاء وكان اليه ديوان الرسائل في مدة جماعة من الخلفاء وكان ظريفا نبيلا . وله من الكتب كتاب رسائل كتاب الدولة كتاب الطبيخ كتاب العطر . وقد افاض معجم الادباء (٥) في ترجمته افاضة واسعة ولما كانت هذه الترجمة قد اشبهت التراجم التي قدمتها غير ان فيها زيادة نقتطف منها ما يأتي :

هو ابراهيم بن العباس بن محمد بن الصول ، مولي يزيد بن المهلب كنيته ابو اسحاق مات في شعبان سنة ثلاث واربعين ومائتين بسامراء وهو يتولى ديوان النفقات والضياع ، مولده سنة ست وسبعين ومائه وقبل سنة سبع وستين .

وذكر الصولي ان صولا جده شهد الحرب مع يزيد بن المهلب وان يزيد وجد مقتولا بلا طعنة ولا ضربه ، انسدت اذناه ومنخراه وا[illegible] بغبار العسكر فمات فلا يعرف مثله قتيل غبار قال : ومعه قتل صول و[illegible] من اصحابه وغلمانه .

وكان احمد بن يحي ثعلب يقول : ابراهيم بن العباس اشعر [illegible] وما روى شعر كاتب غيره وكان يستجيد قوله :

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا	وبفتر عنها ارضها وسماؤها
فمن دونها ان تستباح دماؤنا	ومن دوننا ان نستذم دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مرامها	وايسر خطب يوم حق فناؤها

عام اثنين ومائه من الهجرة وكان دعا الى نفسه وخلع طاعة بني مروان واتبعه اهل البصرة والاهواز وفارس فندب له يزيد بن عبد الملك بن مروان اخاه مسلمه بن عبد الملك فوافقة بالعقر من ارض بابل فقتل يزيد فيه . ا هـ حاشية وفيات الاعيان .

(٤) الفهرست ص ١٧٦ .

(٥) معجم الادباء ص ١٦٤ ج : ١ .

ويقول : والله لو ان هذا لبعض الاوائل لاستجيد له(٦) •

شهادة واقعية :

من باب تحصيل الحاصل اذا قلنا ان الشعراء يعتزون بانفسهم وان كل واحد منهم يرى شاعريته هي ذات القمه والحبك والابداع والتصوير • غير انهم عندما يقفون امام شاعرية الصولي تفيض على السنهم الشهادة التي تحطم هذا الاعتزاز وهذه الشهادة هي : كما قالها ابو تمام وذكرها في الفهرست : « لولا ان همة ابراهيم سمت به الى خدمة السلاطين لما ترك لشاعر خبزا يعني لجودة شعره » (٧) •

اما شهادة دعبل كما وردت في معجم الادباء (٨) ، وان وردت بلفظ آخر الا انها لا تختلف في معناها عن قول ابي تمام ، قال وكان دعبل يقول لو تكسب ابراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء وتعجب من قوله :

ان امرا ضن بمعروفه   عنى لمبذول له عذري
ما انا بالراغب في خيره   ان كان لا يرغب في شكري

ويظهر ان هذه الشهادة خاصة بدعبل بن علي الخزاعي حيث ان صاحب وفيات الاعيان (٩) ، قد اوردها نصا كما ذكرها صاحب معجم الادباء واليك هذا النص قال : قال دعبل بن علي الخزاعي : لو تكسب ابراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء ••

اصدقاء ابراهيم الصولي ومنافسوه :

وكان ابراهيم صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيات ، فولي محمد الوزاره

---

(٦) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٩ و١٨٠ •
(٧) الفهرست ص ١٧٦ •
(٨) معجم الادباء ج : ١ ص ١٦٨ •
(٩) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٢٨ •

إبراهيم على الاحواز ، فقصده ووجه اليه بابي الجهم احمد بن سيف وامره بكشفه ، فتحامل عليه تحاملا شديدا ، فكتب ابراهيم الى محمد بن عبدالملك :

واني لارجو بعد هذا محمـــدا   لافضل ما يرجى أخ ووزيـــر

فأقام محمد على امره ، ولج ابو الجهم في التحامل عليه ، فكتب ابراهيم الى ابن الزيات ، يشكو اليه ابا الجهم ، ويقول : هو كافر لا يبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

تركت عبيد بني طاهـــــر   وقد ملأوا الارض عرضا وطـــولا

ودخل عليه احمد بن المدبر بعد خلاصه من النكبة مهنئا ، وكان استعان به في امر النكبه فقعد عنه وبلغه انه كان يســعى ويحرض عليه ابن الزيات فقال :

وكنت اخي بالدهر حتى اذا نبـــا   نبوت فلما عاد عدت مع الدهـــر
فلا يوم اقبالي عددتك طائـــــلا   ولا يوم ادباري عددتك من وتـــر
وما كنت الامثل احلام نائـــــم   كلا حالتيك من وفاء ومن عـــذر

وله ايضا فيه :

لو قيل لي خذ امانـــــا   لما اخذت امانـــــا
من اعظم الحدثـــــان   الا من الخـــــلان (١٠)

وحدث عن ميمون بن هارون عن ابيه قال : قلت لابراهيم بن العباس : ان فلانا يجب ان يكون لك وليا فقال لي : انا والله احب ان تكون الناس جميعا اخواني ولكن لا آخذ منهم الا من اطيق قضاء حقه والا استحالوا اعداء ، وما مثلهم الا كمثل النار قليلها مقنع وكثيرها محرق (١١) .

---

(١٠) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٤ ، ١٨٥ .
(١١) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٨ .

ولما انحرف محمد بن عبد الملك عن ابراهيم تحاماه الناس ان سموه وكان الحارث بن بشتخير الزريم المغن صديقا له مصافيا وهجره فيمن هجره من الاخوان فكتب اليه :

تغير لي فيمن تغير حـــارث ... وكم من أخ قد غيرته الحـــوادث
احارث ان شوركت فيك مظــالما ... غنينا وما بيني وبينك ثالـــث
واقبلت تسعى الى واحـــدى ... ضرارا كأن قتلت الرســـولا
فسوف ادين بترك الصـــلا ... ة واصطبح الخمر صرفا شـــمولا

فكان محمد لعصبيته على ابراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لابي الجهم وانما ابراهيم قاله ونسبه الى ابي الجهم (١٢) .

وسيأتي في بحث اشعاره ومكاتباته شيء مما دار بين ابراهيم الصـول ومحمد بن عبد الملك الزيات .

وهذا شخص ثان يسعى للايقاع به فقد حدثنا معجم الادبـاء (١٣) ، بذلك قال : ورفع احمد بن المدبر على بعض عمال ابراهيم ، فحضر ابراهيم دار المتوكل فرأى هلال الشهر على وجهه ، ودعا له وضحك ، وقال له : ان احمد بن المدبر رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه ، قال ابراهيم فضافت عليّ الحجه ، وخفت ان احقق قوله ان اعترفت ، ثم لا ارجع منه الى شيء فيعود على الغرم ، فعدلت عن الحجة الى الحيله ، فقلت : انا في هـذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك :

رد قولي وصدق الاقـــوالا ... واطاع الوشاة والعـــذالا
اتراه يكون شهر صـــدود ... وعلى وجهه رأيت الهـــلالا

فقال لا يكون ذلك ، والله لا يكون ذلك ابدا ، والتفت الى الوزير وقال له : كيف تقبل في المال قول صاحبه .

---

(١٢) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٠ ، ١٧١ .
(١٣) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٩ .

ندوة ادبية :

اجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات وابن برد الخباز . في مجلس عبيد الله بن سليمان ، فجعل هارون ينشد من شعر ابيه ومحاسنه ويفضله ويقدمه ، فقال له ابن برد الخباز : ان كان لابيك مثل قول ابراهيم بن العباس الصولي :

اسد ضار اذا هيجته وأب بر اذا ما قدرا
يعرف الا بعد ان اثرى ولا يعرف الادنى اذا ما افتقرا

أو مثل قوله :

ثلج المنون بيوتهم وترى لهم عن جار بيتهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشغارهم مستشرقين لراغب او راهب
حامين أو قادين حيث لقيتهم نهب العفاة ونزهة للراغب

فاذكره وفاخر به والا فأقلل ، فخجل هارون . وحدثني الصولي قال (١٤) .

حدثني يحيى ابن البحتري قال : رأيت ابي يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر ، فمر فيها قلة نوم العاشق وما قيل في ذلك ، فانشدوا انشاءات فيها ، فقال لهم أبي : فرغ من هذا كاتب العراق ابراهيم بن العباس (١٥) ، فقال :

احسب النوم حكاكا اذ رأى منك جفاكا
منى الصبر ومنك الهجر فابلغ بي مداكا
كذبت همة عين طمعت في ان تراكا

---

(١٤) معجم الادباء ج : ١ ص ١٩١ .

(١٥) يمكننا ان نجعل هذا القول شهادة اخرى الى شهادات الشعراء في شاعرية الصولي .

اي، ما حظ لعـــــــين ان تــرى مـــن قـــد رآكـــا
ليت حظي منك ان تعلـــم ما بي من هـــــواكا

ثم قال البحتري : تصرفت هذه الابيات في معان من الشعر احسن من جميعها، قال فكتبتها عنه اجمعها .

مداعباتــه :

مر ابراهيم برجل يستثقله فسلم عليه ، فقال لبعض من معه ان جرمي ، فقال له : ما كان عندي الا انه من اهل السواد فضحك ابراهيم وقال : انما اردت قول الشاعر :

يسائل عن اخي جـــــرم ثقيل والذي عقلــــــــه

ونظر ابراهيم الى الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له :

عيناك قد حكتا جيـــــتك كيف كنت وكيف كنـــــا
ولرب عين قدارتـــــــك بيت صاحبها عيانــــــا

مقتطفات من أشعاره ورسائله :

تحدثنا فيما تقدم نقلا عن وفيات الاعيان بان له ديوان شعر صغير ولا يمكن اثبات ذلك كله في هذا البحث بل يتطلب بحثا خاصا وجمعا وشرحا لديوانه كباقي الدواوين .

واني اختار لك اجودها واحسنها ومحدثنا عن ذلك كتابان قيمان وفيات الاعيان ومعجم الادباء لياقوت .

قال الاول(١٦) ، وقد وقفت على ديوانه ونقلت منها اشياء ، منها قوله ، وهذا البيتان يوجدان في ديوان مسلم بن الوليد الانصاري والله اعلم :

---

(١٦) معجم الادباء ج : ١ ص ٢٨ .

لا يمنعك خفض العيش في دعة   نزوع نفس الى اهل واوطـان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها   اهلا باهل وجيرانا بجيران

وله :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى   ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكان يظنها لا تفرج

ومن شعره :

اوني البرية طرا ان تواسيه   عند السرور الذي واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا   من كان يألفهم في المنزل الخشن

وله ايضا :

كنت السواد لمقلتي   فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت   فعليك كنت احاذر
ونئت ليلى ارسلت بشفاعة   الى فهلا نفس ليلى شفيعها
أأكرم من ليلى على فتبتغي   به الجاه ام كنت امرأ لا اطيعها

ومن مكاتباته التي وعدتك فيها فيما جرى بينه وبين ابن الزيات قول صاحب معجم الادباء (١٧) .

وكتب ابراهيم الى ابن الزيات يستعطفه كتبت وقد بلغت المدية المحز ، وعدت الايام على بعد عدواي بك عليها ، وكان اسوأ الظن واكثر خوفي ان تسكن في وقت حركتها ، وتكف عند اذاتها ، فصرت اضر على منها ، فكف الصديق عن نصرتي خوفا منك ، وبادر الى العدو تقربا اليك ، وكتب تحت ذلك :

---

(١٧) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٠ .

أخ بيني وبين الدهـــــــــر صاحب أنبا غلبـــــــــا
صديقي ما اســـــــتقام وان نبا دهر على نبـــــــــا
وثبت على الزمان بــــــــه مفاد به وقد وثبــــــــا
ولو عاد الزمان لنـــــــــا لعاد به أخا حدبـــــــــا

وكتب اليه : اما والله لو آمنت ودك لقلت ولكني اخاف منك عتبا لا تنصفني فيه ، واخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي ، وما قدر فهو كائن ، عن كل حادثه احدوثه ، وما استبدلت بحالة كنت فيهـا مقتطبـا حالا انا في مكروهها ، ولكنها اشد على من اني فزعت الى ناصري عند ظلم لحقني ، فوجدت من اظنني اخف نية في ظلمي منه ، واحمد الله كثيرا ، وكتب تحتها :

وكنت اخي باخاء الزمـــــــان فلما نبا صرت حربا عوانــــــا
وكنت اذم اليك الزمـــــــان فاصبحت فيك اذم الزمانــــــا
وكنت اعدك للنائبـــــــات فها انا اطلب منك الامانــــــا

قال : ثم وقف الواثق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه ، وامره ان يقبل منه ما رفعه ، ويرد الى الحضره مصـــونا ، فلما احس ابراهيم بذلك بســط لسانه ، في ابن الزيات وهجاه هجاء كثيرا منه :

قدرت فلم تضرر عدوا بقـــــدرة وسمت بها اخوانك الذل والرغما
وكنت مليا بالتي قد يعافهـــــــا من الناس من يأبى الدنيه والذما

وقال ايضا فيه :

ابا جعفر خف نبوة بعد رفعـــة وقصر قليلا عن مدى غلوائـــــكا
فان كنت قد اوتيت عزا ورفعـــة فان رجائي في غـد كرجـائكـا

وقال ايضا فيه :

دعوتك في بلوى المت حروفهـــــا فاوقدت من ضغن على سعيرهـــا
واني اذا ادعوك عند ملمـــــــة كداعية بين القبور نصـــــيرها

ومن مستحسن شعر ابراهيم بن العباس قوله :

حل النفاق لاهلـــــــه وعليك فالتمس الطريقـــــا
وارغب بنفسك أن تـــــرى الا عدوا أو صديقـــــا

ومنه :

حل مع الصديق علي ابن أمي واقضي للصديق على الشـــقيق
وافرق بين معروفي ومني واجمع بين مالي والحقـــوق
فان الفيتني حرا مطاعـــا فانك واجدي عبد الصـــديق

لله دره ما اصفى هذه الابيات وما اعذبها وما اوقع رنينها في القلوب الصافية انها دستور محكم الحلقات لو سلكه الناس لشاهدت الحياة كما قالوا تضحك لك • ولكن هيهات والنفوس لا تميل الا الى الغدر والغدر من شيم النفوس قد عدة البعض ، واستلذ في ترداده •

ومن احسن ما قيل في قصر الليل ، قول ابراهيم بن العباس (١٨) :

وليلة من الليالي الزهـــر قابلت فيها بدرها ببـــدر
لم تك غير شفق وفجـــر حتى تولت وهي بكر الدهـــور

ومن منثور كلامه (١٩) :

أتاني فلان في وقت استنفل فيه لحظة الفرح •

وحدث الصولي عن احمد بن يزيد المهلبي قال : حدثني ابي قال : لما قرأ ابراهيم بن العباس على المتوكل رسالته الى اهل حمص •

عجب المتوكل من حسن ذلك ، وأوماء الى عبيد الله اما تسمع ، فقال

---

(١٨) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٠ _ ١٨١

(١٩) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٦ _ ١٨٧ _ ١٨٨ _ ١٨٩ •

اما بعد فان امير المؤمنين يرى من حق الله عليه بما قوم به من اود ، وعدل به من زيغ ، ولم به من منتشر في استعمال ثلاث يقدم بعضهن امام بعض ، اولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف ، ثم التي لا يقع حسم الداء بغيرها :

انا ة فان لم تغن عقب بعدهـــا   وعبدا فان لم يغن غنت عزائمـــه

يا أمير المؤمنين : ان ابراهيم فضيلة خبأها الله لك واحتسبها على ايامك ، وهذا اول شعر نفذ في كتاب عن خلفاء بني العباس .

وحدثنا ابي ذكوان قال : لما توفى المعتصم بالله وقام ابنه الواثق خليفة بعده ، كتب اليه ابراهيم بن العباس يعزيه بأبيه ، ويهنئه بالخلافة : ان احق الناس بالشكر من جاء به عن الله ، واولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله ، وأمير المؤمنين ــ اعزه الله ــ واباؤه ــ نصرهم الله ــ وعزة رسوله المخصوصون بالصبر ، وفي كتاب الله اعظم الشفاء ، وفي رســوله احسن العزاء ، وقد كان من وفاة امير المؤمنين المعتصم باللة ، ومن مشيئته الله في ولاية امير المؤمنين الواثق بالله ، ما عفا على اوله آخره ، وتلافت بدأتــه عاقبته ، فحق الله في الاولى الصبر ، وفرضه في الثانية الشـــكر ، فان رأي امير المؤمنين ان يستنجز ثواب الله بصبره ، ويستدعى زيادته بشكره ، فقل ان شاء الله وحده .

وفاء بالفضل :

سبق وان تحدثنا فيما سبق ان ابراهيم بن العباس واخاه عبد الله قـــد اتصلا بالوزير الفضل بن سهل والان في هذه المقطوعة تظهر لنا انطبـاعات شاعرنا ابراهيم عن هذا الوزير الذي طابق اسمه مسماه وفيها الوفـــاء كل

الوفاء بمن انعم عليه ، ويحدثنا بهذا معجم الادباء (٢٠) :

قال ابراهيم في الفضل بن سهل :

يقضي الامور على بديهتــــــه	وتريه فكرته عواقبـــــــها
فيظل يصدرها ويوردهـــــا	فيعم حاضرها وغائبـــــها
واذا الّمت صعبة عظمـــــت	فيها الرزيئة كان صاحبـــــها
المستقل بها وقد رســـــبت	ولوث على الايام جانبـــــها
وعدلتها بالعدل فاعتدلــــت	ووسعت راغبها وراهبـــــها
واذا الحروب علت بعثت لهـــا	رأيا تفل به كتائبـــــــها
رأيـا اذا نبت الســـيوف مضي	عزم به فشفى مضاربـــــها
اجرى الى فئة بدولتـــــها	واقام في اخرى نوادبـــــها
واذا الخطوب تأثلت ورســـت	هدت فواضله نوائبـــــها
واذا جرت بضميره يـــــده	ابدت له الدنيا مناقبـــــها

ومن كلامه :

وقال ابو زيد الباخي وذكر ابراهيم بن العباس فقال : كان من ابلـغ الناس في الكتابه حتى صار كلامه مثلا • كتب بكتاب فتح عجيبا ، اثني على الله وحمده ، ثم قال في خلال ذلك : وقسم الله الفاسق اقساما ثلاثة ، روحا معجلة الى نار الله ، وجثة منصـوبة بفنـاء معقله وهامـة منقوله الى دار خلافته •

حسن تخلص :

وحدث الجهشـياري عن وهب بن سـليمان بن وهب قال : كنت اكتب لابراهيم بن العباس على ديوان الضياع • وكان رجلا بليغا ، ولم يكن لـه

(٢٠) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٢ — ١٨٣ .

في الخراج تقدم ، وكان بينه وبين احمد بن المدبر تباعد ، وكان احمد مقدما في الكتابه فقال احمد بن المدبر للمتوكل : قلدت ابراهيم بن العباس ديوان الضياع وهو متخلف ، آية من الآيات لا يحسن قليلا ولا كثيرا ، وطعن عليه طعنا قبيحا ، فقال المتوكل : في غد اجمع بينكما ، واتصل الخبر بابراهيم فايقن بحلول المكروه ، وعلم انه لا يفي باحمد بن المدبر في صناعته ، وغدا الى دار السلطان آيأمن نفسه ونعمته ، وحضر احمد فقال له المتوكل : قد حضر ابراهيم وحضرت ، ومن اجلكم قعدت ، فهات : اذكر ما كنت فيه امس ؛ فقال احمد أي شيء اذكر عنه ؟ فانه لا يعرف اسماء عماله في النواحي ، ولا يعلم ما في دساترهم من تقديراتهم وكيولهم ، وحمل من حمل منهم ، ومن لم يحمل ، ولا يعرف اسماء النواحي التي تقلدها ، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا كذا الفا ، واختلت ناحية كذا في العمارة واطال في ذكر هذه الامور ، فالتفت المتوكل الى ابراهيم فقال : ما سكوتك ! فان اذن امير المؤمنين انشدتهما ، فقال هات : فانشده البيتين المذكورين ، رد قولي وصدق الاقوالا ـ فقال المتوكل زه • زه أحسنت ايتوني بمن يعمل في هذا لحنا ، وهاتوا ما نأكل ، وجيئوا بالنساء ، ودعونا من فضول ابن المدبر ، واخلعوا على ابراهيم بن العباس ، فخلع عليه ، وانصرف الى منزله • قال الحسن فمكث يومه مغموما ، فقلت له : هذا يوم سرور وجزل بما جدد الله لك من الانتصار على خصمك ، فقال يا بني : الحق أولى بمثلي واشبه ، اني لم ادفع احمد بحجه ولا كذب في شيء مما ذكر ، ولا انا ممن يعشره في الخراج ، كما انه لا يعشرني في البلاغة وانما قلجت (بر طازة+) و (مخرقة) افلا ابكى ، فضلا عن ان اغتم من زمان يدفع ذلك كله (٢١) •

+ الرطازة : الخرافة والمخرقه : التمويه والكذب .

(٢١) معجم الادباء ج : ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

استعطاف :

ومن شعره كما ذكره معجم الادباء (٢٢) يستعطف فيه ابن الزيات قوله

فهبني مسيئا مثل ما قلت ظـــالما فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل
فان لم اكن بالعفو منك لسـوءما جنيت به اهلا فانت له اهــل

وقال الجهشياري : رأيت دفترا بخط ابراهيم بن العباس الصولي فيه شعره ، قال في حبس موسى بن عبد الملك اياه يصف غليظ ما هو فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد ، ويذكر موسى في شـعره ، وكان يكنى بأبي الحسن فكناه بأبي عمران ، فقال في قصيدة طويلة :

كم تـرى يبقى على ذا بــدني ؟ قد بلى من طول همي وفتـــني
انا في اسر واســـباب ردي وحديد فادح يكلمنـــي
وابو عمران موسى حنــــق حاقد يطلبني بالاحنــــي
ليس يشفيه سوى سفك دمــي أو يراني مدرجا في كفنــــي

سرعة طبع وجود قريحة :

وحدث الصولي عن العباس بن محمد قــال : انشـدني ابراهيم بن العباس ، في مجلسه في ديوان الضياع (٢٣) .

ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقــال ونكت بقلمه ثم قال :

ولرب نازلة يضيق بها الفتـــى ذرعا وعند الله منها المخـــرج
كملت فلما استحكمت حلقاتهــا فرجت وكنت اظنها لا تفـــرج

قال : فعجبنا من سرعة طبعه وجودة قريحته .

---

(٢٢) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٦ .
(٢٣) نفس المصدر والجزء والصحيفة

المال فرع والقلم اصل :

وقال ابو الغيث : كنت عند ابراهيم بن العباس وهـو يكتب كتابا ، فنقطت القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه ، فعجبت فقال : لا تعجب فالمال فرع والقلم اصل ، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب ، والاصل احوج الى المراعاة من الفرع ، ثم فكر قليلا وقال (٢٤) :

اذا ما الفكر ولـد حسـن لفظ	واسلمه الوجود الى العيـان
ووشاه فنمنمه بيـان	فصيح في المقال بلا لسـان
ترى حلل البيان منشـرات	تجلى بينها حال المعانـي

ابراهيم وسامراء :

لم يبلغ في زمن ان اترفت البلاد كالعصر العباسي في سامراء ولم يقتصر الترف على اللذات الجنسية وقرع الكؤوس بل تعداه الى طور ابعـد فقد نالت فيه المرأة حريتها المطلقة تنتقل وترحل وتشـارك الرجـل في كثير من اعماله ، تغني فتطرب بالمجلس تبادل الرجل الرأي والنكته والملحه ، وكانت في هذه المراحل تلقي الرجل ويلقاها الرجل وفي الرجل عاطفة وحساسية ، وفي المرأة رقة وعذوبه ، عذوبة لفظ ، وعذوبة خلق ، وعذبة ادب ، فلابد ان تلتقي العواطف ولابد ان تهتز القلوب ولابد ان يحمل الشـعر نجـوى العواطف وهزات القلوب .

كان الرجل يلقي المرأة فتأخذه بحسنها وجمالها ، فتثور في نفسه عاطفة القرب اليها وتملي عليه هذه الثورة ان يحدثها عن فيض شعوره .

يقول الاستاذ حسان ابو رحاب (٢٥) :

---

(٢٤) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨١ .

(٢٥) الغزل عند العرب ص ١٧ ط : ١ سنة ١٩٤٧ م .

لعلك تعجب حين تقرأ في اخبار شعراء الغزل ان الشاعر لايكاد يلقي امرأة بارعة في الجمال حتى تتحرك شاعريته بآيات من شعر الغزل ، تفيض رقة ، وعذوبة وقوة تأثير ، ويسوقني تداعي المعاني وانا اتحدث عن هذا المعنى الى ما نشهده ونحن نجول على شاطيء الاسكندرية في فصل الصيف ، وما نراه في الغيد الحسان من وجه ضاحك ، وعيون نجل ، وقوام فارع ، وشعر متدل ونهود كواعب ــ كل ذلك يثير في قلوبنا العاطفة الملتهبة فنتحدث ولو بين خلجات نفوسنا حديث غزل ، وخيال ، واعجاب وتقدير ، ولو اننا اوتينا بسطة في الشاعرية كما اوتي العرب الاوائل لرأيت وقرأت في وصف هؤلاء الغيد ، وفي التحدث اليهن وفيما يجره الحديث من شؤون وشجون ــ شعرا غزلا ، لا يقل روعة وحساسية عن شعر الاولين . بل وجدت من المعاني الرقيقة ما يوافق هذه الطبيعة الجميلة التي صنعتها الطبيعة في القرن العشرين ولم تكن قد صنعتها في القرن الخامس وما قبله وما بعده .

هذا ولعل صاحبنا اندفع في حب ساهر لهذه الاسباب حتى هواها و... بها وان منزله لا يكاد يخلو منها والذي يبدو لنا من القصة التالية ان ابرا... بن العباس قد احبها حبا جما وبلغ به الحب انه لا يحلو له عيش او ... مجلس انس الا بها ثم نراه بعد ذلك يهجرها ولكن قلبها الرقيق يبقى عالقا به فتعاتبه عتابا مرا وهو لا يصغي اليها ولم تدر سبب ذلك هل ان جذوة الحب التي كانت تملأ قلبه وتلهبه قد خمدت وانطفئت ام ان هناك عوامل واسباب ادت الى هذه القطعية وهذا الهجران . ثم ما هي الاسباب التي جعلته يحن اليها ويطوي صفحة الهجر فيفتح قلبه لها مرة ثانية فيصالحها ويسعى جادا في سعادتها وهكذا حتى يفرق بينهما الموت هذه اسباب لم نجد في مصادر الادب ما يشرح لنا ذلك وانما نكتفي بسرد القصة كاملة كما يحدثنا عنها معجم الادباء قال (٢٦) :

---

(٢٦) معجم الادباء ج : ١ ص ١٧٤ ــ ١٧٥ ــ ١٧٦ .

وكان ابراهيم يهوى جارية لبعض المغنين (بسر من رأى) يقال لها « ساهر » شهر بها ، وكان منزله لا يخلو منها ، ثم دعيت في وليمة لبعض اهلها ، فغابت عنه ثلاثة أيام ، ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاها ، وقالت له : قد اهديت صاحبتي اليك ، عوضا عن مغيبي عنك ، فقال :

أقبلن يحففن مثل الشمس طالعة　　قد حسن الله اولاها وأخراها
ما كنت فيهن الا كنت واسطة　　وكن دونك يمناها ويسراها

وجلس يوما مع اخوانه للشرب ، وبعث خلفها فأبطأت عليه ، وتنغص عليه وعلى جلسائه يومه ، وكان عندهم عدة من القيان ثم وافت فسرى عنه ، وطابت نفسه ، وشرب وطرب وقال :

ألم ترنا يومنا اذ نأت　　ولم نأت من بين اترابها
وقد غمرتنا دواعي السرو　　ر باشعالها وبالهابها
ونحن فتور الى ان بدت　　وبدر الدجى تحت اثوابها
وما نأت كيف كنا بها　　ولما دنت كيفه صرنا بها

فتغضب فقالت : ما القصة كما ذكرت ، وقد كنتم في قصفكم مع من حضر ، وانما تجملتم لي لما حضرت ، فقال :

يا من حنيني اليه　　ومن فؤادي لديه
ومن اذا غاب من بينهم اسفت عليه
اذا حضرت فمن بينهم اصب اليه
من غاب غيرك منهم　　فاذنه في يديه

فرضيت ، فأقاموا يومهم على احسن حال ، ثم طال العهد بينهما فملها وكانت شاعرة ، وكانت تهواه ايضا ، فكتبت اليه تعاتبه :

بالله يا ناقض العهود بمن　　بعدك من اهل ودنا نثق
سوأتا ما استحببت لي ابدا　　ان ذكر العاشقون من عشق

لاغـــزني كاتـب لــــه أدب ولا ظريف مهذب لبـــــــو
كنت بذاك اللسان تختلنــــي دهرا ولم ادر انه ملـــــــو

فاعتذر اليها وراجعها ، فلم تر منه ما تكره حتى فرق الموت بينهما .

هذا ولم ندر هل ان قلب ابراهيم بن العباس الصولي قد تعلق بحبيبته ساهر ام انه له هنالك خليلات غيرها ، لان ابياتا من الشعر له والتي نجدهـا في تضاعيف الكتب المختلفة تشير الى انه قد نفث من قلبه ابياتا يتغزل فيها في قينة ويتشكى من اخرى وما ندري هل هذه الابيات قيلت من اجل ساهر ايام هجرها فعتبته ام لا . فقد ذكر معجم الادباء (٢٧) هذه الابيات فقال :

وقال ابراهيم في قينة كان يهواها :

وعلمتني كيف الهوى وجهلتـــه وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمـي
واعلم ما لي عندكم فـــيردني هواي الى جهلي فارجع عن علمـي

وما يستحسن من شعر ابراهيم بن العباس :

ابتداء بالتجنـــــي وقضاء بالتضنـــــي
واشتفاء بتجنيـــــك لاعدائك منـــــي
بابي قل لي كي اعـــلم لم اعرضت عنـــي؟
قد تمنى ذاك اعـــدائي فقد نالوا التمنـــي

انها عصارة فكر قد حلق في جو المعاتبات يجعل الابتداء ، ابتداءه بالتجني ويقضي هذا المحب الذي علق هواه في قلبه بالجهد والالم ثم ان نفس الحبيب تحس ان عمل محبه معه من الاعمال التي يعرفها الاعداء فيشفون غليلهم بهذا الصدود والنفور ويذكر المحبوب بشفاء الاعداء عسى ان يتمهل ويعطف عليه لان اعداء المحب هم بالوقت نفسه اعداء المحبوب ، ثم هناك يقف في حال السائل بعد ان يفديه بأبيه ليعرف سبب الاعراض والصدود ثم يختم هذه الابيات باخبار المحبوب بان ما قام به من نفور وصدود هو نفسه منية الاعداء وقد حصلوا على امنيتهم .

---

(٢٧) معجم الادباء ج : ١ ص ١٨٠ – ١٩٤ .

احمد البلاذري



هو احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذي . « هو خاتمة مؤرخي الفتح ولد في أواخر القرن الثاني للهجره ، ونشأ في بغداد ، وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز ، عهد اليه [illegible] بتثقيف ابنه عبد الله الشـاعر المشهور ، وكان شاعرا ، وكاتبا ، ومترجما ، ينقل من الفارسية الى العربية » (١) .

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر ايامه ، فأخذ الى البجارستان، لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ، ومنه اسمه ومات على الاغلب سنة تسع وسبعين ومائتين .

لكن الذي يلوح من خبر كتاب الوزراء للجهشياري الوارد في معجم الادباء (٢) ، انه ليس هو الشارب لتمر البلاذر بل جده . وهـذا نصـه : (وقال الجهشياري في كتاب الوزراء : جابر بن داود البلاذري كان يكتب للخصيب بمصر هكذا ذكر . لا ادري ايهما شرب البلاذر ؟ احمد بن يحيى ، أو جابر بن داود ؟ الا ان ما ذكره الجهشياري ، يـدل على أن الذي شرب البلاذر هو جده ، لانه قال : جابر بن داود ولعل ابن ابنه ، لـم يكن حينئذ موجودا والله اعلم .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٩٢ .
(٢) معجم الادباء ج : ٥ ص ٩٢ ط : المعارف الطبعة الاخيرة .

أخلاقه :

وذكر كتاب معجم الادباء (٣) ، بانه كان عالما ، فاضلا ، شاعرا ، راوية ، نسابة ، متقنا ، وكان مع ذلك كثير الهجاء بذي اللسان ، اخذ الاعراض ، وتناول وهب بن سليمان بن وهب ، لما خرط فمزقه فمن قوله فيه ، وكانت الظرطه بحضرة عبد الله بن يحيى بن خاقان :

ايا ظرطة حسبت رعـــــده تنوق في سلها جهــــده
تقدم وهب بها ســــابقا وصلي اخو صاعد بعـــــده
لقد هتك الله ســـتريهما كذا كل من يطعم الفهـــده

وحدث الجهشياري قال : حدثني ابن ابي العلاء الكاتب ، قال : حدثني ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : دخلت الى احمد بن صالح بن شيرزاد ، فعرضت عليه رقعة لي فيها حاجة فتشاغل عني فقلت :

تقدم وهب سابقا بظراطـــه وصلى الفتى عبدون والناس حضر
واني ارى من بعد ذاك وقبلـــه بطونا لناس آخرين تقرقـــر

فقال يا ابا الحسن : بطن من ؟ فقلت : بطن من لم يقض حاجتي ، فأخذ الرقعة ، ووقع فيها بما اردت .

وقال احمد بن يحيى : يهجو صاعدا وزير المعتمد :

اصاعد قد ملأت الارض جـورا وقد سست الامور بغير لـــب
وساميت الرجال وانت وغـــد لئيم الجد ذوعي وعيــــب
اظل عن المكارم من (دليـــل) واكذب من سليمان بن وهـــب
وقد خبرت انك حـــارثي فرد مقالتي ابناء كعـــب

---

(٣) نفس المصدر ج : ٥ ص ٩٢ ط : المعارف الطبعة الاخيرة

قلت : اما سليمان بن وهب فمعروف ، واما دليل : فهو دليل بن يعقوب النصراني ، احد وجوه الكتاب كان يكتب لبغا التركي ، ثم نوكل للمتوكل على خاصته •

مشايخه وطلابه :

لقد طوف البلاذري البلاد الاسلامية واخذ عن اساطين علمائها من الادب والمعرفة كما انه افاد جمعا غفيرا من طلاب العلم ويحدثنا عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال : سمع بدمشق هشام بن عمار ، وابا حفص عمر ابن سعيد ، وبحمص محمد بن مصفى ، وبانطاكية محمد بن ابن عبد الرحمن بن سهم ، واحمد بن مرد الانطاكي ، وبالعراق عفان بن مسلم ، وعبد الاعلى بن حماد وعلي بن المديني ، وعبد الله بن صالح العجلي ، ومصعبا الزبيري ، وابا عبيد القسم بن سلام ، وعثمان بن ابي شيبه ، وابا الحسن علي بن محمد المدائني ، ومحمد بن سعيد كاتب الواقدي ، وذكر حماعة قال : وروى عنه يحيى بن النديم ، واحمد بن عبد الله بن عمار ، وابو يوسف يعقوب بن نعيم قرقاره الارزني (٤) •

مجلس مع المتوكل :

تقدم لك في مطاوي ترجمته بانه نادم المتوكل والآن نعرض احدى المجالس مع الخليفة • وكان بطل هذا المجاس صاحبنا البلاذري حدث علي بن هارون بن المنجم في اماليه عن عمه قال : حدثني ابو الحسن بن يحيى البلاذري قال : لما أمر المتوكل ابراهيم بن العباس الصولي ، ان يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخراج ، حتى يقع في الخامس من حزيران ، ويقع استفتاح الخراج فيه ، كتب في ذلك كتابه المعروف ، واحسن فيه غاية الاحسان

(٤) معجم الادباء ج٥ : ص ٩١ ط : المعارف آخر طبعه .

فدخل عبيد الله بن يحيى على المتوكل ، فعرفه حضور ابراهيم بن العباس واحضاره الكتاب معه ، فأمر بالاذن له فدخل ، وأمره بقراءة الكتاب ، فقرأه ، واستحسنه عبيد الله بن يحيى ، وكل من حضر ، قال البلاذري فدخلني حسد له ، فقلت : فيه خطأ ، قال : فقال المتوكل : في هذا الكتاب الذي قرأه على ابراهيم خطأ ؟ قال : قلت : نعم ، قال : يا عبيد الله وقفت على ذلك ؟ قال : لا ، والله يا أمير المؤمنين ، ما وقفت فيه على خطأ ، قال : فأقبل ابراهيم بن العباس على الكتاب يتدبره ، فلم ير فيه شيئا ، فقال يا أمير المؤمنين : الخطأ لا يعري منه الناس ، وتدبرت الكتاب ، خوفا من اكون قد اغفلت شيئا وقف عليه احمد بن يحيى ، فلم ار ما انكره ، فليعرفنا موضع الخطأ ، قال : فقال المتوكل : قل لنا ما هو هذا الخطأ الذي وقفت عليه في هذا الكتاب ؟ قال : فقلت هو شيء لا يعرفه الا علي بن يحيى المنجم ، ومحمد بن موسى ، وذلك انه ارخ الشهر الرومي بالليالي ، وايام الروم قبل لياليها ، فهي لا تؤرخ بالليالي ، وانما يؤرخ بالليالي الاشهر العربية ، لان لياليها قبل ايامها بسبب الاهلة ، فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين هذا مالا علم لي به ؛ ولا ادعي فيه ما يدعي ، قال فغير تاريخه (٥) .

نماذج من اشعاره واسباب انشادها :

لم نعثر في المصادر التي بين ايدينا على ديوان شعر له ولكن ما دونته هذه المراجع الادبية تعطينا فكرة واضحه لما كان يتمتع به البلاذري من شاعريه مرهفة حساسة وتفكير عميق واطلاع واسع في افق الحياة . ثم لم نعرف هل كان يجمع اشعاره ليكون منها ديوانا ام انه كان لا يقول الشعر الا في المناسبات وقضاء حوائجه . هذه اسئلة نضع امامها علامة استفهام عسى ان يحققها المعنيون بالأدب واهله ولعل ما ضاع من التراث الادبي فيه ذلك .

---

(٥) معجم الادباء ج٥ : ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ط : المعارف آخر طبعه

والآن لنواكب قافلة معجم الادباء (٦) ، ليحدثنا عنه بقـوله : قال الجهشياري : وقال احمد بن يحيى البلاذري ، في عبيد الله بن يحيى ، وقد صار الى بابه فحجبه :

قالوا : اصطبارك للحجاب مذلـة ... عار عليك به الزمان وعـــاب
فأجبتهم : ولكل قول صـــادق ... أو كاذب عند المقال جـــواب
اني لاغتفر الحجاب لما جـــد ... امست له منن على رغـــاب
قد يرفع المرء اللئيم حجابـــه ... ضعة ودون العرف منه حجـــاب

وحدث ابو القاسم الشافعي في تاريخ دمشق باسناده قال : قال احمد بن يحيى بن جابر البلاذري : قال لي محمود الوراق : قل من الشعر ما يبقى ذكره ويزول عنك اثمه فقلت :

استعدي يا نفس للموت واسـعى ... لنجاة فالحازم المســتعد
قد تثبت انه ليس للحـــ ... ـــيى خلود ولا من الموت بـــد
إنما انت مستعيرة ما ســـو ... ف تردين والعواري تــــرد
انت تسهين والحوادث لا تســ ... ـــهو وتلهين والمنايا تجـــد
لا ترجي البقاء في معدن المـــو ... ت ودار حقوقهـــا لـك ورد
اي ملك في الارض ام أي حـــظ ... لامرىء حظه من الارض لحـــد
كيف يهوى امرؤ لذاذة ايـــا ... م عليه الانفاس فيها تعـــد

ومن شعر البلاذري الذي رواه المرزبالي في معجم الشعراء :

يا من روى ادبا ولم يعمل بـــه ... فكيف عادية الهوى بأديـــب
واقلما تجدي اصابة صـــائب ... اعماله اعمال غير مصـــيب
حتى يكون بما تعلم عـــالما ... من صالح فيكون غير معـــيب

---

(٦) معجم الادباء ج٥ : ص ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

وحدث الصولي في كتاب الوزراء : حدثني احمد بن محمد الطالقاني قال : قال لي احمد بن يحيى البلاذري : كانت بيني وبين عبيد الله بن يحيى بن خاقان حرمة ، منذ ايام المتوكل ، وما كنت اكلفه حاجة لاستغنائي عنه ، فنالتني في ايام المعتمد على الله اضاقة ، فدخلت عليه وهو جالس للخطاط ، فشكوت تأخر رزقي وثقل ديني ، وقلت : ان عيبا على الوزير — اعزه الله — حاجة مثلي في ايامه ، وغض طرفه عني ، فوقع لي ببعض ما اردت ، وقال : اين حياؤك المانع لك من الشكوى على الاستبطاء ؟ فقلت : غرس البلوى ، يثمر تمر الشكوى ؛ وانصرفت ، وكتبت اليه :

لحاني [illegible] المرتض في شكايتي ... زمانا أحلت للجدوب محارمه

وقال : لقد جاهرتني بملامة ... ومن لي بدهر كنت فيه اكاتمه

فقلت : حياء المرء ذي الدين والتقى ... يقل اذا قلت لديه دراهمه

وحدث الصولي عن محمد بن علي (٧) : ان البلاذري امتدح ابا الصقر، اسماعيل بن بلبل ، وكتب اليه كتابا حسنا ، وسأله ان يطلق له شيئا من ارزاقه ، فوعده فلم يفعل ، فقال :

تجانف اسماعيل عني بوده ... ومل اخائي واللئيم ملول

وان امرأ يغشى ابا الصقر راغبا ... اليه ومغترا به لذليل

وقد علمت شيبان ان لست منهم ... فماذا الذي ان انكروك تقول

ولو كانت الدعوى تثبت بالرشا ... لتثبت دعواك الذين تنيل

ولكنهم قالوا مقالا فكذبوا ... وجاءوا بأمر ما عليه دليل

وله فيما اورده عبيد الله بن ابي طاهر :

لما رايتك زاهيا ... ورأيتني أجفي ببابك

عديت رأس مطيتي ... وحجبت نفسي عن حجابك

---

(٧) معجم الادباء ج٥ : ص ١٠١ .

رحدث صاحب الوافي بالوفيات (٨) ، عن قوة شعره وارهاف احسـ
انه يطاول فيه اشهر الشعراء واقواهم شاعرية وحديثه هذا الذي جاء بكتاب الوافي بالوفيات يحدثنا به هو عن نفسه قال : كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصده الشعراء ، فقال : ليس اقبل الا من الذي يقول مثل قول البحتري في المتوكل :

فلو ان مشتاقا تكلف فوق مـــا في وسعه لسعى اليك المنـــبر

فرجعت الى داري واتيته ، وقلت : قــد قلت فيك احســن مما قاله البحتري في المتوكل فقال هات ، فانشدته :

ولو ان برد المصطفى اذ لبســته يظن لظن البرد انك صـــاحبه

فقال : ارجع الى منزلك ، فافعل ما آمرك به ، فرجعت فبعث الي سبعة الاف دينار ، وقال : ادخر هذا للحوادث بعدي ، ولك على الجرايه والكفاية ما دمت حيا .

لمحات عابره :

احمد بن يحيى البلاذري : شاعر مطبوع اظهر خصائص شـعره الطبع والجزاله وتأدية المعنى على اوضح السبل وايسرها يقل في شـعره التقديم والتأخير والحذف والتقدير ، وما يقتضي ادامة النظر واعمال الفكر ، بصـير بحدود الكلام ، وهو اقل الشعراء صنعة لا تكاد تجد شيئا في شعره مـن المحسنات اللفظية ، واذا وجدت مغن غير قصد منه ، وكثيرا ما يغفل التصريح في مطالع قصائده شأن المطبوعين من الشعراء والامثلة على ذلك ما قدمناه من مقاطيعه الشعرية ، ويكثر في شعره على اختلاف معانية الحوار بينه وبين

---

(٨) ج١ : ص ٧

غائب أو مخاطب فـ (قال) (وقلت) غير قليل في شعره الذي عرضناه امامك، وهذا الاسلوب من القول لا يستقيم الا لشاعر قدير .

كتبه ومؤلفاته :

ذكر كتاب الفهرست لابن النديم ان له من الكتب كتاب البلدان الصغير كتاب البلدان الكبير ولم يتمه كتاب الاخبار والانساب ، كتاب عهد اردشير ترجمه بشعر .

وقد ورد في حاشية معجم الادباء (٩) ، تفاصيل عن كتابين من كتبه فنقلها هنا قال : وله مؤلفات أهمها :

١ ـ فتوح البلدان : وهو اشهر كتبه ، ويظهر انه مختصر من كتاب اطول منه كان قد اخذ في تأليفه ، وسماه (كتاب البلدان الكبير) ولم يتمه ، فاكتفى بهذا المختصر وهو يدخل في خمسين صفحه ، ذكر فيها اخبار الفتوح الاسلامية من ايام النبي الى آخرها ، بلدا بلدا ، لم يفرط في شيء منها ، مع التحقيق اللازم ، واعتدال الخطه ، وضمنه فضلا عن الفتوح ابحاثا عمرانيه ، أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ ، كأحكام الخراج أو العطاء ، وأمر الخاتم ، والنقود ، والخط ، ونحو ذلك ، وقد طبع الكتاب في ليدن ، سنة سبعين وثمانمائة بعد الالف . بعناية المستشرق « ذي غويه » ونشرته في مصر ، شركة طبع الكتب العربية . سنة احدى وتسعمائة بعد الالف ، وهو اجمع كتب الفتوح واصحها .

٢ ـ انساب الاشراف ، ويسمى ايضا : الاخبار والانساب ، وهو مطول في عشرين مجلدا ، ولم يتمه وكان ضائعا ، فعثر المستشرق الالماني (اهلوارد)

---

(٩) معجم الادباء ج٥ : ص ٨٩ .

في مكتبة « شيفر » على الجزء الحادي عشر من كتاب في التاريخ ، ليس عليه اسم ، فرجح انه من اجزاء كتاب البلاذري ، الذي نحن بصدده ، فطبعه « في غريز ولد » سنة ثلاث وثمانين وثمانمائه بعد الالف على الحجر بخطه في واربعمائه صفحة وفيه كثير من اخبار بني اميه في زمن عبد الملك والوليد ، ويدخل في ذلك ، تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير ، واخية عبد الله واخبار الخوارج ٠

ابراهيم بن الم

ان نسبه معروف وحاله معلوم . احد امراء البيت العباسي . وانه عم لا حاجة الى ذكر وسرد نسبه . كانت له اليد الطولى في الغناء والطرب بالملاهي وحسن المنادمه . وكان وافر الفضل ، غزير الادب ، واسع النفس ، سخي الكف ، ولم ير في اولاد الخلفاء قبله افصح منه لسانا ولا احسن منه شعرا .

وكان اسود اللون ، لان امه كانت جارية سوداء واسمها (شكله) وكان مع سواده عظيم الجنه ، ولهذا قيل له (التنين) .

خلافته :

لا نريد في هذا البحث ان نفصل الحوادث ونشرحها شرحا مستفيضا فكتب التاريخ قد اوفت الموضوع حقه كالطبري والكامل والنهاية وغيرها . ولكن نقصد فيها المامه سريعة لان بحثنا ادبي لا تاريخي وان ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان يكفينا مؤنه هذا الموضوع حيث يقول : بويع له بالخلافة ببغداد بعد المائتين والمأمون يومئذ بخراسان ، وقصته مشهورة ، واقام خليفة ...

(١) وفيات الاعيان ج : ١٠ ص ٢٠ .

عدار سنتين وذكر الطبري في تاريخه ا ن ايام ابراهيم بن المهدي كانت سـ
واحد عشر شهر واثنى عشر يوما .

وكان سبب خلع المأمون وبيعة ابراهيم بن المهدي ان المأمـون لما كان بخراسان جعل ولي عهده علي بن موسى الرضا ، فشق ذلك على العباسيين ببغداد فبايعوا ابراهيم بن المهدي المذكور وهو عم المأمون ولقبوه المبارك ، كانت مبايعته يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة احدى ومائتين ببغداد . بايعه العباسيون في الباطن ثم بايعه اهل بغداد في اول يوم من المحرم سنة اثنتين ومائتين ، وخلعوا المأمون ، فلما كان يوم الجمعة لخمس خلون من المحرم اظهروا ذلك وصعد ابراهيم المنبر وكان المأمون لما بايع علي بن موسى الرضا بولاية العهد امر الناس بترك لباس السواد الذي هو شعار بني العباس ، وامرهم بلباس الخضره ، فعز ذلك على بني العباس ايضا ، وكان من جملة الاسباب التي نقموها على المأمون ، ثم اعاد السواد يوم الخميس لليلة بقيت من ذي القعدة سنة سبع ومائتين لسبب اقتضى ذلك، ذكره الطبري في تاريخه ، وقال صاحب الفهرست ابن النديم : ابراهيم بن المهدي اول نابغ نبغ من بني العباس ثم من اولاد الخلفاء له ترسل وشعر وصنف كتبا وامه شكله اصلها من طبرستان وقيل انها ابنة ملك طبرستان وكان اسود حالك السواد عظيم الجثه عالي الخلوف لم ير في اولاد الخلفاء افصح منه ولا اشعر وله مع ذلك صنعة في الغنى يتقدم بها كل احد وكان اسحاق وابراهيم قبله يأخذان عنه ويتحاكم المغنون اليه في صناعتهم .

وقال الصولي في كتاب الاوراق (٢) : (وشكله) من سبي « دنباوند » قتل ابوها « شاهمرد » سبيت هي وبخترية ام منصور بن المهدي فيوهبها المنصور لمحياة ام ولد له فوهبتها للمهدي .

---

(٢) اسفار اولاد الخلفاء للصولي ـ الناشر ، ج هيورث ١٣٥٥ هـ .

وذكر الصولي ايضا في الاوراق ان محياة الطائفية ام ولد المنصور كانت بعثت بشكله ام ابراهيم الى الطائف فنشأت هناك فقطحت وقالت الشعر ولها شعر في اخ كان يقال له احمد وهو :

احمد تفديه شباب فهر	من كل ما ريب وامر نكر
قد جاء مثل الشمس شب قط	في حسن بدر واعتدال صدر
وزاده رب العلى من عمري	وذب عنه خائفات الدهر

ولما جاء المأمون من خراسان الى بغداد خاف ابراهيم على نفسه فاستخفى وكان استخفاؤه ليلة الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين ، وذلك بعد امور يطول شرحها ولا يحتمل هذا المختصر ذكرها ثم دخل المأمون بغداد لاربع عشرة ليلة بقيت من صفر سنة اربع ومائتين .

ابراهيم بن المهدي ودعبل الخزاعي :

قبل ان نذكر ابيات دعبل في هجاء ابراهيم نضع علامة استفهام فهل ان دعبل قال هذه الابيات للمصلحة العامة ام ان هناك دافعا يدفعه الى القول بذلك . ؟

لا شك وان القسم الاخير هو السبب في ذلك لان دعبل الخزاعي كان من الشعراء المتعصبين لآل البيت فهجاؤه كان بدافع العقيدة والعقيدة لها منزلتها في النفوس تدفعها الى الموت .

واليك هذه الابيات التي عملها دعبل عندما استخفى ابراهيم قال (٣)

---

(٢) وفيات الاعيان ج : ١٠ ص ٢١ .

نعر ابن شكلة بالعراق واهلــــه فهفا اليه كل اطلس مائـــــــق
ان كان ابراهيم مضطلعا بهـــــا فلتصلحن من بعده لمخــــــارق
ولتصلحن من بعد ذاك لزلــــزل ولتصلحن من بعده للمــــــارق
انى يكــون وليس ذاك بكائــــن يرث الخلافة فاســق عــن فاســق

استشهاد •• وتخلص :

ورد في كتب الادب والسير (٤) ، ان ابراهيم حدث عن نفسه قال : قال لى المأمون ، وقد دخلت عليه بعد العفو عني : انت الخليفة الاسود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، انا الذي مننت عليه بالعفو ، وقد قال عبد بني الحسحاس :

أشعار عبد بني الحسحاس فمن لــه عند الفخار مقام الاصــل والورق
ان كنت عبدا فنفسي حرة كرمـــا أو أسود الخلق اني ابيض الخلــق

فقال لي : يا عم اخرجك الهزل الى الجد وانشد يقول :

لبس يزري السواد بالرجل الشـــ ـــهم ولا بالغنى الاديب الاريــب
ان يكن للسواد فيك نصـــيب فبياض الاخلاق منك نصــــيبي

خاتم وافحام(٥) :

وجلس المعتصم يوما وقد تولى الخلافة بعد المأمــون ــ وعن يمينــه العباس بن المأمون وعن يساره ابراهيم بن المهدي • فجعــل ابراهيم يقلب خاتما في يده ، فقال له العباس : يا عم ما هذا الخاتم ؟ فقال : خاتم رهنته في ايام ابيك فما فككته الا في ايام أمير المؤمنين ، فقال له العباس : والله لئن لم تشكر ابي على حقن دمك مع عظيم جرمك لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك فافحمه •

(٤) وفيات الاعيان ج : ١٠ ص ٢ ٢٠
(٥) المصدر السابق ص ٢٢ •

لا تثريب عليكم اليوم

وقبل الانتقال الى موضوع آخر نذكر كيف القى القبض على ابراهيم ونساير في هذا الركب قافلة الكامل لابن الاثير (٦) ، بتصرف بسيط . قال : وفي هذه السنة ـ سنة تسع ومائتين في ربيع الاول اخذ ابراهيم بن المهدي وهو متنقب مع امرأتين في زي امرأة اخذه حارس اسود ليلا فقال : من اين انتن واين تردن في هذا الوقت ؟ فاعطاه ابراهيم خاتم ياقوت كان في يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسألهن ، فلما نظر الحارس الى الخاتم استرابهن وقال : خاتم رجل له شأن ، ورفعهن الى صاحب المسلحة فأمرهن ان يسفرن فامتنع ابراهيم فجذبه ، فبدت لحيته ، فدفعه الى صاحب الجسر ، فعرفه فذهب به الى باب المأمون واعلمه به فأمر بالاحتفاظ به الى بكره ، فلما كان الغد اقعد ابراهيم في دار المأمون والمقنعه التي تقنع بها في عنقة والملفحة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف اخذ ، ثم حوله الى احمد بن ابي خالد فحبسه عنده ثم اخرجه معه لما سار في الصلح الى الحسن بن سهل فشفع فيه الحسن (٧) ، وانه لما دخل على المأمون قال له : هيه يا ابراهيم فقال : يا أمير المؤمنين ولي النار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ومن تناوله الاغترار بما مد له من اسباب الشقاء امكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان تعاقب فبحقك وان تعف فبفضلك قال : بل اعفو يا ابراهيم فكبر وسجد وانشد قصيدته التي مطلعها :

يا خير من رفلت يمانية بـــه بعد النبي لآين او طائـــع

وسيأتي ايرادها كاملة في باب اشعاره المختارة فذكر ان المأمون قال حين

---

(٦) الكامل لابن الاثير ج : ٥ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ط ١٣٥٧ هـ .
(٧) وقيل بوران ابنة الحسن والذي يهمنا من الموضوع انه عفاعنه .

انشده هذه القصيدة : (قول كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) .

ابراهيم والطفيلي

ومحدثنا في هذه الحلقة هو المؤرخ الجليل ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ في كتابة مروج الذهب (٨) ، قال :

(ذكر ثمامه بن اشرس قال : بلغ المأمون خبر عشرة من الزنادقة ممن يذهب الى قول ماني ، ويقول بالنور والظلمة ، من اهل البصره ، فأمر بحملهم اليه بعد ان سموا واحد واحدا ، فلما جمعوا نظر اليهم طفيلي فقال : ما اجتمع هؤلاء الا لضبع فدخل في وسطهم ، ومضى معهم وهو لا يعلم بشأنهم ، حتى صار بهم الموكلون الى السفينة ، فقال الطفيلي : نزهة لا شك فيها ، فدخل معهم السفينة ، فقال الطفيلي : بلغ امـر تطفيلي الى القيـود ، ثم اقبل على الشيوخ فقال : فديتكم أيش انتم ؟ قالوا : بل أيش انت ؟ ومن انت مـن اخواننا ؟ قال : والله ما ادري غير اني رجل طفيلي خرجت في هذا اليوم مـن منزلي فلقيتكم فرأيت منظرا جميلا ، وعوارض حسنه وبزه ونعمة ، فقلت : شيوخ وكهول وشباب جمعوا لوليمة ، فدخلت في وسطكم ، وحاذيت بعضكم كأني في جملة احدكم ، فصرتم الى هذا الزورق ، فرأيته قد فرش بهذه الفرش ومهد ، ورأيت سفرا مملوءة وجربا وسلالا ، فقلت : نزهة يمضون اليها الى بعض القصور والبساتين ، ان هذا اليوم مبارك ، فابتهجت سرورا ، اذ جاء هذا الموكل بكم فقيدكم وقيدني معكم ، فورد علي ما قد ازال عقلي ، فأخبروني ما الخبر ؟ فضحكوا منه وتبسموا وفرحوا به وسروا ، ثم قالوا : الان قـد حصلت في الاحصاء ، وأوثقت في الحديد ، واما نحن فمانيه قد غمزونا الى

---

(٨) مروج الذهب ج ٤ ص ٩ ، ط ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ط ٢٠ ، ١٩٤٨ : السعادة مصر .

المأمون ، وسندخل اليه ، ويسائلنا عن احوالنا ، ويستكشفنا عن مذهبنا ، ويدعونا الى التوبة والرجوع عنه بامتحاننا بضروب من المحن : منها اظهار صورة ماني لنا ، ويأمرنا ان نتفل عليها ونتبرأ منها ، ويأمرنا بذبح طائر ماء ، وهو الدراج ، فمن اجابه الى ذلك نجا ، ومن تخلف عنه قتل ، فاذا دعيت وامتحنت فاخبر عن نفسك واعتقادك على حسب ما تؤديك الدلالة الى القول به ، وانت زعمت انك طفيلي ، والطفيلي يكون معه مداخلات واخبار ، فاقطع سفرنا هذا الى مدينة بغداد بشيء من الحديث وايام الناس ، فلما وصلوا الى بغداد وادخلوا على المأمون جعل يدعو باسمائهم رجلا رجلا فيسأله عن مذهبه ، فيخبره بالاسلام ، فيمتحنه ويدعوه الى البراءة من ماني ويظهر له صورته ويأمره ان يتفل عليها والبراءة منها ، وغير ذلك ، فيأبون ، فيمرهم على السيف ، حتى بلغ الى الطفيلي بعد فراغة من العشرة ، وقد استوعبوا عدة القوم ، فقال المأمون للموكلين : من هذا ؟ قالوا : والله ما ندري ، غير انا وجدناه مع القوم فجيئنا به ، فقال له المأمون : ما خبرك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتي طالق ان كنت اعرف من اقوالهم شيئا ، وانما انا رجل طفيلي ، وقص عليه خبره من اوله الى اخره ؛ فضحك المأمون ، ثم اظهر له الصورة ، فلعنها وتبرأ منها ، وقال : اعطونيها حتى اسلح عليها ، والله ما ادري ما ماني : ايهوديا كان ام مسلما ، فقال المأمون : يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه .

وكان ابراهيم بن المهدي قائما بين يدي المأمون فقال : يا امير المؤمنين ، هب لي ذنبه ، واحدثك بحديث عجب في التطفيل عن نفسي : قال : قل يا ابراهيم .

قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت يوما فمررت في سكك بغداد متطرفا حتى انتهيت الى موضع ، فشممت رائحة ابازير من جناح في دار عاليه ، وقدور قد فاح قتارها ؛ فتاقت نفسي اليها ، فوقفت على خياط فقلت ، لمن هذه الدار ؟

فقال : لرجل من التجار من البزازين ، قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرفعت طرفي الى الجناح ، فاذا فيه شباك فنظرت الى كف قد خرجت من الشباك ومعصم ما رايت احسن منها قط ، فشغلني يا امير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور ، فبقيت باهتا وقد ذهل عقلي ، ثم قلت للخياط :

هو ممن يشرب النبيذ ؟ قال : نعم ، واحسب ان عنده اليوم دعوة ، ولا ينادم الا مثله تجارا مستورين ، فانا كذلك اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لي الخياط :

هذان منادماه ، قلت : ما اسماهما وماكناهما ؟ فقال : فلان وفلان ، فحركت دابتي حتى دخلت بينهما .

وقلت ، جعلت فداكما ، قد استبطأ كما ابو فلان اعزه الله ، وسايرتهما حتى انتهينا الى الباب ، فقدماني ، فدخلت ودخلا ، فلما رآني صاحب المنزل لم يشك الا اني منهما بسبيل ، فرحب واجلسني في أجل موضع ، فجيء يا امير المؤمنين بالمائدة وعليها خبز نظيف ، واتينا بتلك الالوان فكان طعمها اطيب من رائحتها ، فقلت في نفسي : هذه الالوان قد اكلتها ، وبقى الكف والمعصم ، ثم رفع الطعام فغسلنا ايدينا ، ثم صرنا الى مجلس المنادمه ، فاذا هو انبل مجلس واجل فرش ، وجعل صاحب المجلس يلطف بي ويقبل على بالحديث ، والرجلان لا يشكان انه مني بسبيل ، وانما كان ذلك العقل منه بي لما ظن اني منهما بسبيل ، حتى اذا شربنا اقداحا ، خرجت علينا جارية تثني كأنها غصن بان ، فسلمت غير خجله ، وهيئت لها وسادة ، واتي بعود فوضع في حجرها فجسته فتبينت الحذق في جسها ، ثم اندفعت تغني :

توهمها طرفي فآلم خدهـــــا فصار مكان الوهم من نظري أثـر
وصافحها كفي فآلم كفهـــــا فمن لمس كفي في اناملها عقـــر

ومرت بقلبي خاطرا فجرحتهـــا ولم ار شيئا قط يجرحه الفكـــر

فهيجت والله يا امير المؤمنين على بلابلي ، وطربت لحسن غنائها وحذقها ثم اندفعت تغني :

اشرت اليها هل علمت مودتـــي فردت بطرف العين اني على العهـد
فحدث عن الاظهار عمدا لســرها وحادث عن الاظهار ايضا على عمد

فصحت السلامه ، وجاءني من الطرب مالا املك معه النفس ولا الصبر واندفعت تغني :

البس عجبا ان بيتا يضـــمني واياك لا نخلو ولا نتكلـــم
سوى اعين تشكو الهوى بجفونهـا وترجيع احشاء على النار تضـرم
اشار افواه وغمز حواجـــب وتكسير اجفان وكف يســلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء ، واصابتها معنى الشعر ، وانها لم تخرج من الفن الـذي ابتدأته ، فقلت : بقى عليك يا جارية شيء ، فغضبت وضربت بعودها الارض ، ثم قالت : متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء ؟ فندمت على ما كان مني ، ورأيت القوم قد تغيروا الي .

فقلت : اليس ثم عود ؟ قالوا : بلى يا سيدنا ، فأتيت بعود ، فاصلحت من شأنه ما اردت واندفعت اغني :

مـا للمنـازل لا يجبن حزينـــا اصممن ام بعد المدى فبلينـــا
راحوا العشية روحة مذكـــورة ان متن متن ، وان جين جينـــا

فما استتمته جيدا حتى خرجت الجارية فأكبت على رجلي تقبلها ، وهي تقول : المعذرة لك يا سيدي ، فما سمعت من يغني هذا الصوت مثلك ، وقام مولاها وكل من كان عنده فصنعوا كصنعها ، وطرب القــوم ، واستحثوا الشراب فشربوا بالطاسه ثم اندفعت اغني :

أ بالله هل تمسين لا تذكرينـــــني   وقد سجمت عيناي من ذكرك ا. ما

فردي مصاب القلب انت قتلتــــه   ولا تتركيه ذاهل العقل مغرمـــــا

الى الله اشكو انها اجنبيـــــة   واني لها بالود ما عشت مكرمـــا

فجاء من طرب القوم يا امير المؤمنين ما خشيت ان يخرجوا من عقولهم فامسكت ساعة ، حتى اذا هدأ القوم اندفعت اغني الثالثة :

هذا محبك مطوي على كـــــده   صب مدامعه تجري على جســـده

له يد تسأل الرحمن راحتـــــه   مما به ويد اخرى على كبـــــده

يا من رأى كلفا مستهترا أســــفا   كانت منيته في عينه ويــــــده

فجعلت الجارية يا امير المؤمنين تصيح السلامه ، هذا والله الغناء يا مولاي وسكر القوم ، وخرجوا من عقولهم ، وكان صاحب المنزل جيد الشراب ونديماه دونه ، فأمر غلمانه مع غلمانهم بحفظهم وصرفهم الى منازلهم ، وخلوت معه وشربنا اقداحا ، ثم قال : يا سيدي ذهب والله ما خلا من ايامي باطلا اذ كنت لا اعرفك ، فمن انت يا مولاي ؟ ولم يزل يلح علي حتى اخبرته فقام فقبل رأسي وقال : يا سيدي واني اعجب ان يكون هذا الادب الا لمثلك، واذا انا منذ اليوم مع الخلافة ولا اعلم . وسألني عن قصتي وكيف حملت نفسي على ما فعلته ، فاخبرته خبر الطعام والكف والمعصم ، فقال : يا فلانه ، لجارية له ، قولي لفلانة تنزل فجعل ينزل الى جواريه واحدة واحدة ، فانظر الى كفها واقول : ليست هي ، حتى قال : والله ما بقى غير امي واختي ، ولانزلنهما اليك ، فعجبت من كرمه وسعة صدره ، فقلت له : جعلت فداك ، ابدأ بالاخت قبل الام ، فعسى ان تكون صاحبتي ، فقال : صدقت ، ففعل ، فلما رأيت كفها ومعصمها قلت : هي هي ، جعلت فداك ، فأمر غلمانه من فوره فصاروا الى عشرة مشايخ من جلة جيرانهم فاحضروا ، وجيء ببدرتين فيهما عشرون الف درهم ، ثم قال : هذه اختي فلانه ، وانا اشهدكم اني قد زوجتها من سيدي ابراهيم بن المهدي ، ومهرتها عنه عشرين الف درهم ، فرضيت

وقبلت النكاح ، ودفعت اليها البدره الواحده ، وفرقت الاخرى على المشايخ، وقلت لهم : اعذروا فهذا الذي حضرني في هذا الوقت ، فقبضوها وانصرفوا ،

ثم قال : يا سيدي امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك ، فاحتشمني والله يا امير المؤمنين ما رأيت من كرمه وسعة صدره ، فقلت : بل احضر عمارية واحملها الى منزلي ، فقال : افعل ما شئت فاحضرت عماربة وحملتها الى منزلي ، فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاق عنه بعض دوري •

فتعجب المأمون من كرم ذلك الرجل واطلق الطفيلي ، واجازه بجائزة حسنة ، وامر ابراهيم باحضار ذلك الرجل فصار يعد من خواص المأمون واهل مودته ولم يزل معه على افضل الاحوال الساره في المنادمة وغيرها •

ابراهيم والحلاق

تكاد تكون حياة صاحبنا حافلة بالمفاجئات والحوادث الغريبة لذا نرى ان كتب التاريخ تنتخب قصصا غريبة وقعت له وقت اختفائه فتسجلها له وتعتبرها من الحوادث الحسنة التي تختار له ومن هذه الحوادث ما يحدثنا عنه المسعودي في كتابه مروج الذهب (٩) ، حيث قال : ومن احسن ما اختير من اخبار ابراهيم في حال تنقله واختفائه ببغداد خبره مع المزين ، وهو ان المأمون لما دخل بغداد على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الباب من بثه العيون طالبا لابراهيم بن المهدي وجعل لمن دل عليه جعلا خطيرا من المال ، قال : ابراهيم فخرجت في يوم صائف في وقت الظهر لا ادري اين اتوجه ، فصرت الى زقاق ولا منفذ له ، فرأيت اسود على باب دار فصرت اليه وقلت له : اعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال : نعم ، وفتح بابه فدخلت الى

---

(٩) مروج الذهب ج : ٤ ص ٣٠ ، ٣١ ط الثانية م : السعادة بمصر .

بيت فيه حصير نظيف ووساده جلد نظيفه ، ثم تركني واغلق الباب في وجهي ومضى ، فتوهمته قد سمع الجعاله في وانه خرج ليدل علي ، فبينما انا كذلك اذ أقبل ومعه طبق عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وآلتها وجرة نظيفة وكيزان نظاف كل ذلك جديد وقال لي : جعلني الله فداك اني حجام وانا اعلم انك تتعذر ما اقوله ، فشأنك بما لم تقع عليه يدي ، وكانت بي حاجة شديده الى الطعام ، فقمت وطبخت لنفسي قدرا ما اذكر اني اكلت اطيب منها ، ثم قال لي بعد ذلك : هل لك في النبيذ ؟ فقلت : ما اكره ذلك ، ففعل مثل فعله في الطعام ، وأتاني بكل شيء نظيف لم يمس شيئا منه يده ، ثم قال لي بعد ذلك ، اأذن لي جعلني الله فداك ان اقعد ناحية منك فآتي بنبيذ اشرب منه سرورا بك ؟ قال : فقلت : أفعل ذلك فلما شرب ثلاثا دخل خزانه له واخرج منها عودا وقال : يا سيدي ، ليس من قدري ان اسألك ان تغني ولكن قد وجبت عليك حرمتي ، فان رأيت ان تشرف عبدك بان تغنيه قال : فقلت وكيف توهمت على اني احسن الغناء ؟ فقال متعجبا : يا سبحان الله !! انت اشهر من ان لا اعرفك ، انت ابراهيم بن المهدي ، الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة الف درهم ، قال : فلما قال لي ذلك تناولت العود ، فلما هممت بالغناء قال : يا سيدي اتجعل ما تغنيه ما اقترحه عليك ؟ قلت : هات ، فاقترح ثلاثة اصوات اتقدم فيها كل من غنى ، قلت : هبك عرفتني هذه الاصوات من اين لك بمعرفتها ؟ قال : انا اخدم اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، وكثيرا ما كنت اسمعه يذكر المحسنين وما يجيدونه ، ولم اتوهم اني اسمع ذلك منك في منزلي ، فغنينه وانست به واستظرفته ، فلما كان الليل خرجت من عنده ، وقد كنت حملت خريطة فيها دنانير فقلت له : خذها فاصرفها في بعض مؤنتك ، ولك عندنا مزيدا ان شاء الله تعالى فقال : ما اعجب هذا !! والله عزمت على ان اعرض عليك جملة ما عندي واسألك أن تتفضل بقبولها ، ثم اجللتك عن ذلك ، وامتنع من قبول شيء ومضى حتى دلني على الموضع الذي احتجت اليه وانصرف وكان لخر العهد به .

انا ابراهيم بن المهدي :

حدثنا ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في كتابه المنتظم « قال لي خالد الكاتب . اضفت من عدمت القوت اياما فلما كان في بعض الايام بين المغرب وعشاء الاخره ، اذا بابي يـدق فقلت : من ذا ؟ فقـال . من اذا خرجت اليه عرفته . فخرجت فرأيت رجلا راكبا على حمار عليه طبل اسود وعلى رأسه قلنسوه طويله ومعه خادم فقال لي . انت الذي تقول :

اقول للسـقم عـد الى بدنـي   حبا لشـيء يكون مـن سـببك

قال قلت . نعم قال احب ان تنزل عنه . فقلت . وهل ينزل الرجل عن ولده فتبسم وقال . يا غلام اعطه ما معك . فرمى الى صرة في ديباجه سود مختومة فقلت اني لا اقبل عطاء من لا اعرفه فمن انت ؟ قال : انا ابراهيم بن المهدي .

ان من الشعر لحكمة :

قال خالد بن يزيد الكاتب لما بويع ابراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني وقد كان يعرفني وكنت متصلا ببعض اسبابه فأدخلت اليه فقال لي . يا خالد انشدني من شعرك . فقلت . يا امير المؤمنين . ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان من الشعر لحكمه . وانما امزح واهزل وليس لي ما انشد به أمير المؤمنين . فقال . لا ادع هذا يا خالد فان جد الادب وهزله جد انشدني فانشدته :

عش فحبك سريعا قاتلـــي   والضنى ان لم تصلني واصـــلي
ظفر الشوق بقلب مكمـــد   فيك والسقم بجسم ناحـــل

---

(١٠) المنتظم القسم الثاني الجزء الخامس ط : ١ سنة ١٣٥٧ م : حيدر آباد الدكن .

فهما بين اكتئاب وضـــــنى ... وبكائي لبكاء العـــــاذل
وبكي العاذل لي من رحمـــــة ... تر كاني كالقضيب الذابـــــل

ابراهيم يمدح المأمون :

وكتاب (الكامل) لابن الاثير المتوفى عام ٦٣٠هـ يحدثنا بهذه القصيده كاملة وان المسعودي في كتابة (مروج الذهب) لم يذكرها كاملة فآثرنا الكامل في النقل • قال :

ياخير من رفلت يمانيـــة بـــه ... بعد النبي لآيس أو طائـــــع
وابر من عبد الاله على التقـــى ... غيبا واقوله بحق صـــــادع
عسل الفوارع ما اطعت فان تهـج ... فالصاب يمزج بالسمام الناقـــع
متيقظا حذرا وما تخشى العـــدى ... بنهان من وسنان ليل الهاجــــع
ملئت قلوب الناس منك مخافـــة ... وتبيت تكلؤهم بقلب خاشـــع
بأبي وامـــي فديـــة وابيهمـــا ... من كل معضلة وذنب واقـــــع
ما الين الكنف الذي بوأتنـــــي ... وطنا وامرع رتعة للراتـــــع
للصالحات اخاً جعلت وللتقـــى ... واباً رؤفاً للفقير القانـــــع
نفس فداؤك اذ تظل معـــــاذري ... والود منك بفضل حلم واســـع
املا لفضلك والفواضل شـــيمة ... رفعت بناءك للمحل اليافـــــع
فبذلت افضل ما يضيق ببذلـــــه ... وسع النفوس من الفعال البـــارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثلـــه ... عفو ولم يشفع اليك بشـــــافع
الا العلو عن العقوبة بعدمـــــا ... ظفرت يداك بمستكين خاضـــع
فرحمت اطفالا كأفراخ القطـــــا ... وعويـل عانســة كقوس النـــازع
وعطفت امرة على كما وهـــــي ... بعد انهياض الوثي عظم الظالـــع
الله يعلم ما اقول كأنهـــــــا ... جهد الاليه من حنيف راكـــــع
ما ان عصيتك والغواة تقـــودني ... اسبابها الابنية طائـــــــع

حتى اذا علقت حبائل شـقوني بردي الى حفر المهالك هائـع
لم ادر ان لمثل جرمي غافـرا فوقفت انظر أي حنف صـارعي
رد الحياة علي بعـد ذهابهـا ورع الامام القادر المتواضـع
احياك من ولاك افضل مـدة ورمى عدوك في الوتين بقاطـع
كم من يدلك لم تحدثني بهـا نفس اذا آلت الى مطامعـي
اسديتها عفوا الى هنيئـة وشكرت مصطنعا لاكرم صانـع
الا يسيرا عندما اوليتنـي وهو الكبير لدى غير الضائـع
ان انت جدت بها على تكن لهـا اهلا وان تمنع فاكرم مانـع
ان الذي قسم الخلافة حازهـا من صلب آدم للامام السابـع
جمع القلوب عليك جامع امرهـا وحوى ردلؤك كل خير جامـع

كتبه ومؤلفاته :

ذكر صاحب الفهرست ان له من الكتب كتاب ادب ابراهيم . كتاب الطب كتاب الغناء .

وذكر المسعودي بان يوسف ابراهيم الكاتب صاحب ابراهيم بن المهدي قد صنف كتبا منها كتابه في إخبار المتطيبين مع الملوك في المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك . وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم بن المهدي في انواع الاخبار وغير ذلك من كتبه .

ومن شعره :

وهي القصيدة التي قالها في عفوه ايضا كما ذكر ذلك الصولي في كتاب الاوراق حيث قال : وله في عفوه اشعار كثيره منها قصيدة التي اولها .

اعنيك يا خير من نعنى بمؤتلـف من الثناء ائتلاف الدر في النظـم
اثني عليك بمـا جدت من نعـم وما شـكرتك ان لم اثن بالنعـم

وفيها :

ـ مالي ولم تمنن علي بـــه	وقبل ردك مالي ما حقنت دمـــي
ـرب منه وما كافأتها بيـــد	هي الحياتان من موت ومن عـدم
ـبر لي منك وطء العذر عنـدك لي	فيما اتيت فلم تعذل ولم تلـــم
ـعفو بعدك وتسطو ان سطوت به	فلا فقدناك من عاف ومنتقـــم

ومن شعره :

كما حدثنا الصولي حيث قال : قال استخفى ابراهيم عند بعض اهله من النساء ، فوكلت نجد منه جارية جميلة ، وقالت لها : انت له ، فان ارادك لشيء فطاوعيه واعلمية ذلك حتى يتسع له . فكانت توفيه حقه في الخدمة والاعظام ، ولا تعلمه بما قلت لها ، فجل مقدارها في نفسه ، الي ان قبل يوما يدها فقبلت الارض بين يديه فقال :

يا غزالا لي اليـــــــه	شافع من مقلتيـــــــه
والـــذي اجللـت خـــد	ية فقبلت يديـــــــه
بابي وجهك مـــــا	أكثر حسادي عليـــــه
انا ضيف وجزاء الضـــــ	ـيف احسان اليـــــه

ومن شعره :

وانا لازلنا مسايرين قافلة كتاب اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق للصولي . قال : حدثني الحسن بن يحيى الكاتب قال سمعت هبة الله بن ابراهيم ابن المهدي يقول حين اخذ أبي ابراهيم كتب الى المأمون رقعة فقرأها قبل ان يراه وهو اول شعر قرأه له :

ايا منعما لم تزل مفضـــــلا	ادام الغنى سخطك الدائــــم
ننمت فان قلت لا بل ظلــــ	ـمت فانـي انا الكـاذب الآثـم

واستغفر الله من زلتـــــــي فاني من جرمها واجـــــــم
يفز الحليم ويكبوا الجـــــوا د وينبو لدي الضربة الصـــارم
فها انا ذا العائذ المستجــــــير فاحكم بما شئت باحاكـــــم
عصيت وتبت كما قد عصـــــى وتاب الى ربـــــــه آدم
فقل قول يوسف لا تثر بـــــــن فقد يغفر الغافر الراحـــــم
فلست الى زلة عائـــــــدا بد الدهر ما قعد القائـــــم

قال فحل ذلك اكثر ما كان في نفسه •

ومن شعره :

حدثنا عون بن محمد قال حدثنا محمد بن راشد قال انشدني ابراهيـم بن المهدي •

فلله نفس ان في لعبـــــــرة وللدهر نقض للقوى بعد ابـــرام
غدوت على الدنيا مليكا مســـلطا ورحت وما احوى بها قبس ابهـام

وانشد عون له بعقب هذا وكان يستجيده :

ونهيت نومي من جفوني فانتهـــى امرت ليلي ان يطول فطـــــالا
نظر العيون على العيون هو الـــذي جعل العيون على العيون وبـــالا

ابراهيم بن المهدي يترك الغناء :

ذكر الصولي بان ابراهيم ابن المهدي قد ترك الغناء في اخر ايامه ، وذلك انه غنى المعتصم صوتا بشعر له :

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت منـــى هوى الشيب بي عنها ودلى بها عني
فان ابك نفسي ابك نفسا نفيســـة وان احتسبها احتسبها على ضـــن

وجعل يغني ويبكي ، فقال له المعتصم : ما هذا يا عم ؟ قال : حلفت بين

يدي الرشيد اني اذا بلغت الستين لم اشرب ولم اغن ، قال ومن يشهد بهذا ؟ قال جماعة قد يفي منهم مسرور الخادم فسأله عن ذلك فشهد له ، فاعفاه عن الغناء والشرب فما عاد لذلك الى ان مات .

ومن شعره :

الشيب شين والخضاب عـــذاب ولكل حي مهجة ستصـــاب
قالت امامة شبت يا بن محمـــد شيبا وشاب امامه الاتـــراب

وهذا معنى مليح يقول وقد شبت انت ايضا .

ينصح غيره ويترك نفسه :

حدثنا الصولي (١١) ايضا بان ابراهيم ابن المهدي اصح الناس رأيـا لغيره وافسدهم رأيا لنفسه . فقيل له في ذلك فقال انا انظر في امر غيري برأي سليم من الهوى ، ويغلب على رأي في امر نفسي ما اهواه .

تلاحي في التجزئه والقسمة في الغناء :

حدثنا الصولي : قال اخبرني يحيى بن علي قال اخبرني ابي عن يوسف بن ابراهيم وهو ابن خالة ابراهيم بن المهدي ، قال حضرت ابراهيم بن المهدي واسحاق بن ابراهيم الموصلي . يتلاحيان في التجزئه والقسمه في الغنـاء . فقلت لهما اراكما توجبان لهما معنيين ومعناهما واحد . فقال لي ابراهيم لا لوم عليك فيما انكرت من باب التجزئه والقسمة لان المنطق يوجب ما قلت ، ولكن اصحاب صناعة اللحون اذا ارادوا وضع صوت جزؤا شعره على اجـزاء ثم قسموا اللحن على تلك الاجزاء فالتجزئه عندهم تجزئة

---

(١١) اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق للصولي ط : سنة ١٣٥٥ هـ

والقسمة قسمة اللحن على الاجزاء قال ولم يكن احد بعد اسحاق اعلم بالغناء من ابراهيم •

بين ابراهيم وحسين بن الضحاك :

لازلنا حتى النهاية مسايرين ركب كتاب اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق للصولي : واله يحدثنا بحديث اخر عن ابراهيم بن المهـدي قال ان الحسين بن الضحاك شرب عند ابراهيم بن المهدي يوما فجرت بينهما ملاحاة في الدين والمذهب ، فدعا له ابراهيم بنطع وسيف وقد اخـذ الشـراب منه وانصرف الحسين غضبان • فكتب ابراهيم يعتذر اليه ويسأله ان يجيبه فقال الحسين :

نديمي غير منســــــوب	الى شيء من الحيــــــف
شعاني مثل ما يشـــــر	ب فعل الضيف بالضــــيف
فلما دارت الـــــكأس	دعا بالنطع والســـيف
كذا من يشرب الخمـــــ	مع التنين في الصـــيف

فلم يعد لمنادمته مدة ثم ان ابراهيم تحمل عليه ووصله مفاد لمنادمته •

شروط الغناء عند ابراهيم :

قال ابراهيم بن المهدي (١٢) « ثلاثة اشياء من الغناء ان لم يكن لصاحبها طبع لم يكنه معرفتها • منها المعرفة بالغناء • فلو ادركها انسان بفهوم وعقل وادب لادركها احمد بن يوسف وهو اجهل الناس بالغناء • ودخول الحلق في الوتر لو بلغة احد بغير طبع لبلغه اسحاق مع تقدمة في هذا الشأن وعلمه به • وما دخل حلقة في وتر قط • وغناء الصوت على مثال واحد لو بلغة احد بغير

---

(١٢) الاوراق للصولي ط ج هيورث • دن سنة ١٣٥٥ هـ •

طبع لقدر عايه (علوية) في حذقة واحسان • ولكنه يجس موضعا ويحث موضعا • ومثل من كان كذا مثل الصبي الذي يعوج سطوره فلا ينفع فيه التعلم •

هدية ختان :

كتب ابراهيم بن المهدي الى اسحق عندما ختن بعض اولاده فقال : لولا ان البضاعة قصرت عن الهوى لاتعبت السابقين الى برك وحسبك ان تطوي صحيفة البر وليس لي فيها بره • وقد بعثت اليك ما المبتدأ به ليمنه والمختوم به لطيبة ورائحته • جراب وجراب اشنان •

عاصر الزيت :

كان ابراهيم بن المهدي يشنأ محمد بن عبد الملك الزيات فلما ولي وزارة المعتصم قال ابراهيم :

يا بؤس يوم كاسف   ان لم يغير في غده
لامة وزيرها   عاصر زيت بيده
يظهر نصحا وجهه   وغشه في كبده

تحريض :

حدث الحسين بن الضحاك سنة عشرين ومائتين ــ وابراهيم بن المهدي حي قال دخل ابراهيم الى المأمون فقال : يا امير المؤمنين ان الله فضلك في نفسك علي والهمك الرأفة والعفو عني • والنسب واحد وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه فقال وما قال لك لعله قوله :

نفر ابن شكلة بالعراق واهله   فهفا اليه كل اطيش مائق

وقرأ المأمون الابيات المتقدمة •

فقال هذا من هجائه وقد هجاني باقبح منه فقال لك في السرة لانه هجاني فاحتملته فقال في :

انى من القوم الذين سيوفهم قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال ابراهيم زادك الله يا امير المؤمنين حلما وعلما فما تنطق العلماء الا عن فضل علمك ولا يحلمون الا اتباعك لحلمك .

هذا وتريد هنا ان تتعرف الى السبب الذي حدا بالمأمون ان يتسامح ويعفو عن دعبل مع انه هجاه هجاء مرا مع اننا نرى المأمون يغار من انشاد قصيدة في مدح ابي دلف العجلي التي مدحه بها ابن العكوك وتمنى انها قيلت في مدحه ولما لم يكن لابن العكوك هوى وميول نحو المأمون عمد الى ان يستل لسانه .

ويحدثنا عن هذا الاحتمال من دعبل وغيره كتاب عصر المأمون للدكتور احمد فريد رفاعي (١٣) ، قال المأمون من قدرت على عقوبته لسؤ فعله ، وقبيح جرمه ، فقدرتك عليه كفايتك نصرا لك منه ولا معنى لعقوبة بعد قدرة ، الحلم عن الذنب ابلغ من الاخذ به .

وهو هنا يعلل العفو تعليلا مقبولا جديرا بان يكون درسا في الاخلاق ثم يقول كتاب عصر المأمون : ومن الدلائل على صلاحية المأمون لما اعدته له الايام اتصافه بالاحتمال الذي لا يقوم الملك الا به ، ولا تسير الامور بدونه، وهو خلق يراه البعض سماحة ، ونراه من المأمون سياسة هي من الصميم في آداب الملوك ، وانه ليحتمل ، حتى لتحسبه من الغافلين ولكن الرجل كان يعرف ان للملك مصاعب ومتاعب اقلها مداراة الناس والنزول لهم عن بعض ما يشتهون .

---

(١٣) عصر المأمون ج : ١ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ط ١٣٤٦ .

ومن شعره ايضا :

ما انشده عبد الله بن المعتز لابراهيم بن المهدي :

من قال في الناس قالوا فيه ما فيـه ... وحسبه ذاك من خزى ويكفيـه
من نم في الناس ولا يدري به احد ... عن الصديق ولم تؤمن افاعيـه
كالسيل يجري ولا يدري به احـد ... من اين جاء ولا من اين يأتيـه
او فر من رزقه عبد الى جبـل ... دون السماء لالقى رزقه فيـه

وروى ايضا

انا اقدي على الهجران زينـا ... وان كنا على عمد كنينـا
وما زينا بتفدية اردنـا ... ولكنا عنينا من عنينـا
اقول وقد رأيت لها سمـاء ... من الهجران مقبلة الينـا
وقد سحت عزاليها بعيـد ... حوالينا الصدود ولا علينـا

وحدث ايضا عبد الله بن المعتز قال كتب ابراهيم بن المهدي الى بعض اصحابه في يوم غيم :

ان كنت تنشط للصبوح فانـه ... يوم اغر محجل الاطـراف
واري الغمامة كالعقاب محلقـا ... مسودة الاوساط والاكتـاف
طورا بتلك بالرذاذ وتـارة ... تهمي عليك بدلوها الغـراف
فانعم صباحا وائتنا متفضـلا ... ودع الخلاف فليس يوم خـلاف

وانشد ابن المعتز لابراهيم ايضا :

قليت الصبا وهجرت الغـواني ... وسلمت معترفا للزمـان
واعنقت منطلقا في القيـا ... د بعد الجماح وجذب العنـان
كذاك الفتى وحروف الزمـا ... ن يحدثن شأنا له بعد شـان
رايت الحياة ولذاتهـا ... معلقة بلبال فـوان

وانـي صبور لما نابنـي سريع الى كل حق عـبراني
وليس يرى خائفا من اجـر ت ولا خائبا سعيه من رجاني
نداى يمدحني مادحـي ويبكي على به من رثـاني
أحب الوفاء اذا ما وعـد ت والايعاب بمطل ضـماني
كذلك عودني والـداي فعودت نفسي الذي عـوداني

وقال :

واني وواهي ملككم مثل سـاق طليحا يزجيها على الابن راكـب
اذا صدقتني النفس عنكم تقول لي اتدري هداك الله من ذا تعاتـب
فوالله ما ادري اذا ما ذكرتكـم أأعفو لكم عن ذنبكم ام اعاتـب
بلى ليس لي الا تغمد ذنبكـم وان لم يكن فيكم من الذنب تائب
واني وامي أمكم وابي لكـم أب عنكم لي لواردت مذاهـب

وقال :

وقد تلين ببعض القول تبذلـه والوصل في جبل صعب مراقيـه
كالخيزران منيعا منك مكسـره وقديرى لينا في كف لاويـه
فتلك هم فؤاد انت صـاحبه لو انها مرة كانت تجازيـه
وان في طول ماضـنت عليـه لما يسليه لو ان شيئا كان يسـليه

وقال :

اطعت الهوى وعصيت الرشـد ولم تملك الصبر عمن تـود
اذا الليل اسبل سر بالـه على الارض واسود وجه البلـد
رعيت الكواكب حتى الصـبا ح ودمعي كاللؤلؤ المنسـرد
فمن طالعات ومن غائـرات وآخر في حيرة قد رقـد
ومن ضاجعات بافق المغيـب يراقبها كارتقاب الرصـد
وما الناس الا عدو الشـقي والا صديق امرىء قد سـعد

اذا ما الزمان باخلافـــــه ... طواك كطي التباب الجـــدد
يفيض عليك قداح الـــــردي ... لتأخذ منها بقدح نكـــــد
فما انت الا اسير لـــــه ... وان امكن الحيد عنه فحـــد
هب الدهر لم يتحامل علـــي ... سواك فهل لك منه القـــود
وان يسقك اليوم من آجـــن ... صرى لا يذاق ولا يــــزدرد
فقد كان يسقيك من صـــفوه ... نطاف الفوادي بذوب الشـــهد
كذاك تجيء حروف الزمـــا ... ن على ما اردت وما لم تـــرد
وقد يسبق الفوت وشك العجـــو ... ل ويدرك حاجته المتئـــد
وان خالط الدهر فاصبر علـــي ... تلونه فمع اليوم غـــد
عذاري الغداة من الاطيبـــين ... اهل القباب الطوال العمـــد
من آل ابي الفضل عم النبـــي ... وجدي فاكرم بعم وجـــد

وله في الشيب وذمه :

اذا سال وادي الشيب في مفرق الفتى ... وقنع منه عمة المتلثـــم
فياقبح ما تحكي المراة لعينـــه ... ويا بعده من كل عيش ومنعـــم

ومن شعره في الليل ليل العاشق :

مضى الليل الا ان ليلي لا يمضي ... وان جفوني لم تـــرو مـــن الغمض
اذا صد عنك الدهر يوما بوجهـــه ... تقاضاك من احسانه سالف القرض

ومن شعره الجيد :

تحاماني الصديق وغاب عنـــي ... ثقات صنائعي وهم حضـــور
وقلوا في البلاد وكان عهـــدي ... بهم زمن الرخاء وهم كثـــير
فلم يك في يدي منهـــم ومحـــا ... ذ حزتهم له الا الغـــرور
ايا عجبا اما في الناس ممـــن ... تقلد نعمتي رجل شـــكور

الوفاء الكامل :

الم تعلمي يا آل فهـد بـن مالك ... رميت بنفسي دونكم في المهالـك
بلي فا علمي باآل فهر بانـنـي ... اخوك الذي اعطاك حق اخائـك
اخوك الذي يقرى عدوك صـرما ... حساما ويقرى درة في شـفائك
اجود بمالي دون مالك تـارة ... وطورا اقيم الغر تحت لوائـك

ومن شعره الشباب والشيخ :

وقد يصدق السيف يوم الوعـن ... اخاه وان كان رث القـراب
كأن سنا بارق مسـتطير ... بين ذؤابته والذبـاب
كذاك الرجال يكون الفتـى ... صليبا وذو الشيب صلب النصاب

ومن المتشبيهات النادرة المستحكمة قوله :

بكل جلالة عيساء حـرف ... علنداة واعنس عجـرفي
اذا شدت بها الانساع اصـغت ... كما اصغى النجي الى النجـي
وراغية تنتك عن النصـابي ... كما تنت الضعيف يد القـوي
هناك شكوت ما تلقي اليهـا ... كما يشكو الفقير الى الغنـي
تسـاقط وهي فاتـرة المـآقي ... تساقط مهجة الضبي الرمـي
وتجري الخمر بعد النوم منهـا ... على سبطين من در نقـي
شكت اشراف فيمها عليهـا ... كما يشكو اليتيم من الوحـي
ارتك محاسبا منهـا اختلاسـا ... تضيء اضاءة البرقي الخفـي
كتخليل الالوة ثم زالـت ... زوال الفيء في ظل العشـي
ويلذع مهجني ذو العدل فيهـا ... كلذع السوط خاصرة البطـي
كأن الليل زيد اليه ليـل ... مقيم فاستمر على الشـجي

ومن شعره :

هو الحر اخلاقا وبرا وشـــيمة ... وعقلا وخير القوم من أوتي العقــلا
تراه طليقا وجهه متهـــــــللا ... كأن صقيلا من عوارضه يجلـــى

ومن قوله الزمان القلب :

يا ايها المتشاوس المتغاضـــــب ... المعرض الجاني العبوس القاطـب
لا انت لي ســـلم فتنصـرني ولا ... حرب اذا نصب العدو مناصــــب
قلب الزمان هواك عن منهاجـــه ... ان الزمان لكل حال قالــــب

ومن شعره كحل العيون بلا كحل :

هيف الحضور قواصد النبـــل ... قتلننـــا بنواظـــر نجـــل
كحل الجمال جفون اعينهــــا ... فغنين عن كحل بلا كحــــل

وقال ايضا :

يا عائبي عند اعدائي ليرضـــيهم ... وبائعي بيسير ما له خطـــــر
اظهرت انـك لا انت العـدو ولا ... انت الولي الذي يصفى ويدخـــر
فما تحول من سلمي ولا أجــــا ... ركن ولا خفت شمس ولا قمــر

وقال يرثي ولده احمد وهو اكبر ولده :

نأي آخر الايام عنك حبيــــب ... فللعين سح دائم وغــــروب
يؤوب الى اوطانه كل غائـــب ... واحمد في الغياب ليس يـــؤوب
تبدل دارا غير داري وجـــيرة ... سواي واحداث الزمان تنـــوب
اقام بها مستوطنا غير ائــــه ... على طول ايام المقام غـــريب
وكان نصيب العين من كل لـــذة ... فامســـى وما للعين فيـه نصـيب
كأن لم يكن كالغصن في مبعة الضحى ... زهاه الندى فاهتز وهو طيـــب

كأن لم يكن كالصقر أو في بشامخ الذرى وهو يقظان الفؤاد طلـوب
كأن لم يكن كالرمح يعدل صـدرة غداة الطعان لهزم وكعـوب
بقض الحديد المحكم النسج وحده ويبدو وراء القرن وهو خضـيب
وريحان قلبي كان حين اشـمه ومؤنس قصري كان حين اغيـب
كأني منه كنت في نوم حالـم نفي لذة الاحلام عنه هبـوب
جمعت أطباء العراق فلم يصب دواءك منهم في البلاد طبيـب
ولم يملك الآسون نفعا لمهجـة عليها لاشراك المنون رقيـب
واني دان قدمت قبلي لعـالم باني وان أخرت منك قريـب
وان صباحا نلتقي في مسـائه صباح الى قلبي الغداة حبيـب

اخلاق حث على مثلها القرآن :

حدثنا الصولي في كتابه الاوراق : كانت يد ابراهيم بن المهدي في يد ابي العتاهية بمكه وهو ينشد :

عجبا عجبت لغفلة الانسـان قطع الحياة بغرة وتوانـي
فكرت في الدنيا وكانت منـزلا عندي كبعض منازل الركبـان
ابغي الكثير الى الكثير مضـاعفا ولو اقتصرت على القليل كفاني
الله در الوارثين كأنـني باخصهم متبرما بمكانـي
قلقا لتجهيزي الى دار البـلا متحريا لكرامتي بهـواني
متبرما منـي اذا نشر الثرى فوقي طوي كشحا على هجراني

فقال له قائل لو قرأتها كان انهم لكما ، فقال له ابراهيم هذه اخـلاق حث عليها القرآن .

العيش حلو والمنون مريرة :

لما لبس ابو العتاهية الصوف كتب اليه ابراهيم بن المهدي :

ان المنية امهلتك عتاهـــي والموت لا يسهو وقلبك ســـاهي

يا ويح ذا البشر الضعيف امالــه عن غيه قبل الممات تناهـــي

وكلت بالدنيا تبكيها وتنـــد بها وانت عن القيامة لاهـــي

العيش حلو والمنون مريـــرة والدار دار تفاخر وتبـــاه

فاجعل لنفسك دونها شـــغلاولا تتجاهلن لها فانك داهـــي

لا يعجبك ان يقال مفـــوه حسن البلاغة أو عريض الجـــاه

اصلح فسادا من سريرتك التـــي تلهـو بهـا وارهـب مقــام الله

ما الزهد من رجل الد مكـــذب بالبعث غير ضلالة وســـفاه

واري المقالة غـير صــالحة وان اظهـرت غـير مقالـــة الاواه

اني رأيتك مظهرا لزهـــادة نحتاج منك لها الى اشـــباه

ان كان لبس الصوف حجتك التـي تدعو النجاة فانني لك ناهـــي

ما في يديك من اللباس اذا نمـوت منك السريرة غير حبل واهـــي

لا شيء يقبل منك الامابـــه حكمت عليك نواطق الافـــواه

والامر بعد عليك ديحك واســـع ما لم تسو الهنا بالـــــه

فقال ابو العتاهية انا عن بجواب مثله وماله عندي الا ما يجب .

فصول من كتاباته :

بعد ان عرضنا النماذج الكثيرة من اشعاره نقـدم في هـذا الفصل مكاتباته حيث علمت مما قدمنا في صدر الموضوع عن ابراهيم بانه اول من نبغ من اولاد الخلفاء وانه كان الاول في الغناء ثم انه الشاعر الكاتب وان محدثنا عنه في هذه الفصول هو الصولي في كتابه اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق . وانها مكاتبات تصور لنا الخلافة تصويرا كاملا .

الله يمتعنى بك :

كتب ابراهيم الى طاهر كتابا منه : زادك الله نلحق قضاء . وللشكر

اداه . ابلغني رسولي عنك ما لم ازل اعرفه منك ، والله يمتعني بك ، ويحسن في ذلك عن جزاءك ، ومع ذلك فاني اظن اني علمتك الشوق لاني ذكرته لك، فهيجته منك والسلام وفصل منه الى منصور بن المهدي :

وما الحق الا حق الله ، فمن اداة فلنفسه ، ومن قصر عنه فعليها نسأل الله ان يعمرنا بالحق ، ويصلحنا بالتوفيق ويحصننا بالتقوى .

والى العباس بن موسى :

عبد الرحمن بن عبد الله من لا احتاج الى وصـف حاله لك ، ولعلي عرفتها بعدك ، غير اني احب مسرته بقضاء حقه ، وواجب حرمته من مودته وموالاته ، وقـد جعلك ممن يحافظ على ذلك ومثله ، اراك الله ما تحب ان تحفظني وتمسك فيه ، وتولية ما جعلك الله اهله وجعله حقيقا به .

وفي كتاب له :

لو عرفت فضل الحسن لتجنبت القبيح ، وانا واياك كما قال زهير :

وذي خطل في القول يحسب انـه   مصيب فما يلمم به فهو قائلـه
عبأت له حلمي واكرمت غـيره   واعرضت عنه وهو باد مقاتلـه

وان من احسان الله الينا واساءتك الى نفسك ، انا صفحنا عما امكننا وتناولت ما اعجزك فله الحمد كما هو اهله .

وفصل له :

لم يبق لنا بعد هذا الجنس شيء نمد اعيننا اليه الا الله الذي هو الرجاء قبله ومعه وبعده .

فصل له :

اما الصبر فمصير كل ذي مصيبة . غير الحازم يقدم ذلك عند اللوعة طلبا للمثوبة ، والعاجز يؤخر ذاك الى السـلوه ، فيكون مغبوبا نصيب

الصابرين • ولو ان الثواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع لكان ذلك اثقل علينا • لان جزع الانسان قليل وصبره طويل • والصبر في أوانه ايسر مؤونه من الجزع بعد السلوه • ومع هذا فان سبيلنا من انفسنا على ما ملكنا الله منها ان لا نقول ولا نفعل ما كان لله مسخطا ، فاما ما يملكه الله من حسن عزاء النفس فلا نملكه لانفسنا •

وفصل له :

وصل كتابك السار المؤنس ، فكان سر طالع الى واحسنه موقعا مني ، اذ كنت استعلي بعلوك وارى نعمتك تنحط الى ، ويتصل بي ما يتصل بالاونين من لحمتك ، وحملة شكرت ومظان معروفك والمقيمين على تأميلك • فلا اعد من الله ما استجنى ولا ازال عني ظلك ولا افقدني شخصك •

وله :

كتبت اليك ونحن في عافية مجدده ، والحمد لله المتطول بالنعمة المرجو للمزيد ، ولست وان باعدتك الدار مني ، ونأى بك الزمن عنا بمفصي القلب عن برك بالذكر ، والعناية ، ولا اللسان بالدعاء ، والمسئلة ، ولا النيه في الاخلاص والمحبة لاحياء العهد بالمكاتبة وتجديد الوصله بالمراسله •

فأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : التواصل بين الناس في الحضر التزاور ، وفي السفر التكاتب •

وهذا فصل اخر :

حدثنا الصولي (١٤) عن عون بن محمد الكندي قال حضرت مع ابي وعمي دار بعض ولد العباس بن محمد لنعزيه على ميت لهم ، فجاء ابراهيم بن

---

(١٤) اشعار اولاد الخلفاء من كتاب الاوراق ص ٢٦ ط ١٣٥٥ هـ .

المهدي فتشوفه الناس وقاموا له ـ وذلك قبل العشرين ومائتين ـ قال ولم آكن رأيته قط ، فاذا انا برجل سمين آدم غليظ الشفتين ، حسن العين ، حسن الانف ، فتكلم في التعزية فاحسن وحفظ الناس كلامه ولم اسمع انا ما قال حين جاء ، ثم نهض فقال « تابع الله النعم لديكم واحسن العوض لكم واخلف عليكم ، ولقى الله فلانا ازكي عمله وقبل حسنته وغفر قبيحه .

ذكر ابن خلكان المتوفى في عام ٦٨١ هـ في وفيات الاعيان ان ولادة ابراهيم بن المهدي كانت في غرة ذي القعدة سنة اثنتين وستين ومائـه ، وتوفى يوم الجمعة لتسع خاون من شهر رمضان سنة اربع وعشرين ومائتين (بسر من رأى) وصلى عليه ابن اخيه المعتصم رحمة الله .

اما ما ذكره الصولي في كتابه الاوراق فهـو يحـدثنا بما يأتي قال : (اعتل ابراهيم بن المهدي في سنة اربـع وعشرين ومائتين وأوصى وصـية شهد بها لجماعة من بني العباس رحمة الله عليه ثم اوصى لولد ابي بكر وعمر وعثمان وطلحه وسائر ولد العشيرة رحمة الله عليهم ولاولاد الانصـار ولم يوص لولد علي عليه السلام بشيء فقال الواثق : قبح الله فعله ، ترك اهله وخالف رسول الله صلى الله عليه وسـلم في قوله (ادانيك ادانيك) والله لا امضاها امير المؤمنين على هذه الصفه فلما توفى امر المعتصم بالله ان يجعل لولد علي عليه السلام من الوصية كما لولد العباس عليه السلام وامضاها على ذلك .

قال واشتدت علة ابراهيم بن المهدي في شهر رمضان من سنة اربـع وعشرين ومائتين ، وجعل يشرب الماء فلا يروي ، ووجه الى المعتصـم يطلب ثلجا ، وكان قد عز وجوده في ذلك الوقت فأمر ان تصرف وظائف الثلج كلها اليه فلما مات ركب المعتصم وصلى عليه وكبر خمسا وانصرف قبل ان يدلى في قبره وتقدم الى هارون الواثق ان يتولى ذلك . ويقف الى ان يجن ففعل كارها وانصرف .

وهكذا يطوي التاريخ صفحة من صفحات شخص قد ابدع في الغناء فاحكم اصوله وضبطه ضبطا علميا كما جود في الشعر بشتى ضروبه ودبج المراسلات وتولى شؤون الادب اضافة لامور الخلافة ودفن بسر من رأى ولكن الذي يحز في النفس ويجرعها غصص الامر هو ان قبره غير معروف نظـرا لضياع معالمها للادوار القاسية الظالمة التي مرت عليها • ومزقتها شر ممزق • وقد شرحت هذه الادوار القاسية في كتاب تاريخ سامراء قديما وحديثا(+) وفصلت الوقائع والحوادث تفصيلا مستنبطا فلتراجع هناك •

(+) هذا الكتاب مازال مخطوطا وهو من الدراسات الواسعة جدا عن مدينـة سامراء من مختلف جوانبها الادبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية ...

احمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر أبو جعفر النحوي

عندما كانت مدينة « سر من رأى » مركز ثقل الخلافة العباسية فقدأمها وقصدها رجال العلم والادب على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم وكل جاء اليها لحاجة في نفس يعقوب . وان من بين القاصدين اليها المتصدرين في محافلها احمد بن عبيد النحوي . وقد اشتهر بهذا اللقب لكثرة جولاته النحوية في المجالس التي كان يعقدها لطلاب هذا العلم او تعقد له للمناقشة والنقد .

واما من الان حديقة تعبق فيها اربع رياحين فتعطر ترجمته وهذه الرياحين هي كتاب أنباه الرواة على انباه النحاه والفهرست ، وتاريخ بغداد ومعجم الادباء .

فانباه الرواة يقول انه مولي بني هاشم ويعرف بأبي عصيده وهو ديلمي الاصل . كان نحويا متصدرا للاقراء « بسر من رأى » وهو معدود في نحاة الكوفة .

---

(١) انباة الرواة على انباه النحاه ج : ١ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ط : ١٩٥٠ م : دار الكتب المصرية .

اما تاريخ بغداد (٢) ، فانه يؤيد كتاب انباه الرواة على انباه النحاة ويقول احمد بن عبيدة بن ناصح بن بلنجر ابو جعفر النحوي مولى بني هاشم ويعرف بابي عصيدة وهو ديلمي الاصل •

ويؤيد صاحب الفهرست (٣) ، اللقب كصاحبيه فيقول : اخبار ابي عصيده ، ولم يسمه بالاسم الذي سماه به انباه الرواة وتاريخ بغداد • ويظهر من كلام صاحب الفهرست ان شهرته بهذا اللقب اكثر شيوعا من اسمه الحقيقي وهذا ما يشاهد كثيرا بالنسبة لغيره حتى في زماننا هذا •

شيوخه وطلابه :

حدث عن الوافدي والاصمعي وابي داود الطيالسي ، وزيد بن هارون وغيرهم • هذا ما قاله معجم الادباء (٤) •

اما شيوخه الذين يذكرهم الخطيب البغدادي(٥) فهم الواقدي والاصمعي والحسين بن علوان الكلبي وعلي بن عاصم وابو داود الطيالسي وعبد الله بن بكر السهمي ويزيد بن هارون وابي عامر العقدي ومحمد بن زبار الزباري ومحمد بن مصعب القرقساني •

وطلابه الذين رووا عنه فهم كما يذكرهم معجم الادباء القاسم بن محمد بن بشار الانباري واحمد بن حسن بن شهير •

ويذكر الخطيب هؤلاء الذين ذكر معجم الادباء ويزيد عليهم علي بن

---

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج : ٣ ص ٢٥٨ ط : ١٣٤٩ م : السعادة مصر •

(٣) الفهرست لابن النديم ص ١٠٨ م : الرحمانية .

(٤) معجم الادباء ج : ٣ ص ٢٢٨ .

(٥) نفس المصدر السابق .

محمد المصري ومحمد بن جعفر الادمي القاري وعبد الله بن اسحاق بن الخراساني .

ويذكر الخطيب ما روى عنه فقال : حدثنا ابو جعفر احمد بن عبيد ابن ناصح النحوي « بسر من رأى » حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدثنا حميد عن انس بن مالك قال : اني رجل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة فقال (متى الساعة) يا رسول الله ؟ قال : « ما اعددت لها ؟ » قال : والله يا رسول الله ما اعددت لها كثير عمل من صوم ولا صلاة ، غير اني احب الله ورسوله ، فقال صلي الله عليه وسلم (المرء مع من احب) قال لما رأيت المسلمين فرحوا بشيء فرحهم بها .

ويروي له الخطيب البغدادي احاديث اخرى ينكرها عليه ويعلل فيها سبب انكاره ويعضد حكمه هذا بما كتبه فقال : قرأت في كتاب ابن سعيد المليني اخبرنا عبد الله بن عدى الحافظ . قال : احمد بن عبيد ابو عصيده النحوي كان بسر من رأى يحدث عن الاصمعي ومحمد بن مصعب بمناكير .

وقال : اخبر لي احمد ابن علي اليزدي نقلا عن الحافظ النيسابوري ابي احمد قال : احمد بن عبيد بن ناصح الهاشمي مولاهم ، لا يتابع في جل حديثه ويؤيد الخطيب في هذا الانكار عليه معجم الادباء فقد قال : وكان ضعيفا فيما يرويه .

تاديبة أولاد المتوكل :

تجمع التراجم على هذه القصة التي اقدمها اليك ايها القاريء العزيز وانها وان اختلفت الفاظها فان مآلها واحد وقد وردت هذه القصة في المصادر التي قدمتها لك عدا الخطيب البغدادي .

واني انقلها اليك من كتاب انباه الرواة على انباه النحاة فقد قال :

ولما اراد المتوكل ان يأمر باتخاذ المؤدبين لولديه المنتصر والمعتز جعل ذلك الى ايتاخ فأمر ايتاخ كاتبه بتولي ذلك فبعث الى الاحمر والطوال وابن قادم • واحمد بن عبيد وغيرهم من الادباء فاحضرهم مجلسه فجاء احمد بن عبيد فقعد في اخر الناس ، فقال من قرب منه لو ارتفعت ، فقال : حيث انتهى بي المجلس • فلما اجتمعوا فقال لهم الكاتب لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم •

فالقى لهم بيت ابن غلفاء وهو :

ذريني انما خطئي وصـــــــــــوبي
على وان ما انفقت مـــــــــــال

وقال : ارتفع (مال) بماذا ؟ فقيل ارتفع « مال » بما اذ كانت موضع الذي ثم سكتوا • فقال احمد بن عبيد : هذا الاعراب فما المعنى ؟ فاحجم القوم فقيل له : ما المعنى عندك ؟ فقال : اراد ما لومك اياي انما انفقت مالا ولم انفق عرضا والمال لا الام عليه في انفاقه • فجاء خادم من صدر المجلس فأخذ بيده حتى تخطى به الى اعلى المجلس وقال : ليس هذا موضعك فقال : لان اكون في مجلس ارفع منه الى اعلاه احب الى من ان اكون في مجلس ارتفع منه الى اخره ثم احط عنه • واختير واخر معه ، وهو ابن قادم •

درس عملي مع المعتز ابن المتوكل :

يحدثنا معجم الادباء في ثنايا ترجمته عن هذا الموضوع فيقول : حدثنا القاسم عبيد الله ابن محمد جعفر الازدي قال : سمعت احمد بن عبيد بن ناصح يقول : لما اراد المتوكل ان يعقد للمعتز ولاية العهد حططته عن مرتبته قليلا ، وأخرت عذاء • عن وقته فلما كان وقت الانصراف قلت للخادم احمله، فضربته من غير ذنب ، فكتب بذلك للمتوكل : فانا في الطريق منصرفا ، اذ لحقني صاحب رسالة فقال : امير المؤمنين يدعـوك ، فدخلت على المتوكل

وهو جالس على كرسي والغضب يبين في وجهه ، والفتح قائم بين يديه متكئا على السيف ، فقال : ما هذا الذي فعلته يا ابا عبد الله ، قلت : اقول يا امير المؤمنين ؟ فقال : قل ، انما سألتك لتقول ، قلت : بلغني ما عـزم عليه امير المؤمنين ــ اطال الله بقاءه ــ فدعوت ولي عهده وحططت منزلته ليعرف هذا المقدار فلا يعجل بزوال نعمة احد ، واخرت غداءه ليعرف هذا المقدار مـن الجوع ، فاذا شكى اليه الجوع عرف ذلك ، وضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يعجل على احد قال : فقال احسنت وامر لي بعشرة الاف درهم ثم لحقني رسول قبيحه بعشرة الاف اخرى فانصرفت بعشرين الف .

المعتز يسأل استاذه ابا عصيده :

وحدث صاحب معجم الادباء عن احمد بن ناصح قال : قال لي المعتز يوما بامؤدبي ، تصلي جالسـا ؟ وتضـربني قائما ؟ فقلت له : وضربك من الفروض ولا اؤدي فرض الا قائما .

خطاب ووداع :

ومن انشاد احمد بن عبيد كما جاء في ترجمته في كتاب معجم الادباء قوله :

ضعفت عن التسليم يوم فراقنـــــــا
فودعتها بالطرف والعين تدمـــــــــع

وامسكت عن رد السلام فمـــــــن رأى
محبا بطرف العين قبلي يـــــــودع

رأيت سيوف البين عند فراقنـــــــا
بأيدي جنود الشوق بالموت تلمـــــع

عليك سلام الله من مضـــــــاعفا
الى ان تغيب الشمس من حيث تطلـــــع

مؤلفاته :

ذكر صاحب الفهرست وانباه الرواة على انباه النحاة ومعجم الادباء بان له من الكتب كتاب المقصور والمحدود وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب الزيادات من معاني الشعر ليعقوب واصلاحه وكتاب عيون الاخبار والاشعار .

هذا ولم تذكر كتب التراجم شيئا عن ولادته ولا عن وفاته ومكانها ويلوح لي من الحوادث التي سايرت قتل المتوكل ان ذكر هذا الاديب قد درس كما درس ذكر غيره ممن كانوا يلتفون حول بلاط المتوكل وقبيحه وهكذا يسدل التاريخ ستارا كثيفا عن وقائع كثيره منها ما فعله المتلاعبون بمقدرات الدولة العباسية ومنها الحرق والغزو والاتلاف الذي حصل ابان الحروب المدمرة والتي اشدها وقعا حروب هولاكو . وتلاعب ابن عبد الحق صاحب مراصد الاطلاع واصحابه في المخلفات العلمية والادبية . وعسى الايام تكشف لنا صفحات جديدة عن هذا الاديب .

ابن حماد

واسمه محمد بن حماد وقد ورد ذكره في مروج الذهب للمسعودي (١) والذي يفهم من كلامه انه كان من الرجال المشرفين على الاعمال الخاصة بالخليفة أو ما نسمية اليوم رئيس التشريفات . وهذا هو قوله : وكان المعتصم يأنس بعلي بن الجنيد الاسكافي وكان عجيب الصورة عجيب الحديث فيه سلامة اهل السواد فقال المعتصم يوما « لمحمد بن حماد » اذهب بالغداة الى علي بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملني فأتاه فقال : ان امير المؤمنين يأمرك ان تزامله فتهيأ لشروط مزاملة الخلفاء ومعاولتهم فقال علي بن الجنيد : وكيف اتهيأ ؟ اهيء لي رأسا غير رأسي ؟ أأشتري لحية غير لحيتي ؟ أأزيد في قامتي ؟ انا متهيء وفضله ، قال لست تدري بعد ما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم ؟ فقال علي بن الجنيد وما هي ؟ هات يا من تدري . قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا وكان يرسم الحجاب : شرط المعادله الامتاع بالحديث والمذاكره والمناوله وان لا يبزق ، ولا يسعل ولا يتخنح ولا يمخط . وان لا يتقدم الرئيس في الركوب اشفاقا عليه من الميل ، وان يتقدمه في النزول ، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان والمتقله الرصاص التي تعدل بها القبه سراء ، وليس له ان ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه

(١) مروج الذهب ج ٤ ص ٤٨ ، ٤٩ .

وما هو راكبه ، لانهما اذا ناما جميعا فمال جانب لا يشعر بميله كان في ذلك ما لاخفاء به ، وعلي بن الجنيد ينظر اليه ، فلما اكثر عليه في هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول اهل السواد : آه حرها اذهب له فقل له : ما يزاملك الا من لمه زانية وهو كشخان فرجع ابن حماد فقال المعتصم ما قال ، فضحك المعتصم وقال جئني به فجاءه فقال : يا علي ابعث اليك تزاملني فلا تفعل ؟ فقال : ان رسولك هذا الجاهل الازعر جاءني بشروط حسان الشاشي وخالويه المحاكي فقال : لا تبزق ، ولا تفعل كذا ، وافعل كذا ، وجعل يمطط في كلامه ، ويفرفع في صاداته ، ويشير بيديه ، ولا تعطس ولا تسعل ، وهذا لا يقوم لي ولا اقدر عليه ؛ فان رضيت ان ازاملك فان جاءني الفساء فسوت عليك وخرطت واذا جاءك انت فأده فافسو واخرط والا فايس بيني وبينك عمل ، فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وذهب به الضحك كل مذهب وقال : نعم زاملني على هذه الشريطه قال : نعم وكرامه ، فزامله في قبة على بغل ، فسارا ساعة وتوسطا البر ، فقال علي يا امير المؤمنين حضر ذلك المتاع فما ترى ؟ قال : ذلك اليك اذا شئت ، قال : تحضر ابن حماد ؛ فأمر المعتصم باحضاره فقال له علي : تعال حتى أسارك ، فلما دنا منه فسا وناوله كمه وقال : اجد دبيب شيء في كمي فانظر ما هو ، فأدخل رأسه ، فشم رائحة الكنيف ، فقال : ما ارى شيئا ولكني لم اعلم ان في جوف ثيابك كنيفا ، والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ؛ ثم جعل يفسو فساء متصلا ، ثم قال لابن حماد ، قلت لي لا تسعل ولا تبزق ولا تمخط فلم افعل ولكني اخري عليك ، قال : فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ، ثم قال للمعتصم قد نضجت القدر واريد اخرى ، فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه : ويلك يا غلام الارض الساعة ! موت .

هذا ما عثرنا عليه من ترجمته . حيث ان المسعودي وحدة قد انفرد بهذه الحكاية عن بقية المراجع التي بأيدينا .

الحسن بن عليل

هو الحسن بن عليل بن الحسين بن علي بن جيشى ابن سعد ابو علي العنزي ، نسبة الى قبيلة (عنزه) وهي احدى القبائل العربية المشهورة .

ويذكر كتاب انباه الرواة على انباه النحاة (١) أنـه الاديب اللغـوي الاخباري صاحب النوادر عن العرب وكان صدوقا واسم ابيه علي ولقبـه عيل (بالتصغير) وهو الغالب عليه .

ويورد كتاب تاريخ بغداد نفس الترجمة عنه فيقول : وكان صاحب ادب واخبار وكان صدوقا واسم ابيه علي ولقبه عليل وهو الغالب عليه .

من روى عنهم وروى عنه :

فقد روى عن يحيى بن معين ، وهدبه بن خالد ، وابي خيثمه زهير بن حرب وعبد الله بن مروان بن معاويه ، وقعنب بن المحرز الباهلي ، وابي الفضل الرباشي (٢) .

اما الذين رووا عنه فهم قاسم بن محمد الانباري . والحسين (٣) بن

---

(١) ج : ١ ص ٣١٧ ط : ١٣٦٩ م : دار الكتب المصرية .
(٢) نفس المصدر . السابق
(٣) تاريخ بغداد ج : ٧ ص ٣٩٨ .

القاسم الكوكبي واحمــد بن محمد الجوهــري • وعبد الله بن اســحاق الخراساني وعبد الباقي بن قانع •

الاقوال المروية عنه :

يحدثنا بذلك تاريخ بغداد (٤) فيقول : قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تباع صبرة الطعام بصبرة الطعام ، لا يدري ما كيل هذا ولا كيل هذا •

وقال في رواية حديث نبوي اخر : مجالسة الثقيل حمى الروح •

شعره :

لم ترد لنا كتب الادب الا نزرا من شعره وقد وردت الابيات التالية في مصدرين هما انباه الرواة على انباه النحاة وتاريخ بغداد •

قال :

كل المحبين قد ذموا السهاد وقـــــــــــد
قالوا باجمعهم طوبي لمن رقـــــــــــدا
وقلت يارب لا اهوى الرقـــــــاد ولا
الهوبشـــيء ســـوى ذكـرى لـــه ابـــدا
ان نمت نام فؤادي عن تذكـــــــــــره
وان سهرت شكا قلبي الذي وجـــــــدا

وفاته :

لقد اختلف اصحاب التراجم والسير اختلافا بسيطا في شهر وسنة وفاته

---

(٤) نفس المصدر السابق .

فذكر انباه الرواة على انباه النحاة (انه مات ــ رحمه الله في سلخ المحــرم أو صفر سنة تسعين ومائتين « بسر من رأى ») .

وذكر تاريخ بغداد انه (مات سلخ المحرم أو غرة صفر ــ سنة تسعين ومائتين ــ قلت وبسر من رأى كانت وفاته .

لقد انفرد انباه الرواة على انباه النحاة بذكر ما له من المؤلفات فقال : فما رأيته من تصنيفه ــ وهو بخطه ، وملكته ولله الحمد ــ كتاب النوادر ــ .

احمد بن ابراهيم بن حمدون

ويلقب بالنديم لانه كان ينادم الخلفاء ولم يكن هو لوحده من الذين قد اشتهروا بالنديم فأن احمد بن ابراهيم الذي اكتسب هذا اللقب قد كان نديما للمعتصم (١)، وابو العبيس بن ابي عبد الله بن حمدون وابنه ابراهيم بن ابي العبيس فكلي واحد منهم معروف بالنديم وقد نادموا الخلفاء .

ويؤيد هذا ما ذكره معجم الادباء بقوله « وكان ابوه ابراهيم واظن انه الملقب بحمدون ينادم المعتصم ثم الواثق بعده ، وكان يعاتب المتوكل في ايام اخيه الواثق وجاء مرة بحية واخرج رأسها من كمه تعريضا بانه شجاع(٢) وكان ذلك يعجب الواثق . ولما مات الواثق نادم حمدون المتوكل فلما كان في بعض الايام أمر المتوكل باحضار فريدة جارية اخيه الواثـق فاحضرت مكرهة ودفع اليها عود فغنت غناء كالندبة فغضب المتوكل وامرها ان تغني غناء فغنت بتحزن وشجتى فزاد ذاك في طيب غنائها فوجم حمدون للرقه التي تداخلته ، فغضب المتوكل ورأى انه فعل ذلك بسبب اخيه الواثق حزنا عليه وكان يبغض كل من مال اليه فأمر بنفيه الى السند وضربه ثلثمائة سـوط

---

(١) معجم الادباء ج : ص ٢٠٩ ، ٢١٠ وكذا وردت الرواية في الشـابتي في كتاب الديارات .

(٢) شجاع : اسم ام المتوكل

فسأل ان يكون الضرب من فوق الثياب لضعفه عن ذلك فاجيب الى ذلك اقام منفيا ثلاث سنين .

حمدون يحدث عن المعتصم :

قال (٣) ، دعاني المعتصم يوما فدخلت اليه وهو في بعض مجالسه والى جنبه باب صغير فحادثته مليا الى ان رأيت الباب قد حرك وخرجت منه جارية بيضاء مقدودة حسنة الوجه وبيدها رطل وعلى عنقها منديل فأخذ الرطل من يدها فشربه ثم قال : أخرج يا حمدون فخرجت فكنت في دهليز الحجرة فلم البث ان دعاني فدخلت وهو على حالة ، فحادثته مليا ثم حرك الباب فخرجت جارية كأحسن ما يكون من النساء سمراء رقيقة اللون بيدها رطل فأخذه وشربه ، وقال : ارجع الى مكانك فخرجت فلبثت ساعة هناك ثم دعاني فاتيته وحادثته ساعة وحرك الباب فخرجت أحسن الثلاث بيدها رطل ومعها منديل فأخذ الرطل فشربه وقال : ارجع الى مكانك فخرجت فلبثت ساعة ثم دعاني فدخلت « فقال لي : اتعرف هؤلاء » ؟ قلت : معاذ الله ان اعرف احدا ممن هو داخل دار امير المؤمنين ، فقال : احداهن ابنة بابك الحزمي ، والاخرى ابنة المازيار أو « المازيان » والثالثة ابنة بطريق عمورية ، افترعتهن الساعة وهذه نهاية الملك يا حمدون .

عود على بدء :

ذكرنا فيما تقدم ان ابناء حمدون من الذين اشتهروا في المنادمة . ونذكر الان النص الادبي الذي يؤيد ذلك فقد قال معجم الادباء (٤) ، واما ابو محمد بن حمدون فذكر حجظة ان مولده في سنة سبع وثلاثين ومائتين

---

(٣) معجم الادباء نفس المصدر .

(٤) معجم الادباء نفس المصدر السابق .

وتوفي ببغداد في رمضان سنة تسع وثلاثمائة ونادم المعتمد وخص به وكان من ثقاته المتقدمين عنده وله معه اخبار •

واما ابو العبيس بن ابي عبد الله بن حمدون احد المشـهورين بجودة الغناء والصنعة فيه وابنه ابراهيم بن ابي العبيس ايضا من المجيدين في الغناء وشجاء الصوت فهؤلاء المعروفون بمنادمة الخلفاء من بني حمدون •

من هو ابن النديم :

ذكر الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديـارات (٥) ، انه « اديب لغوي من اهل المائة الثالثة للهجرة • كان استاذ ابي العباس ثعلب وخصيصا بالمتوكل ونديما له •

وذكر معجم الادباء انه « النديم ابو عبد الله ذكره ابو جعفر الطوس في مضفي الامامية وقال ، هو شيخ اهل اللغة ووجههم واستاذ ابي العباس ثعلب ، قرأ عليه قبل ابن الاعرابي وتخرج من يده وكان خصيصا بأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام ، وابي الحسن قبله وله معه مسائل واخبار •

لماذا نفاه المتوكل الى تكريت ؟

امامي الان مصدران يذكران السبب معجم الادباء والدبارات للشابشتي ولما كانت رواية الدبارات اقدم فاننا سنعول عليها في النقل قال : وكان سبب نفي المتوكل له ان الفتح بن خاقان كان يعشق شاهك خادم المتوكل واشتهر الامر فيه حتى بلغة وله فيه اشعار منها •

اشاهك ليلي مذهجرت طويـــل	وعيني دما بعد الدموع تسـيل
وبي منك والرحمن مالا اطيقــه	وليس الى شكوي اليك سـبيل
اشاهك لو يجزي المحب بـوده	جزيت ولكن الوفاء قليـــل

---

(٥) كتاب الدبارات ص ٤ ط : ١٩٥٠ ، تحقيق كوركيس عواد .

وكان ابو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتح فعرف المتوكل الخبر فاستدعي ابا عبد الله وقال له : انما اردتك وادنيتك لتنادمني ليس لتقود علي غلماني فانكر ذلك وحلف يمينا حنث فيها فطاق من كانت حرة من نسائه واعتق من كانت مملوكه ولزمه حج ثلاثين سنة فكان يحج كل عام •

قال : فأمر المتوكل بنفيه الى تكريت فأقام بها اياما ثم جاءه زرافة (٦)، في الليل على البريد فبلغه ذلك فظن انه يعني المتوكل لما شرب بالليل وسكر أمر بقتله فاستسلم لامر الله فلما دخل عليه قال : جئت في شيء ما كنت احب ان اجيء بمثله في مثاه ! قال : وما هو ؟ قال : امر امير المؤمنين بقطع اذنك! وقال : قل له : لست اعاملك الا كما يعمل الفتيان ! فرأى ذلك اسهل مما ظنه من القتل فقطع غضروف اذنه من خارج ولم يستقصه وجعله في كافور معه وانصرف • وبقى منفيا ثم حرر ابو عبد الله الى بغداد الى منزله فأقام به مدة •

العودة الى منادمة المتوكل :

لم تذكر المصادر سبب اعادته بل ذكرت كما قال الشابشتي في الدبارات « واعاده المتوكل الى خدمته وكان اذا دعا به قال على جهة المزاح يابا عبيد • ولما رضى عنه قال له : هل لك في جارية اهبها لك ؟ فأكبر ذلك وانكره فوهب له جارية يقال لها « صاحب » •

من هي صاحب ؟

لازلنا مسايرين لركب الدبارات للشابشتي (٧) ، وصاحب هي جارية

---

(٦) زرافة من اصحاب دولة المتوكل وكان هو الجلاد .
(٧) نفس المصدر السابق .

من « جواريه حسنة كاملة الادب الا ان بعض الخدم رد السبطانه (٨) ، على فمها وقد ارادت ان ترميه فصدع احدى ثنينها فاسودت فشأنها ذلك عندم وحمل معها كل ما كان لها وكان شيئا عظيما كثيرا . فلما مات ابو عبد الله تزوجت صاحب بعض العلويين قال علي بن يحيى المنجم فرأيته في النـــوم وهو يقول لي :

ابا علــي مــا تـــرى العجائبـــا اصبح جسمي في التراب غائبـــا

واســتبدلت صــاحب بعــدي صــاحبا

ابن النديم ونجاح بن سلمه :

سيأتي شرح حياة نجاح بن سلمه في بابــه وانــه من كتاب الدولــة العباسية ويظهر من القصة التالية ان ابن النديم لا يروق له ان ينال احــد منزلته اللائقة فيه ويحب ان يظهر على الغير بأي طريق . فينقض هذا ويخمش وجه هذا . ويغمز على ذاك . ويهزأ بذلك .

ويحدثنا بهذه المنافسة كتاب الديارات للشــابشتي تحقيق الاســتاذ كوركيس عواد قال : واتصل بنجاح بن سلمه ان ابا عبد الله بن حمــدون يذكره ويتنادر به بين يدى المتوكل فلقيه نجاح يوما فقال له : يا أبا عبد الله قد بلغني ذكرك لي بحضرة امير المؤمنين بغير الجميل ولم يخف على قولك اتحب ان انهي اليه قولك اذا خلوت به : « اتراني احبه وقد فعل بي ما فعل ؟ والله ما وضعت يدي على اذني الا تجددت له بغضــه في قلبي » فقال ابن حمدون : الطلاق له لازم ان كان قال هذا قط وامرأته طالق ان ذكرتك بغير

---

(٨) الة من خشب مستطيلة كالرمح مجوفة الداخل يجعل فيها الصائد بندقة من طين صغيرة في فيه وتنفخ منها فيها فتخرج منها بحده فتصيب الطير : من حاشية الديارات للشابشتي ـ مصدر سابق .

ما تحب ابدا : ولا اريد ان اعلق باكثر من ان ابن النديم رجـل مطلاق ، وابغض شيء من الحلال الى الله الطلاق .

ابن النديم واسحاق الموصلي :

ان القرن الثالث الهجري كان حافلا برجالات الادب الذين قد كملوا معرفة ودراية . وهذا شاعر من شعراء العصر العباسي الثالث يتحـدث الى اديب مشهور ومغني معروف ولان خير من يحفظ لنا هذا الحديث الادبي هو كتاب الديارات الشابشتي (٩) ، فقد ذكر : ان ابا عبد الله انحدر الى بغداد الى منزله فاقام به مدة قال ابو عبد الله . فلقيت اسحق بن ابراهيم الموصلي بعد ما كف بصره . فسألني عن اخبار الناس والسلطان . فأخبرته ثم شكوت اليه غمي بقطع اذني . فجعل يسيلني ويعزيني ، ثم قال لي : من المتقدم اليوم عند امير المؤمنين والخاص من ندمائه ؟ فقلت له : محمد بن عمر البازيار . فقال لي : ومن هذا الرجل ؟ وما مقدار علمه وادبه ؟ فقلت : اما أدبه فلا ادري ولكني اخبرك بما سمعت منه منذ قريب : حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لاولادة الثلاثة فدخل مروان بن ابي الجنوب بن ابي حفصه فانشده قصيدته التي يقول فيها :

بيضاء في وجناتهـــــــا ورد فكيف لنا بشـــــــمه

فسر المتوكل بذلك سرورا شديدا وأمر فنثر عليه بدرة دنانير وان تلقط وتطرح في حجره وامره بالجلوس وعقد له على الجامة والبحرين ، فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم قط ولا ارى ابقاك الله ما دامت السـموات والارض ! فقال محمد بن عمر : هذا بعد عمر طويل ان شاء الله ! وقبل ، قال له : فما تقوله في ادبه ؟ فقال : أأكثر من ان يقول للخليفة : ابقاك الله

(٩) الديارات نفس المصدر السابق .

يا أمير المؤمنين الى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثيرا . فقال لي اسحق : ويلك اجزعت على اذنك وغمك قطعها ؟ ولم ؟ حتى تسمع مثل هذا الكلام ؟ ثم قال لي : ويلك لو ان لك مكوك آذان ، ايش كان ينفعك مع هؤلاء ؟

لعبة نرد :

يظهر من القصة التي سأسردها تحت هذا العنوان ان اوقات الفراغ كانت تقضي بالملاهي كما في عصرنا الحاضر . ويحدثنا بهذا الحديث كتاب الديارات للشابشتي (١٠) ، قال : كان ابراهيم بن محمد بن مدبر يلاعب ابا عبد الله بالنرد فاذا غلبه شيئا ، دفعه الى كردية المغنية جارية محمد بن رجا . فغلبه يوما عشرين دينارا فأخذها منه ودفعها اليها فكتب اليه ابو عبد الله بعد ذلك :

تقضي الحقوق بمالي وانت تعرف حالي
ان دام هذا علي افقرتني وعيالي

يوم النيروز :

وقد اخذ به المسلمون وتطور حتى ان الخلفاء اخذوا يحتفلون به رسميا وقد اكثر الشعراء من ذكره وذكر الهدايا فيه ولسنا في بحثنا هذا نريد الاستقصاء بما كتب عن « النيروز » ولكن لما كان فيه حادثه لمترجمنا نريد النديم فانا نذكر هذا الحديث كما يحدثنا ابو عبد الله بن النديم في كتاب الديارات للشابشتي قال : « قال ابو عبد الله بن حمدون : كنا عند المتوكل في يوم نوروز والهدايا تعرض عليه وفيها تماثيل من عنبر ، وكان شفيع الخادم واقفا وعليه اقبية مورده ورداء مورد وهو فيها من احسن الناس وجها فجعل المتوكل يدفع الى شفيع قطعة قطعة من ذلك العنبر ويقول ادفعها الى

---

(١٠) نفس المصدر السابق تحقيق كوركيس عواد .

حسين ، واغمز يده فيفعل ذلك وكان آخر ما دفع اليه وردة حمراء حياه بها فأنشدا يقول :

وكالوردة البيضاء حيا بحمـــــرة   من الورد يسعى في غلائل كالـــورد
نه عبثات عند كل تحيـــــــــة   بكفيه تستدعى الخلى الى الوجـد

تمنيت ان أسعى بكفيه شـــربة   تذكرني ما قد نسيت من العهــد
فى الله دهرا لم ابت فيــه ليلــة   من الدهر الا من جيب علي وعـد

فأمره المتوكل ان يسقيه وقال : قد اعطيناك امنيتك .

مجلس نوادر مع الواثق :

حدثنا كتاب معجم الادباء (١١) ، عن هذا المجلس الذي قـد تحلل جلاسه من تهيب الخلافة والادب والاحتشام او ما نسميه اليوم (أتيكيت البلاط) فقال ، حدث احمد بن ابي طاهر : ان ابن حمدون النديم حدثه : ان الواثق بالله بسط جلاسه وامرهم الا ينقبضوا في مجلسه وان يجـروا الندره على ما اتفقت عليه غير محتشمين ؛ وان اتفق وقوعها عليه احتمل قال : فعبرنا على ذلك مدة ، وكان على احدى عيني الواثق نكتة بياض فلما كان في بعض الايام انشد الواثق ابيات ابي حية النميري :

نظرت كأني من وراء زجاجـــــة   الى الدار من ماء الصبابة انظـــر

فقلت : والى غير الدار يا أمير المؤمنين فتبسم ثم قال لوزيره : قـد قابلني هذا الرجل بما لا اطيق ان انظر اليه بعدها . فانظر كم مبلغ جارية وجرايته وارزاقه وصلاته فاجمعها واقطعه بها اقطاعا بالاهواز واخرجه اليها ليبعد عن ناظري ففعل ..

---

(١١) نفس المصدر السابق ص ٢١٣ .

قال : واخرجت اليها وتبيغ (١٢) ، بي الدم ، فالتمست حجاما كان في خدمتي فقيل : لم يخرج في الصحبه لعلة لحقته ، فقلت : التمسـوا حجاما نظيفا حاذقا وتقدموا اليه بقلة الكلام وترك الانبساط فأتوني بشيخ حسن على غاية النظافة وطيب الربح فجلس بين يدي واخذ الغلام المرآة فلما اخذ في اصلاح وجهي قلت له : اترك في هذا الموضع واحذف في هذا الموضـع وعدل هذه الشعرات وسرح هذا المكان واطلت الكلام وهو ساكت فلما قعد للحجامه قلت له : اشرط في الجانب الايمن اثنتى عشرة شـرطة وفي الجانب الايسر اربع عشرة شرطة فان الدم في الرانب الايسر اقل منه في الايمن لان الكبد في الايمن والحرارة هناك اوفر والدم اغزر فاذا زدت في شرط الايمن اعتدل خروج الدم من الجانبين ففعل وهو مع ذلك ساكت فعجبت من صمته وقات للغلام ادفع اليه دينارا فدفعه اليه فرده فقلت : اسـتقله ولعمري ان العيون الى مثلي ممتده والطمع مستحكم في نديم الخليفه وصاحب اقطاعه اعطه دينارا آخر ففعل فردهما وابى ان يأخذهما فاغتظت وقلت : ـ قبحك الله ـ انت حجام سواد واكثر من يجلس بين يديك يدفع لك نصف درهم وانت تستقل ما دفعت اليى ؟ فقال : وحقك ما رددتها استقلالا ولكن نحـن اهل صناعة واحدة وانت احذق مني وما كان الله ليراني وانا آخذ من أهل صناعتي أجرة ابدا ، فاخجلني وانصرف ولم يأخذ شيئا .

ماذا في العام القابل ؟

قال : فلما كان في العام القابل خرجت لمثل ما خرجت اليه في العام الماضي واحتجت الى نقص الدم فقلت لغلامي . اذهب فجئنا بذلك الحجام فقـد

---

(١٢) تبينع به الدم ها ج : ١ هـ حاشية معجم الادباء ص ٢١٣ .

عرف الخدمة وقد انصرف تلك الدفعة ولم يأخذ شيئا ولعله قد نسيها فيقع برنا منه على حاجة منه اليه ، قال : فلما جلس بين يدي واصلح وجهي الاصلاح الذي كنت اوقفته عليه وحجمني احسن حجامه فلما فرغ قلت : سبحان الله انت صانع سواد فمن اين لك هذا الحذق بهذه الصنعه ؟ فقال : وحقك ما كنت احسن من هذا شيئا ولكن حجام الخليفة اجتاز بنا بهذا الموضع في العام الماضي ، فتعلمت منه هذا فضحكت منه وامرت له بثلاثين دينارا مع ما تم له من معاريض كلامه في الدفعنين جميعا .

المال الذي حصله ابن النديم من المتوكل والمستعين

حدثنا عن هذه الثروة كتاب معجم الادباء قال : وتحدث جحظه في اماليه قال : قال لي ابو عبد الله ابن حمدون : حسبت ما وصلني به المتوكل في مدة خلافته وهي اربع عشرة سنة وشهور فوجدته ستين الفا وثلاثمائه الف دينار ونظرت فيما وصلني به المستعين في مدة خلافته وهي ثلاث سنين ونيف وكان اكثر مما وصلني به المتوكل .

نتف من شعره :

لم تحفظ لنا كتب الادب جميع اشعاره بل اكثرها على ما يظهر قد فقد حيث لم نجد في فهارس الكتب الخطية والمطبوعة كتابا يجمع اشعاره ومع هذا فان ما احتفظت به كتب الادب تدلنا دلالة واضحة على انه كان اديبا لغويا وان ادبه ومعرفته الواسعة اللغه جعلته وأهلته لان يكون استاذا لثعلب وثعلب هو احد اركان رجال اللغة والادب وكتابه الموسوم بأمالي ثعلب يغنيه عن التعريف به . فمن يكون استاذا لثعلب لحرى ان تكون له صولات ادبيه وشعريه واسعة . ومع هذا فانا قدمنا عرضا في مطاوي وثنايا البحث عنه قسما من اشعارة والان نقدم ما تيسر لنا من اشعاره . فقد جاء في كتاب الديارات

للشابشتي عند ذكر (دير درمالس) اربعة ابيات يذكر انها لابي عبد الله بن حمدون النديم قالها في هذا الدير وهي :

يا دير درمالس ما احسنك ... ويا غزال الدير ما افتنك
لئن سكنت الدير يا سيدي ... فان في جوف الحشا مسكنك
ويحك يا قلب اما تنتهي ... عن شدة الوجد بمن احزنك
ارفق به بالله يا سيدي ... فانه من حينه مكنك

وكان من خبر هذا الشعر ما ذكره احمد بن خالد الصريفيني قال (١٣)، كنا عند ابي عبد الله بن حمدون في الوقت الذي نفاه فيه المتوكل فتذاكرنا الديارات وطيبها وحسنها في الاعياد واجتماع الناس بها فقال : قد والله شهيتني لحضور هذه المواضع والتفرج فيها والتسلي بها فأي دير منها قد حضره عبده ؟ قلت : دير درمالس وغدا عيده قال فعلى بركة الله فاعددت جميع ما يحتاج اليه ويصلح لمثله وبكرنا الى الدير ونظرنا الى اجتماع الناس وتعبيدهم وانصرف من انصرف واقمت معه في الدير ذلك اليوم ومن غده وجلسنا منه مجلسا يشرف على تلك البساتين والمزارع فشرب وطابت نفسه وطرب وحضره من احداث الموضع من كان يقض لنا الحاجة ويجيئنا بالطرفة والتحية فشغف بهم واستطاب وقته معهم وقال الابيات المتقدمه .

وله ايضا :

قال الشابشتي في الديارات ولابي عبد الله شعر جيد ومن شعره يعاتب علي بن يحيى :

من عذيري من ابي حسن ... حين يجفوني ويصرمني
كان لي خلا وكنت له ... كامتزاج الروح بالبدن

---

(١٣) نفس المصدر ص ٤ تحقيق كوركيس عواد .

فوشى واش ففـــــــيره وعليه كان يحســـــــدني
اذا يزداد معرفـــــــة بودادي حين يفقـــــدني

جحظه يرثى ابن حمدون :

كل نفس ذائقة الموت . وهكذا حكم هذا السلطان على اديب شاعر لغوي كما قضى على من قبله ومن بعده :

لو كانت الدنيا تدوم لواحـــــد لكان رسول الله فيها مخلـــــدا

وهنا بعد وفاته يظهر اصدقاءوه المخلصون فيرثونه باشعارهم واقوالهم التي خلدها الدهر ومن بين هؤلاء الاصدقاء الاوفياء جحظـــة الذي سيأتي عنه في محله ان شاء الله .

ويحتفظ لنا بحفظ هذا الوفاء كتاب معجم الادباء حيث قال : وانشـــد جحظة في امالية لنفسه يرثى حمدون النديم كذا قال ولم يعينه :

ايعذب من بعد ابن حمدون مشرب لقد كدرت بعد الصفاء المشـــارب
أصبنا به فاستأسد الضبع بعـــده ودب الينا من اناس عقـــارب
وقطب وجه الدهر بعد وفاتـــه فمن أي وجه جئته فهو قاطـــب
بمن الج الباب الشديد حجابـــه اذا ازدحمت يوما عليه المواكـــب
بمن ابلغ الغايات ام من بجاهـــه انال واحوى كل ما انا طالـــب
فاصبحت خلف البيت خلف جدارة وبالامر مني يستعيذ النجائـــب

استمرار على الوفاء :

وقد ورد ايضا في نفس المصدر السابق ذكر جحظة لابن النـــديم فانه قال : وقال جحظة في ابن جعفر بن حمدون ولا اعرفه الا انه كذا اورده في اماليه :

ابا جعفر لا تنال العـــــــــلا	بتيهك في المجلس الحاشـــــــد
ولا بغلام كبدر التمـــــــا	م ركب في غضن مائـــــــد
ولا بازيار اذا ما انســــــــ	ـاك يخطر بالذر والصـــــائد
فكيف ومالك من شـــــاكر	وكيف مالك من حامـــــــد
اتذكر اذ أنت تحت الزمـــــا	ن وحيد بلا درهم واحـــــد

قد قدمنا عن ابن النديم انه يكنى بأبي عبد الله وهنا في هذا الخبر الذي اورده معجم الادباء يكنيه بأبي جعفر . فهل ان ابا جعفر هو نفســه ابو عبد الله ولماذا كنى بأبي عبد الله ومرة اخرى كنى بأبي جعفر . ويظهر من تعداد الكنيه هنا ان له ولدين احدهما عبد الله وثانيهما جعفر ، أو يظهر انه كان له ولد كبير اسمه عبد الله وانه قد توفى وخلفه اخ اخر اسمه جعفر وعلى كل لا تضير الكناية بالنسبة للمكني ولئن تعددت ولكن اجبت الاشارة الى ذلك لئلا يقع اللبس أو الاعتراض .

مؤلفاته :

يظهر لنا من القائمة التي سنذكرها عن مؤلفاته بأنه رجل اديب عالم لغوي حاق علمه في عالم التأليف لطول باعه فيه وله من الكتب كما قال كتاب معجم الادباء : (كتاب اسماء الجبال والمياه والاودية) اقول ويظهر من هذا الكتاب بأن ابن النديم كان رحالة ومن رواد علم الجغرافيا (وكتاب بني مره بن عوف ، كتاب بني عز بن قاسط ، كتاب بني عقيل كتاب بني عبد الله بن غطفان ، كتاب طي) وهذه الكتب تدل على معرفته الواسعة بانساب العرب والقبائل .

(وكتاب شعر العجير السلولي وصنعته ، كتاب شعر ثابت بن قطنه) اقول وهذه الكتب تهدينا الى سعة افقه الفكري في الشعر والشعراء .

ابن ابن فنن



واسمه احمد بن ابي فنن وكنيته ابو عبد الله الشاعر واحمد بن ابي فنن كما يقول الخطيب البغدادي (١) : مولى بني هاشم واسم ابي فنن صالح ويكن احمد ابا عبد الله وهو شاعر مجود نقي اللفظ ، اكثر المدح للفتح بن خاقان وكان احمد اسود اللون وهو القائل :

لئن حسبت سواد الليل غـيرني فان قلبي في حسن ابيَ دلـــف
عاش بني فصار مثلـــــــي يلبس ما قد خلعت عنـــــي
فسرني ما رأيت منـــــه وساءني ما رآه منـــــي

ويقول صاحب فوات الوفيات (٢) هو : احمد بن ابي فنن ومن شعره : ولم يزد على هذا القول شيئا .

ويقول الاستاذ كوركيس عواد في حاشيته بكتاب الديارات للشابشتي: شاعر عراقي مجود نقي اللفظ عاش في المائة الثالثة للهجره اكثر المدح للفتح بن خاقان ومن انشاد احمد بن ابي فنن كما ذكر الخطيب البغدادي قوله :

صحيح الود لو يمسى عليـــلا لتكتب او نرى منكم رســـولا

---

(١) تاريخ بغداد ج : ٦ ص ٢٠٢ ط : ١٣٤٩ م : السعادة .

(٢) ج : ١ ص ٨٣ م : السعاده .

اراك تسومه الهجران حتـــى اذا ما اعتل كنت له وصـــولا
فروضـــني الحياة بوصـل يـوم يكون على رضاك له دليـــلا
هما موتان مـوت ضنى وهجـر وموت الهجر شرهما سـبيلا

ولاحمد بن ابي فنن كما في الخطيب البغدادي :

صب بحب متيم صـــب حبيه فوق نهاية الحـــب
ادميت باللحظات وجنتـــه فاقتص ناظره من القلـــب

وله ايضا في رواية ثانية :

صب بحب متيم صـــب حبيه فوق نهاية الحـــب
أشكو اليه صنيع جنونـــه فيقول : مت بتأثر الخطـــب
واذا نظرت الى محاســـنه اخرجته عطلا من الذنـــب
ادميت باللحظات وجنتـــه فاقتص ناظره من القلـــب

ويذكر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ان هذا البيت الأخير من هذه الابيات هو عينها واخذه ابن ابي فنن مما انشده ابراهيم بن المهدي :

يا من لقلب صيغ من صـــخرة في جسد من لؤلؤ رطـــب
جرحت خديه بلحظى فمـــا برحت حتى اقتص من قلبـــي

اما ما ذكره الشابشتي المتوفى ٣٨٨ في كتاب الديارات فقد قال : كان ابن ابي فننن ويكنى ابا عبد الرحمن شاعرا مطبوعا وكانت له ضبعة في قطيعة محمد بن عبد الله بن طاهر فكان الحاشر بعير اليه فيؤذيه وربما اشخصه فكتب الى محمد يشكو الحاشر وما يلقي منه من الاعنات :

ابني حسين انـــي اصبحت في كنف الامـــير
ولنا معايش في قطيعتـــه على الماء النمـــير

وبنيت بيتا وسـطه	سميته بيت السـرور
فاذا جلسـت ازاءه	وشربت من حلب العصـير
قلت العت لما روبـبت	على الخورنق والسـدير
لولا تردد حاشـر	كالكلب في يوم مطـير
غاد علي ورائـح	يصل الرواح الى البكـور
فاذا بدا لي وجهـه	اخرجت صفرا من سـروري
فهل الامير بجـوده	من قبح طلعته مجـيري

فلما قرأ محمد الابيات : وقع تحتها : قد اجرناك ابا عبد الرحمن وامرنا باحتمال خراجك وكان مبلغه ثمانية الاف درهم ، ووجه اليه بألف دينار وحلف عليه ان يقبلها وكان ابن ابي فنن لا يقبل من احد شيئا وكان حسن الحال مستقلا •

أي الكنيتين اصح ؟

قدمنا فيما نقلناه عن تاريخ بغداد للخطيب البغـدادي انه يكنى بأبي عبد الله وذكر الشابشتي انه يكنى بأبي عبد الرحمن • فهل ان له كنيتين ام أن ما كناه به الخطيب البغدادي هو الصحيح ام ما كناه الشابشتي هو المعول عليه ام له ابنان كبيرهما عبد الله والاخر عبد الحمن ؟ هذا ما عسى ان يكشف عنه تاريخ الادب •

أحمد بن محمد السهيلي

لقد تتبعت مظان الكتب فلم أعثر له على ترجمة ولولا ان معجم الادباء لياقوت الحموي يحفظ لنا ترجمته لضاعت ككثير غيرها من تراجم الرجـال الذين قدموا عصارة افكارهم لهذا العالم الذي لم يحفظ لهم هذا الجميل . وان الحسرة والالم لتعصر الانسان المتتبع الى التراث العربي الخالد وذلك عندما يستملي فهارس الكتب فلا يجد اكثرها بل ان الدهر قـد اكل عليها وشرب واصبحت كأن لم تكن .

وهذا ما يقوله عنه معجم الادباء(1) ، هو : احمد بن محمد ابو الحسين السهيلي الخوارزمي : قال محمود بن عشرة الاسلامي في تاريخ خوارزم انه مات « بسر من رأى » في سنة ثماني عشرة واربعمائة على ما يذكره . قال : وهو من أجلة خوارزم وبيته بيت رياسه ووزاره ، وكرم ومرؤة ، قال الثعالبي وهو وزير ابن وزير :

ورث الوزارة كابرا عن كابـــــــــر
موصولة الاسناد بالاســــــــــناد

قال : وكان يجمع بين الاث الرياسه ، وادوات الـوزارة ويضـرب في العلوم

---

(1) معجم الادباء ج : ٥ ص ٣١ ، تحقيق احمد رفاعي .

والاداب بالسهام الفائزة ، ويأخذ من الكرم وحسن الشيم بالحظوظ الوافرة :

كيف جاء السهيلي الى سر من رأى ؟

خرج السهيلي من خوارزم في سنة اربع واربعمائة الى بغداد وتوطنها وترك وزارة خوارزم شاه ابي العباس مأمون خوفا من شره ولما قدم بغداد اكرمة فخر الملك ابو غالب محمد بن خلف وهو والى العراق يومئيذ وتلقاه بالجميل ، فلما مات فخر الملك خرج من بغداد هاربا ايضا ، حتى لحق بغريب بن مقنى ، خوفا على ماله ، وكان غريب صاحب البلاد العليا ، تكريت ودجيل وما لاصقها فاقام عنده الى أن مات ، وخلف عشرين الف دينار سلمها غريب الى ورثته (٢) •

مصنفاته :

يظهر جليا من مصنفاته التي سنوردها انه كان على جانب عظيم من العلم والمعرفة باللغة العربية والشعر والبيان والبديع والمعاني •

فمن كتبه « كتاب الروضة السهيلية » في الاوصاف والتشبيهات • وبأمره والتماسه صنف الحسن بن الحارث الحسوني في المذهب كتاب السيهلي يذكر فيه المذهبين : مذهب الشافعي والحنفي •

شاعريته :

لقد كان ذا اخيلة واسعة لم يسبق اليها وتبتدي هذه الاخيلية الواسعة الافاق جلبة في هذه الابيات :

الا سقنا الصهباء صرفا فانهـــــــــــا
اعز علينا من عتاق الترحـــــــــــل

---

(٢) معجم الادباء ج : ٥ ص ٣٣ و٣٤ : تحقيق احمد رفاعي . مصدر سابق .

واني لاقلي النفل حبا لطعمهـــــــــــــا
لئلا يزول الطعم عند التنقـــــــــــل

وله في النجوم :

فالشهب تلمع في الظلام كأنهـــــــــا
شرر تطاير من دخان النـــــــــــــار

فكأنها فوق السماء بنادق الـــــــــكا
فور فوق صلاية العطـــــــــــــار

وله في النجوم اشعار منها في شعاع القمر على الماء :
كأنما البدر فوق الماء مطلعـــــــــا

ونحن بالشط في لهو وفي طـــــــــرب
ملك رآنا فاهوى للعبور فلـــــــــم

يقدر فمد له جسر من الذهـــــــــب

وهكذا تختم حياة شاعر اديب مؤلف دون ان يسطر له التاريخ شيئا الا ما حفظه لنا معجم الادباء . ولم نعرف التفاصيل التي جعلته يفر من الوزاره حيث ان ما ذكرناه من انه تركها خشية شر ابي العباس المأمون غير كاف في تاريخ السياسة . اللهم الا اذا قدرنا ان هناك مشاده عنيفة هدرت دمه فخاف على نفسه فسار على ما قدمناه لك .

أبو العيناء

هو محمد بن ابي القاسم اليمامي ، اشتهر بكنيته وكان على ما ذكر الشابشتي (١) ، المتوفى ٣٨٨ هـ حسن الشعر الجيد العارضة ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم ، وكان المتوكل يعجب بكلامه وسرعة جوابه ونوادره . وعمي على رأس اربعين سنة من عمره . ومما يدل على ذلك قول ابي علي البصير فيه :

قد كنت خفت يد الزمـــــــــــــــــا
ن عليك اذ ذهب البصـــــــــــــــــر
لم ادر انك بالعمـــــــــــــــــى
تغنى ويفتقر البشـــــــــــــــــر

ولما اشتهر به من الخفة وسرعة البديهة والادب الجم انبرى الصاحب بن

---

(١) الديارات ص ٥٢ تحقيق كوركيس عواد .

عاد فألف فيه كتابا وسمه بكتاب « اخبار ابن العيناء » وقد ضاع كما ذكر ذلك معجم الادباء(٢) •

وترجم له معجم الادباء (٣) ، بقوله : محمد بن القاسم وقبل ابن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء ابو عبد الله المعروف بأبي العيناء الاخباري الاديب الشاعر روى عن ابن عاصم النبيل وسمع من الاصمعي وابي عبيده وابي زيد الانصاري والعتبي وغيرهم وحدث عنه الصولي وابن نجيح واحمد بن كامل وآخرون ، وكان فصيحا بليغا من ظرفاء العالم آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب •

لماذا ترك مدينة البصرة : ؟

يحدثنا معجم الادباء عن ابي العيناء سبب ذلك واليك سرد قصته « قال : سبب تحولي من البصرة اني رأيت غلاما ينادي عليه بثلاثين دينارا يساوي ثلاثمائة دينار فاشتريته وكنت ابني دارا فاعطيته عشرين لينفقها على الصناع فانفق عشرة واشترى بعشرة ملبوسات له فقلت ما هذا ؟ فقال لا تعجل فان ارباب المروءات لا يعتبون على غلمانهم هذا فقلت في نفسي : انا اشتريت الاصمعي ولم ادر ، ثم اردت ان اتزوج امرأة سرا من بنت عمي فاستكتمته ودفعت اليه دينارا يشتري به حوائج وسمكا هازبا فاشترى غيره فغاظني فقال : رأيت بقراط يذم الهازبا فقلت : يا أبن الفاعله لم اعلم اني اشتريت جالينوس ، فضربته عشر مقارع ، فأخذني وضربني سبعا وقال : يا مولاي ، الادب ثلاث ، وانما ضربتك سبعا قصاصا • قال : فرميته فشججته ، فذهب الى بيت عمي وقال « الدين النصيحة » ومن « غشنا فليس منا » ان مولاي

---

(٢) معجم الادباء ج : ٢ ص ٣١٦ .
(٣) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٧٦ .

قد تزوج واستكتمني فقلت : لابد من تعريف مولاتي الخبر فضربني وشجني، فمنعتني بنت عمي دخول الدار ، وحالت ما بيني وبين ما فيها ، وما زالت كذلك حتى طلقت المرأة ، وسمته بنت عمي الغلام الناصح فلم يمكني ان أكلمه فقلت: اعتق هذا واستريح ، فلما اعتقته لزمني وقال : الآن وجب حقك على ، ثم انه اراد الحج فزودته فغاب عشرين يوما ورجع وقال : قطع الطريق ورأيت حقك قد وجب . ثم اراد الغزو فجهزته ، فلما غاب بعت مالي بالبصرة وخرجت منها خوفا أن يرجع .

هل ان البصرة موطنة الاصلي ومسقط رأسه ؟

لم تكن البصرة ومسقط رأسه بل هي الاهواز ويؤيد هذا قول معجم الادباء (٤) ، حيث قال : ولد ابو العيناء بالاهواز سنة احدى وتسعين ومائه وتوفى ببغداد في جمادي الاخره سنة ثلاث وثمانين ومائتين . على اصح الروايات اذ ان هناك روايات قائلة بأنه توفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين وقال ابنه ابو جعفر : مات ابي لعشر ليال خلون من جمادي الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين (٥) .

روايتان في سبب فقدان بصره :

امامي الان كتاب معجم الادباء وكتاب المنتظم لابن الجوزي وكلاهما يوردان رواية سبب فقدان بصره واننا اذ ننقلهما فانا لا نعلق عليهما شيئا بل نترك حقيقة ذلك للتاريخ نفسه .

فرواية معجم الادباء هي : وكان جد ابي العيناء الاكبر يلقى على بن ابي طالب رضي الله عنه فأساء المخاطبة بينه وبينه فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده

---

(٤) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٣٠٢ .
(٥) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٠٢ .

فكل من عمى من ولد ابي العيناء فهو صحيح النسب فيهم اما رواية كتاب المنتظم (٦) ، لعبد الرحمن الجوزي المتوفى سنة خمسمائة وسبع وتسعون فانها قد وردت على شكلين :

الاول : قال : ويعرف بأبي العيناء وسبب ذلك انه قال لابي زيد كيف تصغر عينا فقال عيينا يا ابا العيناء .

وقد وردت هذه الرواية بوجه آخر في كتاب تاريخ بغداد قال : كيف تصغر عيناء فقال عييناء كحمراء وحميراء واما عين فتصغيرها عيينه .

اما الشكل الثاني من سبب تسميته بأبي العيناء كما ورد في المنتظم فقد قال : حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد ابو العيناء قال دعا المنصور جدي خلادا وكان مولاه فقال له اريدك لامر قد اهمني وقد اخترتك له وانت عندي كما قال ابو ذؤيب :

الكنى اليها وخير الرسو
ل اعلمهم بنواحي الخبر

فقال له ارجو ان ابلغ رضا امير المؤمنين فقال : مر الى المدينة على انك من شيعة عبد الله بن حسن وابذل له الاموال واكتب الى بانفاسه واخبار ولده فأرضاه . ثم علم عبد الله بن حسن انه أتى من قبله فدعا عليه وعلى نسله بالعمى قال فنحن نتوارث ذلك الى الساعة .

وهنا يظهر لك جليا الاختلاف بين رواية معجم الادباء وبين هذه الرواية لذا فاننا نوفي بما قطعناه على انفسنا وتترك صحة الخبر الحقيقي للتاريخ .

لماذا ذم ابو العيناء البصرة ؟

ننقل اليك ايها القارىء قول ابي العيناء في ذمه البصرة وبعدئذ نبين

---

(٦) المنتظم القسم الثاني من الجزء الخامس لابن الجوزي ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

السبب كما يظهر لنا فقد ذكر معجم الادباء ان المتوكل قال له : فمن اين أنت؟ قال : من البصرة ، قال فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج ، وحرها عذاب . وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم . هذا ما قاله ابو العيناء عن مدينة البصرة التي حدبت عليه وترعرع فيها وأكل خيراتها واستفاد من علمائها حتى اصبح رجلا فذا يعكف الادباء والعلماء على تدوين اخباره وعلمه وادبه ويخصصون ميعة شبابهم لافراد التأليف عنه فقط . ثم نرى بعد ذلك يعق هذه المدينة فيصفهم بما وصفها ولو ان ذلك واقعي بالنسبة للبصرة فبأمكانه ان يتلطف في الجواب .

والذي يلوح لي ان الاهواز قد اثرت على اخلاقة كما اثرت على ابي نواس وهنا يتجلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما كتب الى حكيم من حكماء عصره انا عرب قد فتح الله علينا الامصار والاقطار فصفها لي وصف تأثيرا هويتها وتربها على اخلاق اهلها .

اول من يظهر العقوق بالبصرة :

حدثنا معجم الادباء ، بهذه الحادثة فقال : قال ابو العيناء : انا أول من اظهر العقوق بالبصرة . قال لي ابي يا بني : ان الله قرن طاعته بطاعتي فقال : « اشكر لي ولوالديك » فقلت له : يا ابت ان الله ائتمنني عليك ولم يأتمنك علي ، فقال تعالى « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » .

أبو العيناء يسرق حملا في سر من رأى :

حدثنا بذلك معجم الادباء (٧) ، قال : وقال ابو العيناء : مررت يوما في درب « بسر من رأى » فقال لي غلام : يا مولاي ، في الدرب حمل سمين

---

(٧) معجم الادباء نفس المصدر السابق .

والدرب خال فأمرته ان يأخذه وغطيته بطيلسان وصرت به الى منزلي ، فلما كان من الغد جاءتني رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها ، جعلت فداك ضاع لنا بالامس حمل فأخبرني دربنا انك انت اخذته فأمر برده متفضلا ، فكتبت اليه : يا سبحان الله ما اعجب هذا الامر ، مشايخ دربنا يزعمون انك بغاء واكذبهم انا ولا اصدقهم وتصدق انت صبيان دربك أني اخذت الحمل ؟ قال : فسكت ولم يعاودني .

حديث فدك(٨) :

كأن ابا العيناء قد ابى الا ان ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار . وهذا معجم الادباء يقص علينا ما اختلقه ابو العيناء قال : سمعت ابا العيناء يقول : انا والحافظ وضعنا « حديث فدك » وادخلناه على الشيوخ في بغداد فقبلوه الا أبن شيبه العلوي قال : لا يشبه اخر هذا الحديث اوله فأبي ان يقبله ، وكان ابو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان .

نوادره :

وسنسير في التقاط هذه النوادر في قافلة الديارات للشابشتي اعتمادا على قول الاستاذ كوركيس عواد في الحاشية رقم « ٦ » قال : ارود الشابشتي في هذا الفصل ثلاثا وثلاثين نادره وقد تتبعنا نوادره الاخرى في المراجع التي بيدنا فاذا بها لا يزيد كلها على نصف ما في الديارات .

واننا اذ نسير في هذا الركب فليس معناه الاقتصار عليه بل سنأخذ من كل حديقة زهرة ونقطفها لتعبق في فكر القاريء .

---

(٨) فدك قرية بخيبر .

ونبديء بما قاله الشابشتي في الديارات (٩) :

١ ـ قال المتوكل لابي العيناء : ما اشد شيء مر عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : فوات رؤيتك يا امير المؤمنين مع اجماع الناس على جمالك .

٢ ـ وقال له يوما : يا محمد الى كم تمدح الناس وتذمهم ؟ قال : ما اساءوا واحسنوا .

٣ ـ وقال له عبيد الله بن سليمان : قد امرنا بشيء في هذا الوقت ، فخذه واعذر . قال : لا افعل ايها الوزير اذا كنت في النكبة تعتذر وفي الدولة تعتذر فمتى لا تعتذر ؟ .

٤ ـ وسأل صاعد بن مخلد كتابا يكتبه الى مصر . فجعل يقول : الى مصر يا ابا العيناء الى مصر ؟ فقال : وما استبعادك ، اعزك الله ، لي مصر ؟ والله .. لما في صناديقك ابعد على مما في مصر .

٥ ـ ودخل الى ابي الصقر فقرب مجلسه وادناه فقال : ايها الوزير ! تقريب الولي وحرمان العدو !

٦ ـ ودخل عليه يوما فقال ما اخرك عنا ابا عبد الله؟ قال : سرق حماري ! قال وكيف سرق ؟ قال : لم اكن مع اللص ، فاعرف كيف سرقه ! ثم جاء بعد مدة فقال : ما اخرك عنا ابا عبد الله ؟ فقال : من العـواري وذلة المكاري : فأمر له بخمسين دينارا .

٧ ـ قال : دخل ابو العيناء يوما الى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلم يرفع طرفه اليه ، ولا كلمه ! فقال : ان من حق نعمة الله عليك ، لما اهلك له في الحال التي انت عليها ان تجعل البسطة لاهل الحاجة اليك خلقا فأن من او حسن انقبض عن المسـألة وبكثرة السـؤال مع النجح يدوم

(٩) الديارات ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ : تحقيق كوركيس عواد .

السرور ، وبقضاء الحاجات تدوم النعمة . فقال له محمد : اني اعرفك فضوليا كثير الكلام ، ترى ان طول لسانك يمنع من تأديبك اذا زللت ؟ وأمر به الى الحبس ! فكتب اليه ابو العيناء من الحبس : قد علمت أن الحبس لم يكن لذنب تقدم اليك ، ولكن احببت ان تريني قدرتك علي، لأن كل جديد يستلذ . ولا بأس ان ترينا من عفوك ما اريتنا من قدرتك! فأمر باطلاقه فلقيه بعد مدة طويلة على الطريق ، فحبس محمد دابته وقال : ما اراك ابا عبد الله تواصلنا بحسب انجائنا لك ! فقال ابو العيناء : اما المعرفة بعنايتك فمتأكدة ولكني احسب الذي جدد استبطاءك لي فراغ حبسك فمن فيه ، فأردت ان تعمره بي .

٨ ـ قال : ودخل يوما على رجل قد عزل عن عمل كان يتولاه . فقال لئن فتحت عليك النعمة لقد حسنت بك النقمة قال : ولم ذاك ؟ قال : لاني سألتك احقر من قدرك ، فرددتني باقبح من وجهك ، ثم قال :

قل لزيد بن صاعد
جاءك العزل في لطف

فاجرع الهم واصطبر
فعلى ربك الخلف

انت ايضا اذا ولـ
ـيت فلا تكثر الصلف

٩ ـ قال : اجتاز ابن بدر بأبي العيناء وهو على بابه جالس . فقال : هذا منزلك ابا عبد الله ؟ قال : نعم ! فأن شئت ان ترى سوء اترك فيه فانزل .

١٠ ـ قال : ومر بدار عبد الله بن منصور يوما وهو مريض وقد صح ، فقال لغلامه : أي شيء خبر ابي محمد ؟ قال : كما تحب ! قال : فمالي

لا اسمع الصراخ في الدار ؟

١١ ــ قال : وذكر ابو العيناء ميمون بن ابراهيم ، فقال : لو تأمل رجل فعاله فاجتنبها ، لاستغنى عن الاداب ان يطلبها .

١٢ ــ قال ابو العينـــاء : قال لي محمد بن مكرم : اما تعرفني ؟ قلت : بلى ولكن معرفة أرثى لك منها .

١٣ ــ وقال له محمد بن مكرم يوما : يا ابا عبد الله كل شيء لك من الناس حتى اولادك .

١٤ ــ وقال ابو العيناء : رأيت ابن مكرم ، فرأيت بطنه بطن حبلى ، ونفسه نفس ولهي ، ومخاطة مخاط ثكلى ، وفي اسنه الداهية العظمى !

١٥ ــ وقال له ابن مكرم يوما : يا ابا عبد الله ، هو ذا تصوم معنا في هـــذا الشهر شيئا وكان شهر رمضان . فقال : وتدعنا العجوز نصوم ؟

١٦ ــ قال رجل لعبيد الله بن سليمن : ان رايت اعزك الله ان تخـــرج لي رزقا . فقال : ممن الرجل ليخرج الرزق على قدر ذاك . قال من ولد آدم ! قال ابو العيناء : احتفظ ، اعزك الله ، بهذا النسب ، فقد انقطع اصله !

١٧ ــ قال : اجتمع الجاحظ وابو العيناء عند الحسن بن وهب ، فقال لـــه الجاحظ : علمت ان محمد بن عبد الله احسن بن عمـــرو بحر ، وابا عبد الله أحسن بن ابي عثمان ولكن الجاحظ احسن من ابي العيناء . فقال ابو العيناء : هيهات ! جئت الى ما يخفي من امورنا ، ففصلتني عليك فيه ، والى ما يعرف ، ففضلت نفسك فيه . ان ابا العيناء يدل على كنية ، والجاحظ يدل على عاهة ، والكنية وان سمجت ، اصـــلح من العاهة وان ملحت !

١٨ ــ قال ابو العيناء : عشقتني امرأة بالبصرة من غير ان تراني ، وانما كانت تسمع عذوبة كلامي فلما رأتني استقبحتني ، وقالت : قبحه الله اهذا هو ؟ فكتبت اليها :

ونبئتها لما رأتني تنكـــــــــــــــــرت
وقالت : دميم ، احول ، ما له جســـــــــم

فان تنكري مني احــــولالا فأننـــــي
اديب اريب لا عيي ولا فـــــــــــدم

فوقعت في الرقعة : يا عاض بظر امه ، لديوان الرسائل اردتك ؟

١٩ ــ ولابي العيناء في علي بن الجهم :

اراد علـــي ان يقـــــول قصـــــيدة
بمدح أمير المؤمنين فأدنــــــــــــــا

فقلت له : لا تعجلن باقامــــــــــــه
فلست على طهر ، فقال : ولا انــــــــا

٢٠ ــ قال ابو العيناء : اتيت عبد الله بن داود الخريبي ، فسألته ان يحدثني، فاستصغرني وقال : اذهب فتحفظ القرآن . قلت : قد حفظته : قال : اقرأ من رأس ستين من يونس ، فقرأت العشر ، فقال : احسنت ، اذهب فتعلم الفرائض . قلت : قد حفظتها ، قال : فايها اقرب اليك : عمك أو ابن اخيك ؟ قلت ابن اخي . قال ولم ذاك ؟ قلت : لان هذا من ولد ابي وهذا من ولد جدي . قال : احسنت . اذهب فتعلم العربيـــة . قلت : قد فعلت وتعلمت منها ما فيه كفاية . قال : فلـم قال عمـر بن الخطاب يعني حـين طعن : يا لله يا للمسـلمين . قلـت : لان الاول استغاثة والثاني نداء . فقال : لو كنت محدثا احدا في سنك لحدثتك!

٢١ ـ قال ابو العيناء : دخلت على ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان يوما صائما ، وقوم بين يديه يلعبون بالشطرنج . فقال : يا ابا عبد الله انا نلعب في ندب الى ان يدرك طعامنا ، ففي أي الحزبين تحب ان تكون ؟ قلت : في حزب الامير ايده الله ، فأنه اعلى وابهى ، فغلبنا ! فقال ابو احمد : يا ابا عبد الله ، قد غلبنا ! وقد اصابك بقسطك عشرون رطلا ثلجا . فقلت أحضره ايها الامير . ووثبت ، فصرت الى ابي العباس بن ثوابه ، فأقرأته السلام من ابي احمد ، وقلت له : انه يتشوفك ، واراد ان يكتب اليك رقعة فخاف مراوغتك ، فوجهني رسولا ، وحملني رسالة ، ولسنا نفترق الا بحضرته فركب معي ، وجئنا . فلما وقفت بين يديه ، قلت : ايها الامير ، قد جئتك بجبل همذان ثلجا فاقتض منه ما قمرنا ، والعب مع اصحابك في الباقي! فضحك حتى استلقى ! وسأل ابن ثوابه عن القصة ، فعرف الخبر ، فلما وقف عليه شتمني وانصرف !

٢٢ ـ قال ابو العيناء : دخلت على المتوكل ، ودعوت له ، وكلمته فاستحسن خطابي وقال لي : بلغني ان فيك شرا فقلت : يا امير المؤمنين ، ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه ، والمسيء بأساءته ، فقد زكى الله جل وعز وذم . فقال في التزكية « نعم العبد انه اواب » وقال في الذم « هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم » فذمه تعالى اسمه . وقد قال الشاعر :

اذا انا بالمعروف لم اثن دائبـــــــا
ولم اشتم الجبس اللئيم المـــــذمما

ففيم عرفت الخير والشر باســـــمه
وشق لي الله المسامع والفـــــما

وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله عبدك عن ذلك .

٢٣ ـ قال : دخلت على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست واربعين ومئتين فقال : كيف داري هذه ؟ فقلت : رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وانت جعلت الدنيا في دارك فاستحسن كلامه .

٢٤ ـ فقال : ما تقول في صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ؟ وكان عرف اني وجدت عليه في تقصير وقع بي منه ، فقلت : يا امير المؤمنين : يد تسرق واست تفرط ! هو مثل يهودي قد سرق نصف جزينه فله اقــدام بما ادى ، ومعه احجام لما بقى اساءته طبيعة ، واحسانه تكليف .

٢٥ ـ فقال لي : ما تقول في عبيد الله بن يحيى ؟ فقلت : العبد لله ولك ، منقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عــاد بصلاح رعيتك على كل لذه .

٢٦ ـ فقال اني اريدك لمجالستي . فقلت : لا اطيق ذاك ولا اقوى عليه . وما اقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ، ولكني رجل محجوب تختلف اشارته ويخفي عليه ايماؤه ، ويجوز على ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راضي ، وبكلام راضي ووجهك غضبان ، ومتى لم اميز بين هذين هلكت فاختار العافية على التعرض للبلاء . قال : صدقت ! ولكن تلزمنا . قلت : لزوم الفرض الواجب فوصلني بعشرة الاف درهم .

٢٧ ـ وقال لي يوما وقد دخلت اليه : يا محمد ما بقى في المجلس احد الا اغتابك عندي فقلت :

اذا رضيت عني كرام عشــــــــــــيرتي
فلا زال غضبانا على لئامهـــــــــــــــا

٢٨ ــ وقال المتوكل : اشتهي انادم ابا العيناء لولا انه ضرير : فبلغ ذلك ابا العيناء ، فقال : ان اعفاني امير المؤمنين من رؤية الاهل ونظم اللآلي واليواقيت وقراءة نقوش الخواتم فاني اصلح له .

٢٩ ــ وحجب محمد بن مكرم ابا العيناء ، ثم كتب يعتذر منه . فكتب اليه ابو العيناء تحجبني مشافهة وتعتذر الي مكاتبة .

٣٠ ــ وكتب ابن مكرم الى ابي العيناء : عندي سكباج ترعب المجنون ، وحديث يطرب المحزون واخوانك المحازون ، فلا تعلو على واتون . فاجابه ابو العيناء : « اخسئوا فيها ولا تكلمون » .

هذا ما اورده الشابشتي في كتاب الديارات والان نقتطف لك براعم معجم الادباء (١٠) لتقطر بها . فيعبق ريحها على مجلسك وجلاسك . وينفتح ذهنك وتبدو اساريرك قال فمن لطائفه :

٣١ ــ انه شكا تأخر ارزاقه الى عبيد الله بن سليمان فقال له : الم نكن كتبنا لك الى ابن المدبر فما فعل في امرك ؟ قال جرني على شوك المطل وحرمني ثمرة الوعد فقال : انت اخذته . فقال : وما على « وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا » فما كان منهم رشيد « فأخذتهم الرجفه » واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي سرح كاتبا فلحق بالمشركين مرتدا ، واختار علي بن ابي طالب ابا موسى الاشعري حكما فحكم عليه .

٣٢ ــ وقال : اخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له : وددت ان لي ابنا مثلك قال : هذا بيدك : قلت : كيف ذلك ؟ قال : تحمل ابي على امرأتك فتلد لك ابنا مثلي .

٣٣ ــ وحمله بعض الوزراء على دابة فانتظر علفها فلما ابطأ عليه قال : ايها الوزير هذه الدابة حملتني عليها أو حملتها علي .

---

(١٠) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٨٧ : تحقيق احمد رفاعي . مصدر سابق .

٣٤ ـ وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال : « ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » .

٣٥ ـ وقال له ابن ثوابة يوما : كتمت انفاس الرجال فقال : حيث كانوا وراء ظهرك .

٣٦ ـ وقال له جناح بن سلمة يوما : ما ظهورك وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في الزندقة ؟ فقال له : استدفع الله عنك وعن اصهارك .

٣٧ ـ وقال له ابن مكرم يوما يعرض به : كم عدد المكدين بالبصرة ؟ فقال له : مثل عدد البغابئن ببغداد .

٣٨ ـ وقال له ابن مكرم ذات يوم : هممت ان امر غلامي ان يدوس بطنك فقال : الذي تخلفه على عيالك اذا ركبت او الذي تحمله على ظهرك اذا انزلت ؟؟

٣٩ ـ وقال ابن مكرم يوما : مذهبي الجمع بين الصلاتين فقال له : صدقت تجمع بينهما بالترك .

٤٠ ـ وقيل له : ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر اثمهما اكبر من نفعهما .

٤١ ـ وبات ليلة عند ابي مكرم فجعل ابن مكرم يفسو عليه فقام ابو العيناء وصعد السرير فارتفع اليه فساؤه فصعد الى السطح فبلغته رائحته فقال : يا ابن الفاعله ، ما فساؤك الا دعوة مظلوم .

٤٣ ـ وقدم اليه ابن مكرم يوما جنب شواء فلما جسه قال : ليس هذا جنبا هذا شريحة قصب .

٤٤ ـ ووعده ابن المدبر بدابة فلما طالبه قال : اخاف ان احملك عليها فتقطعني ولا اراك ، فقال : عدني ان تضم اليها حمارا لاواظب مقتضياه

٤٤ ـ ووعده يوما ان يعطيه بغلا ، فلقيه في الطريق فقال : كيف اصبحت يا ابا العيناء ؟ فقال : اصبحت بلا بغل فضحك منه وبعث به اليه ٠

٤٥ ـ وقالت له قينة : هب لي خاتمك واذكرك به ، فقال لها : اذكري انك طلبته مني ومنعتك ٠

٤٦ ـ ولما استوزر صاعد عقب اسلامه صار ابو العيناء الى بابه فقيل له يصلي ، فعاد فقيل يصلي فقال : معذور ، لكل جديد لذه ٠

٤٧ ـ وحضره يوما ابن مكرم واخذ يؤذيه ثم قال : الساعة والله انصرف ، فقال ابو العيناء : ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك ٠

٤٩ ـ وقال له ابن الجماز المغني : هل تذكر سالف معاشرتنا ؟ فقال : اذ تغنينا ونحن نستعفيك ٠

٤٩ ـ ودخل على ابن ثوابة عقب كلام جرى بينه وبين الوزير ابي الصقر بن بلبل وكان ابن ثوابة تطاول على الوزير فقال له ابو العيناء : بلغني ما جرى بينك وبين الوزير ، وما منعة من استقصاء الجواب الا انه لم يجد فيك عزا فيضعه ، ولا مجدا فينقصه ، وبعد : فانه عاف لحمك ان يأكله ، واستقل دمك ان يسفكه ٠ فقال ابن ثوابة : وما انت والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي ؟ فقال : لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه ان يعول على اخوانه فيأخذ من اموالهم، ولكني اشد من هذا من يستزل الماء من اصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه ، فيقطع نسلهم ويعظم اوزارهم ٠ فقال ابن ثوابة : ما تساب اثنان الا غلب الامهما ٠ فقال ابو العيناء : وبذا غلبت ابا الصقر بالامس فافحمه ٠

٥١ ـ وخاصم يوما علويا فقال له العلوي : تخاصمني وقد أمرت ان تقول : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد فقال : لكني اقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت ٠

٥١ ـ وقال له ابن الجهم يوما : يا مخنث . فقال : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه » .

٥٢ ـ ولما وكل موسى بن عبد الملك الاصبهاني بنجاح بن سلمه ليستأديه ما عليه من الاموال عاقبه موسى فهلك ابن سلمه في المطالبة والعقاب ، فلقى بعض الرؤساء ابا العيناء وقال له : ما عندي من خبر نجاح بن سلمه ؟ فقال ابو العيناء : « فوكزه موسى فقضى عليه » فبغلت كلمته موسى فلقيه وقال له : أبي تولع ؟ والله لاقومنك ، فقال له ابو العيناء: « اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس » ؟ .

٥٣ ـ وقال له العباس بن رستم يوما : انا اكفر منك فقال له : لانك تكفر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيى وابن ابي داود ، وانا اكفر بلا خفاره .

٥٤ ـ وقال له رجل من بني هاشم : بلغني انك بغاء فقال : وما انكرت من ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولي القوم منهم » فقال الهاشمي : انك دعى فينا . قال : بغائي صحح نسبي فيكم .

٥٥ ـ ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجبا من بكورة : يا ابا عبد الله، اتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له ابو العيناء : اتشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب ؟

٥٦ ـ ودعا ابو العيناء سائلا ليعشيه فلم يدع شيئا الا أكله فقال له : يا هذا دعوتك رحمة فاتركني رحمة .

٥٧ ـ ووقف عليه رجل من العامه فلما احس به قال : من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم ، قال ابو العيناء : مرحبا بك ـ اطال الله بقاءك ـ كنت اظن ان هذا النسل قد انقطع .

٥٨ ـ وغداه ابن مكرم يودا فقدم اليه عراقا فلما جسه قال : قدركم هذه لمبخت بالشطرنج .

٥٩ ـ وقدم يوما اليه قدرا فوجدها كثيرة العظام فقال له : هذه قدر أم قبر ؟

٦٠ ـ وأكل عنده يوما فسقى على المائدة ثلاث شربات بارده ثم استقى فسقى شربة حارة فقال : لعل مزملتكم تعتريها حمى الربع .

٦١ ـ ودخل يوما على المتوكل فقدم اليه طعام فغمس ابو العيناء لقمته في خل كان حاضرا واكلها فتأذى بالحموضة وفطن المتوكل له فجعل يضحك ، فقال لا تلمني يا امير المؤمنين ، فقد محت حلاوة الايمان من قلبي .

٦٣ ـ وأكل يوما عند بعض اصحابه طعاما وغسل يده عشر مرات فلم تنق فقال : كادت هذه القدر ان تكون الا نسبا وصهرا .

٦٣ ـ وقال له رجل من ولد سعيد بن مسلم : ان ابي يبغضك فقال : يا بني لي أسوة بآل محمد صلى الله عليه وسلم .

٦٤ ـ واعترضه يوما احمد بن سعيد فسلم عليه فقال له ابو العيناء : من انت ؟ قال : انا احمد بن سعيد ، فقال : اني بك لعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفع الى من اسفل ، فما له ينحدر على من علو ؟ قال : لاني راكب فقال : عهدي بك وانت في طمرين لو اقسمت على الله في رغيف لاعضك بما يكره .

٦٥ ـ ودق انسان عليه الباب فقال : من هذا ؟ فقال انا ، فقال انا والدق سواء .

٦٦ ـ وذكر يوما ولد موسى بن عيسى فقال : كأن انوفهم قبور نصبت على غير قبلة .

٦٧ ــ وقيل له : لم اتخذت خادمين اسودين ؟ قال : اما اسودان فلئلا اتهم بهما واما خادمان فلئلا يتهما بي •

٦٨ ــ وقال يوما لابن ثوبة : اذا شهدت على الناس السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون ، شهد عليك اثنن عضو فيك •

٦٩ ــ وقال له ابن ثوابة يوما : انا والله احبك بكل جوارحي ، فقال ابو العيناء : الا بعضو واحد ــ ايدك الله ــ فبلغ ذلك ابن ابي داود فقال : قد وفق في التحديد عليه •

هذا آخر ما تيسر لنا جمعه من نوادره التي وردت في كتب الادب والتاريخ •

بعض رسائله :

ـ وكتب الى بعض الرؤساء وقد وعدة بشيء فلم ينجزه : ثقتي بك تمنعني من استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني الى تذكرك ، ولست آمن ــ مع استحدام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك ــ اخترام الاجل ، فأن الاجال افات الامال ــ فسح الله في اجلك ــ وبلغك منتهى املك والسلام (١١) •

صور رائعة من شعره :

في ثنايا الموضوع قد مرت بعض الابيات الشعرية التي انشدها لنفسه الشاعر الاديب ذرب اللسان ابو العيناء وتحت هذا الموضوع سنورد مقاطيع شعريه له تغنينا عن التعليق اذ هو نفسه يعاق على شاعريته وقوة تفكيره فمن شعره :

---

(١١) معجم الادباء ج : ١٨ ص ٢٩٧ : تحقيق احمد رفاعي . مصدر سابق .

ان يأخذ الله من عيني نورهمـــــــــــــــا

فقي لساني وسمعي منهما نـــــــــــــــور

قلب ذكي وعقل غير ذي خطـــــــــــــــل

وفي فمي صارم كالسيف مأثـــــــــــــور

حمدا لك يا الهي :

حمدت الهي اذ بلاني بحبهـــــــــــــــا

على حول يغني عن النظر الشـــــــــــزر

نظرت اليها والرقيب يظنننـــــــــــــــي

نظرت اليه فاسترحت من العـــــــــــذر

جيل من الانعام :

ومن شعره الذي يهجوا اسد بن جوهر :

تعس الزمان لقد أتى بعجـــــــــــــاب

ومحا رســـــــــوم الظـــــرف والآداب

وافى بكتاب لو انبسطت يـــــــــــدي

فيهم رددتهم الى الكتـــــــــــــــاب

جيل من الانعام الا انهـــــــــــــــم

من بينها خلقوا بلا أذنـــــــــــــــاب

لا يعرفون اذ الجريدة جـــــــــــردت

ما بين عياب الى عتـــــــــــــــاب

او ما ترى اسد بن جوهر قد غـــــــدا

متشبها بأجلة الكتـــــــــــــــاب

فاذا أتاه سائل في حاجــــــه
رد الجواب له بغير جــــواب

وسمعت من غث الكلام ورثــــــه
وقبيحــه باللحــن والاعــــراب

ثكلتك امك هبك من بقر الفـــلا
ما كنت تغلط مرة بصــــواب

ابو العيناء واحمد بن الخطيب :

ومن شعره في هجاء احمد بن الخطيب ولم يفتقر هجاؤه على احمد بن الخطيب بالشعر فقط بل وضع عنه كتابا كما ذكر ذلك معجم الادباء بقوله : ووضع ابو العيناء كتابا في ذم احمد بن الخطيب حكى فيه : أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس وكل يكره ابن الخطيب لما كان فيه من الفدامه والجهاله والتغفل ، فتجاذبوا اطراف الملح في ذمه فقال احدهم : كان جهله غامرا لعقله ، وسفهه قاهرا لحلمه ، وقال اخر : لو كان دابة لتقاعس في عنانه ، وحرن في ميدانه . وقال اخر : كنت اذا وقع لفظه في سمعي احسست النقصان

وقال بعض كتابه : كنت ارى قلم ابن الخصيب يكتب بمالا يصيب ، ولو نطق لنطق بنوك عجيب . وقال ابراهيم بن المدبر : كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه هليون فاكب عليه فقلت له : اراك راغبا في الهليون ؟ فقال : انه يزيد في الباه . وقال اخر : لو غابت عنه العافية لنسيها . وقال ابو العيناء في اخر هذا التصنيف : كان ابن الخصيب اذا ناظر شغب ، وربما رفس من ناظرة اذا عجز عن الجواب ، وخفي عليه الصواب ، واستولت عليه البلاده ، وعرى كلامه عن الافاده ، وكان اذا دنوت منه غرك ، وان بعدت عنه ضرك ، فحياته لا تنفع ، وموته لا يضر اهـ .

وعن شعره في هجاء الوزير احمد بن الخصيب :

قل للخليفة يا من بن عم محمـــــــــــد
اشكل وزيرك انه ركـــــــــــال

قد احجم المتظلمون مخافـــــــــــة
منه وقالوا ما نروم محـــــــــــال

ما دام مطلقة علينا رجلـــــــــــه
أو دام للنزق الجهول مقـــــــــــال

قد ذل من اعراضنا بلســـــــــــانه
ولرجله بين الصدور مجـــــــــــال

امنعه من ركل الرجال وان تـــــــــــرد
مالا فعند وزيرك الامـــــــــــوال

فرس وغلام وحرس :

ومن شعره :

الحمد لله ليس لي فـــــــــــرس
ولا على باب منزلي حـــــــــــرس

ولا غلام اذا هتفت بـــــــــــه
ابني غلامي وزوجتي أمتـــــــــــي

ملكنيها الملاك رالعـــــــــــرس
غيت باليأس واعتصمت بـــــــــــه

عن كل فرد بوجهه عبـــــــــــس
فما يراني ببابه ابـــــــــــدا

طلق المحيا سمح ولا شـــــــــــرس

المال المال :

وقال :

من كان يملك درهمين تعلمـــــــــــت
شفتاه انواع الكلام فقـــــــــــالا

وتقدم الفصحاء فاستمعوا لـــــــــه
ورأيته بين الورى مختـــــــــالا

لولا دراهمه التي في كيســـــــــه
لرأيته شر البرية حـــــــــالا

ان الغني اذا تكلم كاذبـــــــــا
قالوا صدقت وما نطقت محـــــــــالا

واذا الفقير اصاب قالوا لم يصـــــــب
وكذبت يا هذا وقلت ضـــــــــلالا

ان الدراهم في المواطن كلهـــــــــا
تكسو الرجال مهابة وجـــــــــلالا

فهي اللسان لمن اراد فصـــــــــاحة
وهي السلاح لمن اراد قتـــــــــالا

بمن اثــق ؟

ومن شعره :

تولت بهجة الدنيـــــــــــا
فكل جديدها خلـــــــــق

وخان الناس كلهـــــــــم
فما ادري بمن اثــــــــق

رأيت معالم الخــــــيرات
سدت دونها طـــــــرق
فلا حســـــــب ولا أدب
ولا دين ولا خلـــــــق

الكرام قليل :

وقال :

الم تعلمي يا عمرك الله انـــــــي
كريم على حين الكرام قليــــــــل

واني لا اخزي اذا قيل مقتـــــــر
جواد واخزى ان يقال بخيـــــــل

والا يكن عظمي طويلا فأننـــــي
له بالخصال الصالحات وصـــــول

اذا كنت في القوم الطوال فضلتهـــم
بطولي لهم حتى يقال طويــــــل

ولا خير في حسن الجسوم وطولهـــا
اذا لم يزن طول الجسوم عقـــول

وكائن رأينا من جسوم طويلـــــة
تموت اذا لم تحيهن اصـــــول

ولم ار كالمعروف أما مذاقــــــه
فحلو واما وجهه فجميـــــــل

وقال :

يا ويح هذي الارض ما تصـــــــــنع
اكل حـــي فوقهـــا تصـــرع

تزرعهم حتى اذا ما أتـــــــــوا
اشدهم تحصد ما تـــــــــزرع

ومن شعره المجوني الذي انشده عندما نزل (دير باشهرا) الواقع على شاطيء دجلة بين سامراء وبغداد وهو دير حسن عامر نزه كثـير البســاتين والكروم وهو احد المواضع المقصوده والديارات المشهوره والمنحدرون من « سر من رأى » والمصعدون اليها ينزلونه فمن جعله طريقا بات فيـه واقام ان طاب له ومن قصده اقام الايام في الذ عيش واطيبـة ، واحسن مـكان وانزهه (١٢) ، وكان ابو العيناء قد نزله واقام به اياما ، واستطابه وقال فيه :

نزلنا دير باشـــــــــهرا
علـــى قسيســـه ظهـــــرا

على دين ايســـــــــوع
فما أفتى وما اســـــــرا

فأولـــى مـــن جميـــل الفعـــل
مـــا يســـتعبد الحـــــرا

وسقانا وروانـــــــــا
من الصافية العـــــذرا

وطاب الوقت في الديـــــــر
فرابطنا به عشـــــــرا

(١٢) الديارات للشابشتي ص ٥٢ تحقيق الاستاذ كوركيس عواد .

وسقينا به الشـــــــمس
وأخدمنا به البـــــــدرا

واحيت لذة الــــــكأس
ولكن قتلت ســــــكرا

ونلنا كل ما نهــــــوا
ه من لذاتنا جهـــــرا

تصابينا وغنينـــــــا
وارغمنا به الدهــــــرا

فتكنا وتهتكنـــــــا
وعقلي هتك الســــترا

وقــد ســاعدنا ربــــع
طوعا منه لا جبـــــرا

جزاه الله عن خـــــيرا

فقد اوسعته شـــــرا
كما اوسعنا بــــــرا (١٣)

ذكر محمد بن يحيى الصولي قال دخلت على ابي العيناء في آخر عمره وقد كف بصره فسمع صرير قلمي على الدفتر قال من هذا ؟ قلت عبدك وابن عبدك محمد بن يحيى الصولي ! قال بل ولدي وابن اخي ما كتب ؟ فقلت جعلني الله فداك شيئا من النحو والتصريف ، فقال النحو في الكلام كالملـح

---

(١٣) الديارات للشابشتي ص ٥٣ : تحقيق كوركيس عواد . مصدر سابق .

في الطعام ، فاذا اكثرت منه صار القدر زعاقا ، يا بني اذا اردت ان تكون صدرا في المجالس فعليك بالفقه ومعاني القرآن ، واذا اردت ان تكون منادما للخلفاء وذوي المروءة والادباء فعليك بنتف الاشعار وملح الاخبار (١٤) ٠

قد اختلفت كتب التاريخ الادبي عن محل وفاته فقد ذكر معجم الادباء « توفى ببغداد في جمادي الاخره سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائتين وقال ابنه ابو جعفر : مات ابي لعشر ليال خلون من جمادي الاولي سنة ثلاث وثمانين ومائتين » ٠

وقال ابن الجوزي في كتاب المنتظم : اقام ابو العيناء ببغداد مدة طويلة ثم خرج يريد البصرة فركب في سفينة فيها ثمانون نفسا فغرقت فلم يسلم منهم غيره فلما وصل الى البصرة مات ٠

---

(١٤) المنتظم لابن الجوزي ج : ٥ ص ١٦٠ ٠

محمد بن زياد الاعرابي

هو ابو عبد الله محمد بن زياد بن الاعرابي الكوفي صاحب اللغة ، وهو من موالي بني هاشم ، وكان ابوه عبدا من السند .. وكان راوية لاشعار القبائل ناسبا ، وكان احد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها(١) .

ويقول الاستاذ كوركيس عواد(٢) : انه نحوي لغوي شاعر حفاظه ، مات بسر من رأى سنة ٢٣١ هـ .

ويقول ابن النديم في فهرسته (٣) هو : ابو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي .

اما معجم الادباء (٤) فيقول : محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي

---

١ وفيات الاعيان ج : ٣ ص ٤٣٣ ط . س ١٩٤٨ ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد م . ط . النهضة المصرية .

(٢) حاشية الديارات للشابشتي ص ١٠ عدد ٥ المطبوع في مطبعة المعارف

(٢) حاشية الديارات للشابشتي ص ١٠ عدد ٥ المطبوع في مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٥١ .

(٣) الفهرست ص ١٠٢ المطبعة الرحمانية بمصر المطبوع سنة ١٣٤٨ هـ .

(٤) معجم الادباء : ١٨ ص ١٨٩ – ١٩٠ مطبوعات دار المأمون .

ابن عبد الله كان مولي لبني هاشم لانه من موالي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان ابوه زياد عبدا سنديا ، وكان من اكابر ائمة اللغة المشار اليهم في معرفتها نحويا ٠

موطنه الاصلي :

لقد كان موطنه الاصلي مدينة الكوفة والتي كانت مركز الثقل للتحقيقات اللغوية والادبية ٠ وبعد ان نال ما نال من المعرفة التامة والتي لا يجارية فيها احد انتقل الى سامراء التي كانت يومذاك دست الخلافة العباسية وقبلة الرواد من كل الجهات ٠ فهذا النحوي اللغوي الشاعر الحفاظة يعيش في سامراء بنثر درره الثمينة على طلاب العلم ويموت في سر من رأى ٠ ولكن الذي يحز في القلب ان قبره قد جهل كما جهلت قبور كثيره من الخلفاء والادباء والشعراء والحكماء والقواد والزهاد والعباد ٠

اساتذته وطلابه وطريقته في البحث :

مصدران مهمان من مصادر التاريخ يعينان بذلك تنقلها اليك ايها القاريء وان كانا ينقان في اكثر ايراد الخبر الا انهما يختلفان بعض الشيء بالتفصيل فهذا معجم الادباء (٥) يقول : وكان ربيبا للمفضل الضبي ، سمع منه الدواوين وصححها ، واخذ عن الكسائي كتاب النوادر ، واخذ عن ابي معادية الضرير والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن مسعود القاضي واخذ عنه ابراهيم الحربي، وابو عكرمه الضبي وبو العباس احمد بن يحيى ثعلب ، وابن السكيت وكانت طريقته طريقـة الفقهـاء والعلمـاء ، وكان احفظ الناس للغـات والايـام والانساب ١ هـ ٠

---

(٥) نفس المصدر ١٠/٥٠

اما ما ذكره كتاب وفيات الاعيان (٦) لابن خلكان المتوفى ٦٨١ من الهجره • فيقول : وهو ربيب المفضل بن محمد الضبي صاحب المفضليات ، كانت امه تحته ، واخذ الادب عن ابي معاوية الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الذي ولاه المهدي القضاء والكسائي ، واخذ عنه ابراهيم الحربي وابو العباس ثعلب ، وابن السكيت وغيرهم ، وناقش العلماء ، واستدرك عليهم وخطأ كثيرا من نقلة اللغة ، وكان راسا في الكلام الغريب ، وكان يزعم ان ابا عبيده والاصمعي لا يحسنان شيئا ا هـ •

شهادات علمية ادبية :

ثلاثة كتب من المراجع المهمة قد اوردت هذه الشهادات وهي الفهرست لابن النديم ووفيات الاعيان لابن خلكان ومعجم الادباء للحموي ولكنا سنأخذ بما جاء في معجم الادباء لانها اكثر تفصيلا واكثرا استشهادا واليك ذلك حيث يقول : قال ابو العباس ثعلب : قال لي ابن الاعرابي امليت قبل ان تجيء يا احمد حمل جمل • وقال ثعلب انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الاعرابي •

وقال ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول في كلمة رواها الاصمعي : سمعت من الف اعرابي خلاف ما قاله الاصمعي •

وقال : شاهدت ابن الاعرابي وكان يحضر مجلسه زهاء مائة انسان كله يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب •

قال : ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت في يده كتابا قط ، وما اشك في انه املى على الناس ما يحمل على اجمال ، ولم ير احد في علم الشعر واللغة اغزر منه •

---

(٦) نفس المصدر اعلاه .

وقال محمد بن الفضل الشعراني : كان الناس رؤساء ، كان سفيان الثوري رأسا في الحديث ، وابو حنيفة رأسا في القياس ، والكسائي رأسا في القرآن ، فلم يبن الان رأس في فن من الفنون اكبر من ابن الاعرابي فأنه رأس في كلام العرب ، وكان ممن وسم بالتعليم ، فكان يأخذ كل شهر درهم فينفقها على اهله واخوانه .

تحقيقات ادبية :

وكان يقول : جائز في كلام العرب ان يعاقبوا بين الضاد والضاء فلا يخطيء من يجعل هذه في موضع هذه وينشر من الطويل :

الى الله اشكو من خليـــــل أوده
ثلاث خلال كلها لي غائـــــض

بالضاد ، ويقول : هكذا سمعته من فصحاء العرب (٧) .

ويحكي أنه اجتمع ابو عبد الله بن الاعرابي وابو زياد الكلابي على الجسر ببغداد فسأل ابو زياد ابن الاعرابي عن قول النابغة :

على ظهر منبتاة

فقال : النطع بفتح النون وسكون الطاء ، فقال ابو زياد : النطع بكسر النون وفتح الطاء . فقال ابو عبد الله نعم . وانما انكر ابو زياد النطع بفتح النون وسكون الطاء لانها لم تكن لغته .

وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : اجتمع عندنا ابو نصر احمد بن حاتم وابن الاعرابي فتجاذبا الحديث الى ان حكى ابو نصر ان ابا الاسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثه فكساه ثيابا جددا من غير ان يعرض له بسؤال فخرج وهو يقول :

---

(٧) وفيات الاعيان ج : ٣ ص ٤٣٣ .

كساك ولم تستكسه فاحمدنـــــــــــــه

أخ لك يعطيك الجزيل وناصـــــــــــــر

فان احق الناس ان كنت مادحـــــــــــيا

بمدحك من اعطاك والعرض وافـــــــــر

فأنشد ابو نصر قافية البيت الاول ، وياصر بالياء يريد ويعطف ، فقال له ابن الاعرابي وناصر بالنون ، فقال دعني يا هذا وياصري وعليك بناصرك .

وحدث الصولي قال : غني في مجلس الواثق بشعر الاخطل :

وشارب مربح بالكأس نادمنـــــــــــي

لا بالحصور ولا فيها بســــــــــــوار

فقيل بسوار وبسئار ، فوجه الى ابن الاعرابي وهو يومئذ « بسر من رأى » فسأل عن ذلك فقال : بسوار يريد بوثاب اي لا يثب على ندمائـه ، وبسئار : اي لا يفضل في القدح سؤره وقد رويا جميعا فأمر له الواثق بعشرة الاف درهم .

وحكى عن ابن الاعرابي انه روى قول الشاعر :

ولا عيب فينا غير عرق لمعشــــــــــــر

كرام وانا لا نحط على النمـــــــــــل

نحط بحاء مهملة وقال معناه : انا لا نحط على بيـوت النمل لنصـب ما جمعوه وهذا تصحيف ، وانما الرواية لا نخط على النمل واحدثها نمله ، وهي قرحة تخرج بالجنب تزعم المجوس أن ولد الرجل اذا كان من أخته ثم خط على النمله شـفي صاحبهـا ، ومعنى البيت : انا لسـنا بمجوس ننكح الاخوات .

أموات واحياء :

وعن ابن عمران قال : كنت عند ابن ايوب احمد ابن محمد بن شجاع فبعث غلامه الى ابي عبد الله بن الاعرابي يسأله المجيء اليه فعاد اليه الغلام فقال : قد سألته ذلك فقال لي : عندي قوم من الاعراب ، فاذا قضيت أربي معهم أتيت . قال الغلام : وما رأيت عنده احدا الا اني رأيت بين يديه كتبا ينظر فيها ، فينظر في هذا مرة ، وفي هذا مرة ، ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له ايوب : انه ما رأى عندك احدا وقد قلت له انا مع قوم من الاعراب ، فاذا قضيت اربي معهم اتيت فانشد :

لنا جلساء ما نمل حديثهم
البا ء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى
وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة
ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا

فان قلت اموات فما انت كاذب
وان قلت احياء فلست مفندا (٨)

كلمة لا نصف العلم :

قال محمد بن حبيب : سألت ابا عبد الله بن الاعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح يقول في كلها لا ادري ولم اسمع ، افأحدث لك برأيي ؟

---

(٨) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٩٤ – ١٩٥ تحقيق احمد رفاعي بك .

وقال ابو العباس ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول : من لا قبول عليه فلا حياة لادبه .

وقال : ما رأيت قوما اكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق (٩) .

من اخلاقه :

واغتاب رجل عنده بعض العلماء فقال له : لو لم تقل فينا ما قلت عندنا فلا تجلسن الينا (١٠) .

حسبكِ يا غلام :

حدثنا الشابشتي في كتاب الديارات (١١) بهذه الطريقة فقد قال : وذكر ميمون بن حماد ، قال : دخل على يوما ابو عبد الله بن الاعرابي ، فقلت : يا ابا عبد الله سمعت من شعر هذا الغليم شيئا ؟ قال : من هو ؟ قلت : خالد بن يزيد قال .. لا ، واني لاحب ذلك فصح به . فجاء حتى وقف . فقلت : انشد ابا عبد الله شيئا من شعرك . فقال : انما اقول في شجون نفسي ، لا امدح ولا اهجو . فقلت : انشده ، فانشده :

اقول للسقم عد الى بدني
حبا لشيء يكون من سببك

فقال ابن الاعرابي : حسبك يا غلام . فقد خيل الى ان الرقة قد جمعت لك في هذا البيت .

---

(٩) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٩٥ - ١٩٦ تحقيق احمد رفاعي بك .
(١٠) معجم الادباء ج : ١٨ ص .
(١١) الديارات للشابشتي ص ١٠ - ١١ تحقيق كوركيس عواد .

رفيقان :

رأى ابن الاعرابي في مجلسه يوما رجلين يتحدثان فقال لاحدهما : من أين انت ؟ فقال من أسفيجاب ، وقال للاخر من أين انت ؟ فقال من الاندلس فعجب من ذلك وانشد :

رفيقان شتى الف الدهر بيننـــــــــــــا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفـــــــــــــان

ثم املى على من حضر مجلسه بغية الابيات الآتية :

نزلنا على قسيسة يمنيـــــــــــــة
لها نسب في الصالحين هجـــــــــــان
فقالت وارخت جانب الستر بيننـــــــــــا
لاية ارض ام من الرجـــــــــــلان
فقلت لها : اما رفيقي فقومـــــــــــه
تميم واما اسرتي فيمانـــــــــــي
رفيقان شتى الف الدهر بيننـــــــــــا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفـــــــــــان (١٢)

واني واياهم :

حدثنا ابن خلكان في وفيات الاعيان(١٣) ، ان : « من اماليـــه ما رواه ابو العباس ثعلب قال : انشدنا ابن الاعرابي محمد بن زياد والمذكور (مـــن الطويل) » :

---

(١٢) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٩٢ .
(١٣) ج : ٣ ص ٤٣٤ ، المصدر السابق .

سقى الله حيا دون بطنان دارهم
وبورك في مرد هناك وشيب

واني واياهم على بعد دارهم
كخمر بماء في الزجاج مشوب

مؤلفاته :

تجمع كتب الادب وتاريخ الادب على الكتب التي سنذكرها لك فقد جاء في معجم الادباء ان له من التصانيف :

١ ـ كتاب النوادر وهو كبير
٢ ـ كتاب الانواء
٣ ـ كتاب صفة النخل
٤ ـ كتاب صفة الزرع
٥ ـ كتاب الخيل
٦ ـ كتاب النبت والبقل
٧ ـ كتاب نسب الخيل
٨ ـ كتاب تاريخ القبائل
٩ ـ كتاب تفسير الامثال
١٠ ـ كتاب النبات
١١ ـ كتاب معاني الشعر
١٢ ـ كتاب صفة الدرع
١٣ ـ كتاب الالفاظ
١٤ ـ كتاب نوادر الزبيريين
١٥ ـ كتاب نوادر بني فقعس
١٦ ـ كتاب الذباب وغير ذلك

هذا وزاد ابن خلكان قوله : واخباره ونوادره واماليه كثيره .

وذكر الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديارات زيادات للكتب التي صنفها وهي « كتاب اسماء البئر وصفاتها واسماء خيل العرب وفرسانها » وقد طبعا هذا ما وقفنا عليه من مصنفاته وهي تغني بحد ذاتها عن غزارة علمه وسعة اطلاعه .

ولادته :

قال ابو العباس ثعلب : سمعت ابن الاعرابي يقول : ولدت في الليلة

التي مات فيها ابو حنيفه (١٤) •

وزاد ابن خلكان بعد ان اورد نفس القول الذي ذكره معجم الادباء قوله : وذلك في رجب سنة خمسين ومائه على الصحيح •

وفاته :

ذكر ابن خلكان انه (توفى لاربع عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقال الطبري في تاريخه : توفى يوم الاربعاء ثالث عشر الشهر المذكور سنة احدى وثلاثين ومائتين « بسر من رأى » وقيل سنة ثلاثين ومائتين والاول اصح وصلى عليه القاض احمد بن داود الايادي •

اما معجم الادباء فيلوح من تعبيره انه مات سنة ثلاثين ومائتين فقد قال : توفى ابن الاعرابي سنة ثلاثين ومائتين وقيل سنة احدى وثلاثين وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين •

وقد بلغ من العمر احدى وثمانين سنة واربعة اشهر وثلاثة ايام وكانت وفاته في خلافة الواثق بن المعتصم •

وقد انفرد صاحب معجم الادباء بسنة وفاته بانها سنة ثلاثين ومائتين لان ابن النديم في كتابه الفهرست قد ذكر بأنه مات سنة احدى وثلاثين •

كما ان الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديارات قد ذكر ان وفاته كانت سنة (٢٣١)هـ (٨٥٤) م •

وهكذا الموت يطفيء مصباحا وقادا من مصابيح اللغة والادب • ولقد صدق من قال :

هو الموت لا يحنو ولن يتوجعـــا
وما هاب شيخا أو تقبل شـــافعا

---

(١٤) معجم الادباء ج : ١٨ المصدر السابق .

احمد بن جعفر ابو الحسن النديم الملقب بجحظه



تزخر كتب الادب(١) في ترجمته وايراد نوادره وجميعها تتفق على ان اسمه احمد بن جعفر ابو الحسن النديم جحظه البرمكي .

فالوفيات تقول : كان فاضلا صاحب فنون واخبار ونجوم ونوادر ومنادمة وقد جمع ابو نصر ابن المرزبان اخباره واشعارة . وكان من ظرفاء عصره وهو من ذرية البرامكة وله الاشعار الرائعة .

اقول : لم يكن ابو النصر ابن المرزبان هو الذي جمع اخباره واشعاره فقد ورد في كتاب اسماء المؤلفين واثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي في ترجمة ابي الفرج الاصبهاني ان من جملة مؤلفاته اخبار جحظه البرمكي . فقد جمع اخباره ونوادره واشعاره .

وتاريخ بغداد يقول : احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك ابو الحسن النديم المعروف بجحظه . كان حسن الادب ، كثير الرواية للاخبار ، متصرفا في فنون جمه ، عارفا من العلوم بصناعة النجوم حافظا لاطراف

---

(١) الفهرست (١٤٥ ـ ١٤٦) تاريخ بغداد (٤ ـ ٦٥ – ٦٩) المنتظم لابن الجوزي (٦ ـ ٢٨٣ – ٢٨٦) الوفيات (١ ـ ١١٥) معجم الادباء (١ ـ ٣٨٣ ـ ٤٠٥) الديارات للشابشتي (٨ ، ٩ ، ١١ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٢١٦) .

من النحو واللغة ، مليح الشعر ، مقبول الالفاظ ، حاضر النادره ، واما صنعته في الغناء فلم يلحقه فيها احد ، روى عنه شيئا من اخباره وبعض شعره ابو الفرج على بن الحسين الاصبهاني ، وابو عمر بن حيوية ، والمعافي بن زكريا وابو الحسن الجندي وغيرهم •

والاستاذ كوركيس عواد في حاشيته على الديارات يقول : شاعر مغن طنبوري مجيد ، حسن الادب والمنادمة ، كثير الرواية للاخبار ، ظريف حاضر النادره •

ومعجم الادباء يقول عنه : هو ابو الحسن احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم • كان حسن الادب كثير الرواية للاخبار متصرفا في فنون من العلم ، كالنحو واللغة والنجوم ، مليح الشعر ، مقبول الالفاظ ، حاضر النادره ، وكان طنبوريا حاذقا فيه فائقا •

فهذه مصادر الادب تتفق على حسن ادبه وكثرة حفظة وتصرفة في فنون العلم وجمال شعره وقوة منطقة وخفة نفسه وانه مغن حاذق وقل ما تجد شخصا قد اجتمعت فيه هذه الصفات التي يتفق عليها رجال الادب هذه الصفات التي حببته الى النفوس وجذبتها اليه على الرغم مما كان يتصف به كما يقول معجم الادباء من الوساخة والقذارة ودناءة النفس واستهتاره بالدين• عدا قبح منظر • ونتوء عينيه البارز المقزز الى النفوس •

لماذا لقب بجحظه : ؟

ذكر معجم الادباء نقلا عن ابي عبد الله الحسن بن علي بن مقله قال : سألت جحظه عمن لقبه بهذا اللقب ، فقال : ابن المعتز بعثني يوما فقال لي : ما حيوان اذا قلب صار آلة للبحرية ؟؟ فقلت : عاق اذا عكس صار قلعا ـ فقال : احسنت يا جحظه فلزمني هذا اللقب ، وهو من في عينيه تتوجدا وكان

قبيح المنظر ، وكان له لقب آخر ، يلقبه به المعتمد ، وهو خنياكير وما ادري أي شيء معناه ؟

اقول : ان خنياكير كلمة فارسية معناها المغن •

ذنبك الى الزمان الكمال :

حدث الخطيب البغدادي قال : قال جحظه : انشدت عبيد الله ابن طاهر قولي :

قد نادت الدنيا على نفسـهـا
لو كان في العالم من يسـمع
كم واثق بالعمر واثقتـه
وجامع بددت ما يجمـع

فقال لي : ذنبك الى الزمان الكمال •

لم تكن الرقاع تجر نفعا :

قال جحظه : صك لي بعض الملوك بصك فدافعني الجهبذ به حتى ضجرت فكتبت اليه (٢) :

اذا كانت صلاتكم رقاعـا
تخطط بالانامل والاكـف
ولم تكن الرقاع تجر نفعـا
فها حظي خذوه بالف الـف

(٢) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٢٤ •

بلا عنوان :

حدث غرس النعمه في كتاب الهنوات قال (٣) : كان جحظه لما اسن يفسو في مجالسه ، فيلتقي من يعاشره منه جهدا . قال الحسين بن العباس : وكنت احب غناءه ، والكتابة عنه ، لما عنده من الاداب ، وكان يستطيب عشرتي ، وكنت اذا جلست عنده اخذته غلبة الريح ، فجئته يومـا في مجلس الادب ، والناس عنده ، وهو يملي ، فلما خفوا ، قال لي ولاخر معي : اجلسا عندي حتى اقعدكما على اسود ، واطعمكما طباهجة بكبود ، واسقيكما من معتقة اليهود ، وابخركما بعنبر وعود ، اطيب من الندود ، واغنيكما غناء المشدود ، فقلت : هذا موضع السجود ، وجلسنا وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء ، وانا قـد اخذت الريح فوقي فوفى لنا بجميع ما ذكره ، وقال لنا وقد غنى وشربنا : نحن بالغداة علماء وفي العشاء بصورة المخنكرين ، فلما اخذ النبيذ منه ، اخذ يفسو ، وصديقي يغمزني ويتعجب ، فأقول له : ان ذلك عادته وخلقه ، وان سبيله ان يحتمل الى ان غنى صوتا من الشعر ، والصنعة له فيه وكان يجيده .

ان بالحيرة قسا قد مجـــــــــــــن
فتن الرهبان فيها وافتتـــــــــــــن
ترك الانجيل حينا للصـــــــــــبا
ورأى الدنيا مجونا فركـــــــــــن

قال : فطرب عليه صديقي طربا شديدا واستحسنه كثيرا ، واراد ان يقول له : احسنت والله يا ابا الحسن . فقال له ما في نفسه بتردد من امر الفساء : افس علي يا ابا الحسن كيف شئت ، فخجل جحظه ، وخجل الفن ، وانصرفنا .

لم يبق غير الحصير :

وحدث الخطيب ، عن ابي فرج الاصبهاني قال حـدثني جحظـه قال :

---

(٣) نفس المصدر السابق .

انصلت علی اضاقة ، انفقت فيها كل ما املكه ، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري فاصبحت يوما وانا افلس من طنبور بلا وتر ، كما في المثل ، ففكرت كيف اعمل ، فوقع لي ان اكتب الى محبره بن ابي عباد الكاتب ، وكنت اجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين ، وحالفه النقرس ، فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف الا محمولا على الايدي أو في محفه ، وكان مع ذلك على غاية الظرف ، وكبر النفس ، وبظم الهمه ، ومواصلة الشرب والقصف ، فأردت ان اتطايب عليه ليدعوني ، فأخذ منه ما انفقه مدة ، فكتبت اليه :

ماذا ترى في جـــــــدي
وفي عقار بـــــــــوارد
وقهوة ذات لـــــــــون
يحكي خدود الخرائـــــــد
ومسمع يتغنـــــــى
من آل يحيى بن خالــــــد
ان المضيع لهـــــــذا
نزر المرؤة بـــــــارد

فما شعرت الا بمحفه محبرة يحملها غلمانه الى داري ، وانا جالس على بابي فقلت له : لم جئت ؟ ومن دعاك ؟ فقال : انت ، فقلت: انما قلت لك : ماذا ترى في هذا ؟ وعنيت في بيتك ، وما قلت لك : انه في بيتي وبيتي والله افرغ من فؤاد ام موسى ، فقال : الان قد جئت ولا ارجع ، ولكن ادخل اليك، واستدعى من داري ما اريد ، قلت : ذاك اليك ، فدخل فلم ير في بيتي الا باريه، فقال : يا ابا الحسن ، هذا والله فقر مطيح ، هذا ضر مدقع ، ما هذا ؟ قلت : هو والله ما ترى ، فانفذ الى داره ، فاستدعى فرشا وآلة وقماشا وغلمانا ،

وجاء فراشوه ففرشوا ذلك ، وجاء وأفر الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج اليه ، وجاء طباخه بما كان في مطبخه ، وهو شيء كثير ، بالات ذلك ، وجاء شرابية بالاواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور والوان الانبذه وجلس يومه ذلك وليلته عندي ، يشرب على غنائي وغناء مغنية احضرها كنت القنها ، فلما كان من الغد سلم الى غلامه كيسا فيه الف درهم ورزمة ثياب صحاح ، ومقطوعة من فاخر الثياب ، واستدعى محفة فجلس فيها ، وشيعته ، فلما بلغ اخر الصحن ، قال : مكانك يا ابا الحسن ، احفظ بابك ، فكل ما في دارك لك ، فلا تدع احدا يحمل منه شيئا ، وقال للغلمان : اخرجوا ، فخرجوا بين يديه ، واغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة (٤) .

حسبنا الله ونعم الوكيل :

وحدث جحظه قال : دخلت وانا في بقايا علة على كاتب ، قال ابن بشران (على هارون ابن عريب الخالي) فقدم الينا مضيرة عصيان ، فامتنعت منها فقال : ـ جعلت فداك ـ انت علية ، وبدنك نحيل ، والعصب ثقيل ، واللبن يستحيل ، فقلت له : والعظيم الجليل ، المفضل المنيل ، لا تركت منها كثيرا ولا قليلا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فغضب علي فضربني عشرين مقرعة فقلت :

ولي صاحب لا قدس الله روحـــــــــه
وكان من الخيرات غير قريـــــــــب
اكلت عصيدا عنده في مضـــــــــيرة
فيالك من يوم على عصـــــــــيب

اللوزنيج الحامض :

قال ودخلت اليه يوما آخر ، فقدم الى لوزينجا لها ايام وقد حمضت

---

(٤) معجم الادباء ج ٢ ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

فأخذت امعن في اكلها فقال لي : ان اللوزينج اذا كان بالجوز ابشم واذا كان باللوز اتخم فقلت : نعم يا سيدي اذا كانت لوزينجا ، واما اذا كانت مصوصا فلا (٥) .

عربده :

وحدث عبد الله بن المعتز ، قال : عربد ابن ابي العلاء علي جحظه بحضرتي ، فأمرت بتنحية جحظه الى ان رضى احمد ، فكتب الى جحظه :

اليس من العجائب ان مثلـــــــــــــــــي
يقام لاحمد بن ابي العـــــــــــــــــلاء

ولي نفس ابت الا ارتفاعــــــــــــــــا
فاضحت كالسماء على الســــــــــــماء

لقد غضب الزمان على انـــــــــــــاس
فأبلاهم بأولاد الزنـــــــــــــــاء (٦)

جحظه ـ والصديق ـ والقطائف :

في تاريخ دمشق قال جحظه : سلمت على بعض الرؤساء وكان مبخلا ، فلما اردت الانصراف قال لي . يا ابا الحسن ، ايش يقول في قطائف تأثيه ؟ ولم يكن له بذلك عاده ؟ فقلت : ما آبي ذلك ، فاحضر لي جامتا فيه قطائف قد خمت فأرجفت فيها ، وصادفت مني سغبة ، وهو ينظر الى شزرا ، فقال لي : يا ابا الحسن ان القطائف ان كانت بجوز اتخمتك ، واذا كانت بلوز ابشمتك ، قال : فقلت : هذا اذا كانت قطائف اما اذا كانت مصوصا فلا .

---

(٥) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
(٦) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٢ .

وعملت لوقتي هذه الابيات :

دعاني صديق لي لاكل القطائــــــــــــف
فامعنت فيها آمنا غير خائــــــــــــف
فقال ، وقد اوجعت بالاكل قلبــــــــــه
رويدك مهلا فهى احدى المتالــــــــف
فقلت له : ما ان سمعنا بهــــــــــــا لك
ينادي عليه : يا قتيل القطائـــــــــف (٧)

موعد اللقاء :

قال عبد الله بن المعتز : كتب الى جحظه في يوم مطير : انصرفت مــن عندك ــ جعلني الله فداك ــ وقد كنا عقدنا موعدا للقاء ، ومنعني من المطير اليك ما نحن فيه من انقطاع شريان الغمام ، فتفضل ببسط العذر لعبدك ان شاء الله (٨) .

قد حفظوا القرآن الاسورة المائده :

حدث ابو الفرج الاصبهاني قال : دعاني محمد بن الشار يوما ، ودعا جحظه ، واطال حبس الطعام جدا ، وجاع جحظه ، فأخذ دواة وبياضا وكتب :

مالي وللشـــــــــــــــار وأولاده
لا قدس الوالد والوالــــــــــــــده
قد حفظوا القرآن واســــــــــــتعملوا
ما فيه الاســــــــــــــورة المائده

ورمى بها الى ، فقراتها ، ودفعها الى ابن الشار فقرأها ، ووثب مسرعا ،

---

(٧) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٢ .
(٨) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٣ .

فقدم المائدة ، فقاطعة جحظه ، فكان يجهد جهده ان يجيئه فلا يفعل فاذا عاتبناه قال : والله حتى يحفظ تلك السورة (٩) .

أفت لبنات دردان :

حدث ابو القاسم الحسين بن علي البغدادي قال : كان جحظه خسيف الدين ، وكان لا يصوم شهر رمضان ، وكان يأكل سرا ، فكان عند ابي يوما في شهر رمضان مسلما ، فاجلسته ، فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيفا. ودخل المستراح ، وجلس على المقعده ، واتفق ان دخل ابي فرآه فاستعظم ذلك وقال : ما هذا يا ابا الحسن ؟ فقال : أفت لبنات وردان ما يأكلون فقد رحمتهم من الجوع (١٠) .

في مجلس المغنية عريب المأمونية :

حدث جحظه في اماليه : دخلت الى عريب المأمونية مع شروين المغني ، وابي العبيس المغني ، وانا يومئذ غلام على قباء ومنطقه ، وافكرتني ، وسألت عني ، فاخبرها شروين ، وقال لها : هذا فتى من اهلك ، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، وهو يغني بالطنبور ، فأدنتني ، وقربت مجلسي ، ودعت بطنبور ، وامرتني ان اغني ، فغنيت اصواتا ، فقالت : احسنت يا بني ، ولتكونن مغنيا ، ولكن اذا حضرت بين هذين الاسـدين ضعت انت وطنبورك ، تعني بين عوديهما ، وامرت لي بمائة دينار (١١) .

الحظ يدور مع جحظه :

كان الحسن بن مخلد اكرم الناس في بذل المال ، وابخلهم بطعامه ، فكان

---

(٩) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٤ .
(١٠) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ بتصرف .
(١١) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

يحضر ندماؤه على مائدته ، فلا يستجرىء احد منهم ان يشعب شيئا التة ه وينزهون انفسهم عند رفع المائده بمسح ايديهم بلحاهم ، وله في ذلك قصص عجيبه .

قال جحظه : ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار وخمسمائة درهم ، وخمسة اثواب فاخره ، وعتيدة طيبة شربة ، فقيل له : كيف كان ذلك ؟ فقال : كان الحسن بن مخلد بخيلا على الطعام ، سمحا بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة ، فيسقيهم النبيذ ، ويؤاكلهم فمن اكل قتله قتلا ، ومن شرب معه على الخسف حظى عنده ، قال : فكنت عنده يوما ، فقال لي : يا ابا الحسن ، قد عملت غدا على الصبوح الجاشري فبت عندي ، فقلت : لا يمكنني، ولكن اباكرك قبل الوقت ، فعلي أي شيء عملت ان تصطبح ؟ فقال : قد اعد لنا كذا وكذا ، ووصف ما تقدم به الى الطباخ بعمله ، فعقدنا الرأي ان اباكره، وقمت وجئت الى منزلي ، ودعوت طباخي فتقدمت اليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه ، ويفرغ منه وقت العتمه ، ففعل ، ونمت ، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما اصلح ، وغسلت يدي وأسرج لي وانا عامل على المضي اليه ، اذ طرقتني رسله ، فجيئته ، فقال . بحياتي أكلت ؟ قلت . اعيذك بالله ، انصرفت من عندك قبل الغروب ، وهذا نصف الليل ، فأي وقت اصلح لي شيء ؟ أو أي وقت اكلت شيئا ؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني ، فقالوا وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه ، وهو ينتظر ان يفرغ له من اسراج بغلته ليركبها ، فسر بذلك سرورا شديدا وقدم الطعام ، فما كان في فضل اشمه ، فامسكت عن تشعيبه ضرورة ، وهو يستدعي اكلي ، ولو اكلت احل دمي ، قال : وكذا كانت عادته، فاقول : هو ذا اكل يا سيدي افي الدنيا احد يأكل اكثر من هذا ؟ وانقضى الاكل ، وجلسنا على الشرب ، فجعلت اشرب بارطال وهو يفرح ، وعنده اني اشرب على الريق ، أو على ذلك الاكل الذي جلست معه ، ثم أمرني بالغناء ، فغنيت ، فاستطاب ذلك ، وطرب ، وشرب ارطالا ، فلما رأيت النبيذ قد عمل

فيه ، قلت : يا سيدي تطرب انت على غنائي ، فانا على أي شيء اطرب ؟ فقال : يا غلام هات دواة ، فاحضرها ، فكتب لي رقعة ورمى بها الى ، واذا هي على صيرفي يعامله بخمسمائة دينار ، فأخذتها وشكرته ، ثم غنيته وطرب وزاد سكره ، فطلب منه ثيابا ، فخلع على خمسة اثواب ، ثم أمر ان يبخر كل ما بين يديه ، فأحضرت عتيدة حسنه سريه فيها طيب كثير ، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس ، فلما انتهوا الى ، قلت : يا سيدي : وانا ارضى ان اتبخر فحسب ؟ فقال لي : ما تريد ؟ قلت : اريد نصيبي من العتيدة ، قال : قد وهبتها لك ، فأخذتها ، وشرب بعد ذلك رطلا ، واتكأ على مسورته ، وكذا كانت عادته ، اذا سكر ، فقام الناس من مجلسه ، وقمت وقد طلع الفجر واضاء ، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم ، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها ، فصرت الى منزلي ونمت نومة ، ثم ركبت الى درب عون أريد الصيرفي ، فأوصلت اليه الرقعة ، فقال : يا سيدي انت الرجل المسمى في التوقيع ؟ قلت : نعم ، قال : انت تعلم ان مثلنا يعاملون للفائدة ، قلت : أجل ، قال : ورسمنا ان نعطي في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهما، فقلت له : ليس اضايقك في هذا القدر ، فقال : ما قلت هذا الا لاربح عليك الكبير ايما احب اليك : ان تأخذ كما يأخذ الناس ، وهو ما قد عرفتك ، أو تجلس مكانك الى الظهر ، حتى افرغ من شغلي ، ثم تركب معي الى داري ، فتقيم عندي اليوم والليله تشرب ، فقد والله سمعت بك ، وكنت اتمنى ان اسمعك ، ووقعت الان لي رخيصا ، فاذا فعلت هذا ، دفعت اليك الدنانير من غير خسران ، فقلت : أقيم عندك ، فجعل الرقعة في كمه ، واقبل على شغله فلما دنا الظهر ، جاء غلامه ببغلة فارهة ، فركب وركبت معه ، وصرنا الى دار سريه حسنة ، بفاخر الفرس والالات ، ليس فيها الا جواد روم للخدمة من غير فحل فتركني في مجلسه ودخل ، ثم خرج بثياب اولاد الخلفاء من حمام داره وتبخر وبخرني بيده بند عتيق جيد ، واكلنا اسرى الطعام وانظفه ، وقمنا الى

مجلس سري للشرب ، فيه فواكه والات بمال ، وشربنا ليلتنا ، فكانت ليلتي عنده اطيب من اختها عند الحسن بن مخلس فلما اصبحنا ، اخرج كيسين ، في احدهما دنانير ، وفي الاخرى دراهم ، فوزن خمسمائه دينار ، وخمسمائة درهم ، وقال : يا سيدي تلك ما أمرت به ، وهذه الدراهم هدية مني اليك ، فأخذتها ، وصار الصيرفي صديقي ، وداره لي (١٢) •

منكر ونكير :

ليست هذه القصة في دار الاخره بل هي في دار الدنيا ويحدثنا عنها جحظه في اماليه ويحفظها لنا معجم الادباء (١٣) ، الذي يقول : (وحدث جحظه في اماليه قال : كنت اشرب عند بعض اخواني بباب حرب في ناعورة ثابت في يوم مطر ومعنا شيخ ختميب حسن البزة متصدر فتجارينا ذكر المطر ، وما جاء فيه من الخبر ، فقال الشيخ : حدثوا يا سيدي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه ابا بكر وابا حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمرو بن العاص قاتل الكفار يوم غدير خم وصاحب راية النبي يوم (القطائف) يريد (يوم الطائف) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من قطرة تنزل من السماء الا ومحا ملك يتبجا حتى يضحا في موضحا ثم يصعد ويدحا فقلت : يا شيخ فالقطر يقع في الكنيف ، والملك ينزل معه قال : نعم يا سيدي فيهم ما في الناس من الدناءة والخسه) •

احاجيك :

قال جحظه في اماليه : استهديت من بعض اخواني دواة فأخرها عني ، ثم اجتمعنا في مجلس ابي العباس ثعلب ، فقلت لابي العباس : ما اراد الشاعر بقوله :

---

(١٢) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٤ .
(١٣) ج : ٢ ص ٢٧٩ .

أحاجيك : ما قبر عديم ترابـــه
به معشر موتى وان لم يكفنـــوا
سلوت عن التبيان مدة قبرهـــم
فان نبشوا يوما من الدهر بينـــوا

فسكت ساعة ، ثم قال : الدواة ، فلما انصرفت الى منزلي اذا الـدواة قد سبقتني اليه (١٤) •

اعذروني ان تخلفت عنكم :

قال جحظه دعوت فضيلا الاعرج ، وكان عندنا جماعة فكتب الينا :

انا في منزلي وقد رزق اللـــه
نديما ومسمعا وعقـــارا
فاعذروني بان تخلفت عنكـــم
شغل الحلى اهله ان يعـــارا

تعدني ان تعدني :

قال جحظه : وسألت الحسن بن مخلد حاجة ، فقال : اذا كان بعد ثلاث عرفتك ، فقلت : يا سيدي تعدني ان تعدني (١٥) •

قد فنى الدقيق :

قال جحظه في اماليه : كنت جالسا عند صديق لي ، فجاءه رقعة من منزله، فلما نظر فيها ضرط ، فحادثته ساعة واغتفلته واخذتها واذا فيها : قدمتى الدقيق وغدا الخبزة •

---

(١٤) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٨٠ •
(١٥) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٨١ •

عقرب لا تقرب :

لم تكن عقرب من تلك العقارب ذات الابره المسمومه بل هي استعارة للقصة التي يحدثنا عنها الشابشتي في الديارات (١٦) ، قال : دعا ابراهيم جماعة من المغنين فيهم جحظه وقاسم بن زرزر ، وكان فيها عمه ابو محمد بن حمدون ٠ فجعل ابراهيم يحاكي واحدا واحدا من المغنين ٠ فقال له عمه : لا تحك جحظه ، ولا يكن بينك وبينه عمل فلم يقبل ، وحاكاة ٠ فلم يزل جحظه يحتال في شيء يكتب فيه الى ان وجد رقعة فكتب فيها :

حصلت على حكاية من يغنـــي
فحاك لنا العجوز اذا تغنـــت
وحاك لنا لبيبا اذ أتاهـــا
فاعطاها القمد كما تمنـــت

فقال له عمه الم اقل لك « عقرب لا تقرب » ٠

لو لم يمت لقتلته :

وحكى جحظه عن ابراهيم بن القسم زرزر ان لا كهكيفي كان حسن الغناء مجيدا ، وكان يحسد ابراهيم بن العبيس على غنائه وشجا صوته ٠ فلما مات ابراهيم وكانت وفاته في ايام المكتفي ، دخلت على لاكهكيفي والدموع في عيني ٠ فقال : مالك ؟ قلت : مات ابراهيم ! قال سلام ! والله ، لو لم يمت لقتلته (١٧) ٠

---

(١٦) [illegible] ٨ ، تحقيق كوركيس عواد .

(١٧) الديارات ص ٩ [illegible] كوركيس عواد

عشية حياني بورد :

قال جحظه : حدثني خالد الكاتب قال كنت بدير سمالو (١٨) ، فلم اشعر الا ورسول ابراهيم بن المهدي قد وافاني • فدخلت اليه ، فاذا برجل اسـود مسفراني قد غاص في الفرش ، فاستجلسني ، فجلست • فقال : انشدني شيئا من شعرك ، فقلت : ايها الامير ، انا غلام اقول في شجون نفسي ، لا اكاد امدح ولا اهجو • فقال : ذلك اشد لدواعي البلاء ، فانشدته :

رأت منه عيني منظرين كمـــا رأت
من البدر والشمس المضـــيئة بالارض
عشية حياني بورد كأنـــــه
خدود اضيفت بعضهن الى بعـــض
وناولني كأسا كأن رضـــابها
دموعي لما صد عن مقلتي غمـــض
وولي وفعل السكر في حركاتــــه
من الراح فعل الريح بالغصن الغـــض

فزحف حتى صار في ثلثي المصلى • ثم قال : يا بني شبه الناس الخد بالورد وشبهت انت الورد بالخدود ، زدني ، فأنشدته :

عاتبت نفسي في هـــــوا
ك فلم اجدها تقبـــــل
واجبت داعيها اليـــــ
ك ولم اطع من يعـــذل
لا والذي جعل الوجـــو
• لحسن وجهك تمثـــل

(١٨) راجع الديارات للشابشتي ص ٩

لا قلت ان الصبر عنـــــــــــــ

لك من التصابي احمـــــــــــــل

فزحف ، حتى صار خارج المصلى ، ثم قال : زدني فأنشدته :

عش فحبيك سريعا قاتلـــــــــــــي

والضنى ان لم تصلني واصـــــــــــــلي

ظفر الحب بقلب دنـــــــــــــف

بك والسقم بجسم ناحـــــــــــــل

فهما بين اكتئاب وضـــــــــــــنى

تركاني كالقضيب الذابـــــــــــــل

وبكى العاذل لي من رحمتـــــــــــــي

فبكائي لبكاء العـــــــــــــاذل

فصاح وقال : يا بليق : كم لي معك من العين ؟ قال : ستمائة وخمسون دينارا قال : اقسمها بيني وبينه ، واجعل الكسر كاملا للغلام (١٩) .

جحظه وشروين :

قال جحظه : كنت اعشق جارية في القيان ، يقال لها شروين . فسكرت عندي ليلة ، فخرئت في سطلي وحميديتي وانصرفت . فكتب الى الهداهدى :

قد زارني خل اسر بـــــــــــــه

حلو الشمائل راجح العقـــــــــــــل

فبحق شروين التي خرئـــــــــــــت

في الطست والابريق والســـــــــــــطل

(١٩) الديارات للشابشتي ص ١١ ـ ١٢ تحقيق كوركيس عواد .

الا أتيت مبادرا عجــــــــــــــــــــلا

وارحت من نكد ومن مطـــــــــــــــــــل

حتى اراك اذا سكرت وقـــــــــــــــــد

شاركتها في ذلك الفعـــــــــــــــــل (٢٠)

نعلى .. نعلى :

قال جحظه : كنت يوما عند عبد الله بن المعتز ، فطلبت نعلى ، فلم اجده، فجعلت اقول :

يا قوم من لي بنعـــــــــــــــــــل

أو في مصحف نعـــــــــــــــــــلي

فسار هذا البيت حتى رواه الصبيان (٢١) .

دعوة عبد الله ابن المعتز لجحظه :

قال : ودعاني عبد الله يوما فأبطأت عنه فكتب الى :

لا تهجر الامراء من بعدوا علـــــــــــــــى

فرس الى .... قـــــــــــــــــيراط

فكتب اليه جحظه :

من كان خادم مثلكم فجـــــــــــــــواده

فرس الحفاء ودينة طســـــــــــــــوج

---

(٢٠) الديارات للشابشتي ص ١٤ تحقيق كوركيس عواد .
(٢١) الديارات للشابشتي ص ١٤ تحقيق كوركيس عواد .

جحظه وابن طرخان :

ولجحظه الى ابن طرخان يدعوه :

لنا يا اخي زلة وافـــــــــــــــــره
وقدر معجلة حاضــــــــــــــــره

وما شئت من خبر طيــــــــــــــب
ونادرة بعدها نـــــــــــــــادره

وراح تريك اذا صـــــــــفقت
سنا البرق في الليلة الماطـــــــــره

ومحسنه لم يخنها الصـــــــــواب
وزامرة ايما زامـــــــــــــــره

انا والله عليل :

قبل ايراد القصة يجدر بنا ان نذكر مقدمة لها ليعرف اولها من آخرها . فقد كان جحظه يعاشر صديقا له يقال له ابن دهقانه الهاشمي وكان شاعرا . وابن دهقانه هذا من ولد ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ويعرف بأبي جعفر محمد بن عمر وله شعر مليح ، وذكر جحظه ، انه كان والي البصرة في ايام الزنج ، وانه اخذ من الناجم بها ثلاثين الف دينار ، وسلم اليه البصره . وكان جحظه يكثر عنده ولا يغبه . هذه هي المقدمة والآن لننظر نهاية القصة كما يرويها لنا جحظه :

قال : فتأخرت عنه في وقت من الاوقات لعارض عرض لي ، فوجه الى يدعوني فكتبت اليه : انا والله عليل .

وليس بتزويق اللسان وصـــــــــوغه
ولكنه قد خالط اللحم والدمـــــــــا

فوجه الي بخمسين دينارا وخلعة ، وقال : هذا يزيل العلة ، فبحياتي الا جئتني فمضيت اليه (٢٢) .

قال جحظه : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يوما ، فجاءه مشيخة ، فأمرهم بالجلوس عن يمينه . وجاءه كهول ، فأمرهم بالجلوس عن شماله . ودخل احداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس . فسألته عنهم، فقال : هؤلاء بني ، وأومأ الى الشيوخ ، وهؤلاء بنوهم وأومأ الى الكهول ، وهؤلاء بنوهم وأومأ الى الاحداث . قلت : بنون لام أو لامهات شتى ؟ قال: أم جميعهم شاجي ، وانشد :

زرعت وشاجي بيتنا في شبيبتي
غراس الهوى فاعتم بالتمر العذب
فشاب بنو شاجي لظهري وادركوا
وشاب بنوهم وهي مالكة قلبي

قال : وهي معي مذ سبعون سنة . وكان بعض المنجمين حكم بموته قبلها ، فماتت قبله فقال :

فياعجبا من وممن رعيته
بأوكد اسباب الهوى ورعاني
وكنت ارجى أن اكون فداءه
فلما أتى وقت الحمام فداني (٢٣)

دير العلت وجحظه :

والعلت قرية على شاطيء دجلة في الجانب الشرقي منها وموقعها الآن على

---

(٢٢) الديارات للشابشتي ص ١٧ تحقيق كوركيس عواد بتصرف .
(٢٣) الديارات للشابشتي ص ٧٢ تحقيق كوركيس عواد .

بعد سبعة كيلو مترات من شمال غربي « مدينة بلد » احدى نواحي سامراء وهي تعرف الى اليوم باسم العلت كما ان سكان هذه المنطقة لازالوا يعرفون بالعلتاويين . وقد اوفينا عليها الكلام في مخطوطنا تاريخ سامراء قديما وحديثا .

وهذا الدير راكب دجله (٢٤) . وهو من احسن الديارات موقعا وانزهها موضعا ، يقصد من كل بلد ويطرقه كل احد . ولجحظه فيه :

ايها المالحات بالله جـــــــــــدا
واصلحا لي الشراع والســــــــــكانا
بلغاني هديتما البردانـــــــــــا
وانزلا بي من الدنان دنانـــــــــــا
واعدلا بي الى القبيصة الزهـــــــــــ
ـداء على أفرج الاحزانـــــــــــا
واذا ما اقمت حولا تمامـــــــــــا
فاقصدا بي الى كروم أوانـــــــــــا
وانزلاني الى شراب عتيـــــــــــق
عتقته يهوده ازمانـــــــــــا
واحططا لي الشراع بالدير بالعليـــــــــــ
ـت لعلي اعاشر الرهبانـــــــــــا
وظباء يتلون سفرا من الانـــــــــــ
ـجيل باكرن سحرة قربانـــــــــــا
لابسات من المسوح ثيابـــــــــــا
جعل الله تحتها اغصانـــــــــــا

(٢٤) الديارات للشابشتي ص ٦٢ ـ ٦٣ تحقيق كوركيس عواد .

خفرات حتى اذا دارت الـــــــــــــكا
س كشفن النحور والصلبانـــــــــــا
رق حتى حسبته خد من أبـــــــــ
دلني من وصاله هجرانـــــــــــا

بالرحب والسعه :

قال جحظه : خرجت في عيد من اعياد اشموني (٢٥) الى قطربل ، فلما وصلت الى الشط مددت عيني لانظر موضعا خاليا اصعد اليه ، او قوما ظرافا انزل عليهم ، فرأيت فتيين من احسن الناس وجوها وانظفهم لباسا واطرفهم آلة . فقدمت سميرتي نحوهما ، وقلت اتأذنون في الصعود اليكم ؟ فقالوا : بالرحب والسعه . فصعدت وقلت : يا غلام ، طنبوري ونبيذي . فقالا اما الطنبور فنعم ، واما النبيذ فلا . فجلست مع احسن الناس اخلاقا واملحهم عشرة . واخذنا في امرنا . ثم تناولت الطنبور ، وغنيت بشعر لي :

سقيا لاشموني ولذاتهـــــــــــا
والعيش فيما بين جناتهـــــــــــا
سقيا لايام مضت لي بهـــــــــــا
ما بين شطيها وحاناتهـــــــــــا
اذ اصطباحي في بساتينهـــــــــــا
واذ غبوني في دياراتهـــــــــــا

فغر القوم ، وشربوا بالارطال وشربت ، وطاب لنا الوقت الى آخر النهار ثم قلت لاحدهما : جعلت فداك ، ما ارى في هذا الجمع ارق منكما طبعا ، ولا ارق نبيذا . فقال لي مجيبا :

---

(٢٥) اشموني دير من اديرة النصاري راجع الديارات للشابشتي ص ٣٠ تحقيق كوركيس عواد .

شراب رقيق كما قد رأيـــــــــــت

ودبسهم بذباب يســــــــــاط

واشار الى القوم ، ثم قال :

فكيف اكون نظيرا لهــــــــــــم

ابن لي بعقلك ام ذا خــــــــــراط

ثم قال : ازيدك ؟ قلت : لا . ومر لنا اطيب يوم واحسنه .

دير تدور به الاقداح مترعة :

قال الشابشتي حكى عبد الواحد بن طرخان قال : خرجت الى ديـر الزند ورد في بعض اعياده متطربا ومتنزها ، ومعنا جحظه في جماعة من اخواني نزلنا موضعا حسنا ووافقنا هناك جماعة من ظراف بغداد ، لجميعهم معشوقات حسان الوجوه والغناء . فاقمنا به اياما في أطيب عيش . وقال جحظه فيـه شعرا ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنى فيه لحنا حسنا وهو :

سقيا ورعيا لدير الزندرود ومــــــــا

يحوى ويجمع من راح وريحــــــــان

دير تدور به الاقداح مترعـــــــــة

من كف ساق مريض الطرف وســـــنان

والعود يتبعه ناي يوافقــــــــــه

والشدو يحكمه غصن من البـــــــان

والقوم فوضى ترى هذا يقبـــــل ذا

وذاك انسان سوء فوق انســــــان

هذا ودجلة للرائين معرضــــــــة

والطير يدعو هديلا بين اغصــــــان

بر وبحر فصيد البر مقتـــــــــــــرب
والبحر يسبح شطاه بحيتـــــــــــــان
ثم صنع لحنا وغنى فيه بشعر له • منه :
خليلي الصبوح دنا الصـــــــــــباح
فان شفاء ما تجـــــــــــــدان راح
فنبه فتية جبهوا قديمـــــــــــــا
عواذلهم بزجر فاســـــــــــــراحوا
رأيت الغانيات صددن عنـــــــــي
واعرضت المبتلة الـــــــــــــرداح
وقلن : مضت بشرتك الليالـــــــــي
فقلت : نعم وقد رث الســـــــــلاح

شهادة ادبية :

ان من جملة الادباء الذين ترجم لهم الحموي في معجم الادباء (٢٦) ، هو محمد بن احمد بن عبد الله بن عبد الصمد الهاشمي المتوفى سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين هذا الاديب يشهد له جحظه بسعة الاطلاع والحفظ والرواية وجودة الشعر فيقول : لم أر قط احفظ منه لكل عين ولا اجود شعرا ولم يكن في الدنيا صناعة الا وهو يعملها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز وكان ابوه احمد يلقب بالحامض •

العنوان على القاريء :

قال جحظه : اجتمعت انا وجماعة من اخواننا مع ابي العبر في براح اراد أن يبنيه دارا فاقبلنا نقدر البيوت واين مواقعها ؟ فبينا نحن كذلك اذ خرط

---

(٢٦) ج : ١٧ ص ١٢٢ •

بعض من كان معنا فقال ابو العبر : مهما شككنا فيه فما نشك ان هذا الموضع الكنيف (٢٧) •

جحظه ينشد شعر غيره :

قال معجم الادباء وانشد جحظه لابي العنبس الصيمري :

لئن كنت عن ارض تقلك نازحـــــا

فلم يحكن غير السليم المســـــهد

وعلمت مذ جرعتني صاب بينكـــــم

غريب البكا عين الحمام المغـــــرد

جحظه يرثي اديبا :

ابن دريد علما من اعلام اللغة والكلام وهو الذي انتهت اليه لغة البصريين وكان احفظ الناس وأوسعهم علما واقدرهم على شعر وما ازدحم العلم والشعر في صدر احد ازدحامها في صدور ابن دريد وكان يقال ابن دريد اشعر العلماء واعلم الشعراء • هذا الاديب يقضي عليه الموت الذي هو مورد كل حي فينبري جحظه ذلك الظريف فيرثيه رثاء مرا تقديرا للعلم والشعر والادب فيقول :

فقدت بابن دريد كل منفعـــــة

لما غدا ثالث الاحجار والتـــــرب

وكنت ابكي لفقد الجود مجتهـــــدا

فصرت ابكي لفقد الجـــــود والادب

---

(٢٧) معجم الادباء ج : ١٨ ص ١٣٦ .

وليمة ادبية :

حدث ابو علي بن الاعرابي الشاعر قال : كنت في دعوة جحظه فأكلت ، وجلسنا نشرب ، وهو يغني ، اذ دخل رجل فقدم اليه جحظه زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل ، وكان بخيلا على الطعام ، قال : وكأن الرجل كان طاويا ، طاوي تسع ، فأتى على الزلة ، ورفع الطيغوربة فارغة ، وجحظه يرمقه ونحن نلح جحظه ونضحك ، فلما فرغ ، قال له جحظه : تلعب معي النرد قال : نعم ، فوضعاه بينهما ، ولعبا ، فتوالي اللعب على جحظه من الرجل بأن تجيء الفصوص على ما يريد من الاعداد ويكره جحظه ، فأخرج جحظه رأسه من قبة الخيش رافعا له الى السماء ، وقال كأنه يخاطب الله جل وعز : لعمري اني استحق هذا ، لاني اشبع من اجعته .

جحظه وكتاب الاغاني :

اختلف الادباء ورجال السير عن كتاب الاغاني هل انه من تأليف ابي فرج الاصبهاني ام من وضع غيره . وكتب التراجم حافلة بهذا الاختلاف فلكل طرف ادلة وبراهين وحجج .

وهنا في هذا الخبر يبدو جحظه برأى يذب فيه ان كتاب الاغاني ليس من وضع ابي فرج الاصبهاني وهذا معجم الادباء (٢٨) ، يورد الخبر فيقول : واخبرني جحظه انه يعرف الوراق الذي وضعه وكان اسمى سندي بن علي ، وحانوته في طاق الزبل ، وكان يورق لاسحاق ، فاتفق هو وشريك له على وضعه .

حديث امالي جحظه :

حدث جحظه في اماليه ، قال : حضرت مجلس ابي العباس ثعلب ، وعنده

(٢٨) معجم الادباء ج : ٦ ص ٥٧ ـ ٥٨ .

جماعة من اصحابه ، وحضر احمد بن علي المادرائي ، فسأله عن ابي العباس بن ثوابه ، وقال له ، متى عهدك به ؟ فقال : لا عهد ولا عقد ، ولا وفاق ولاميثاق، فقال له ثعلب : عهدي بك اذا غضبت هجوت ، فهل من شيء ؟ فانشد :

بني ثوابة انتم أثقل الامـــــم
جمعتم ثقل الاوزار والتخـــــم
اهاض حين اراكم من بشـــــامتكم
على القلوب وان لم أوث من بشـــم
كما قائل حين غاظته كتابتكـــــم
لو شئت بارت ما علمت بالقلـــــم

فقال ثعلب : احسنت والله في شعرك ، وأسأت الى القوم (٢٩) .

عتاب واعتذار :

قال ابو الفرج الاصبهاني (٣٠) : بلغ ابا الحسن أن مدرك بن محمد الشيباني الشاعر ذكر بـ... في مجلس كنت حاضره وكتب الي :

ابا فرج أهجي لديك ويعتـــــدي
على فلا تحمي لذاك وتغضـــــب
لعمرك ما انصفتني في مودتـــــي
فكن معتبا ان الاكارم تعتـــــب

قال ابو الفرج : فكتبت اليه :

عجبت لما بلغت عني باطـــــلا
وظنك بي فيه لعمرك اعجـــــب

---

(٢٩) معجم الادباء ج : ٤ ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .
(٣٠) معجم الادباء ج : ١٣ ص ١٢٢ .

ثكلت اذا نفسي وعزي وأســــــرتي
بفقدي ولا ادركت ما كنت اطلــــــب

فكيف بمن لاحظ لي في لقائــــــه
وسيان عندي وصله والتجنــــــب

فثق بأخ اصفاك محض مــــــودة
تشاكل منها ما بدا والتغيــــــب

اظهار سرقة شعرية :

قال جحظه : كان ابن بسام يفخر بقوله في :

يا من هجوناه فغنانــــــا
انت وحق الله اهجانــــــا

فقلت : هذا معن لم يسبق اليه خاطر ابن بسام وان كان قـد أتى به مطبوعا ، وانما اخذه من قول ابن الرومي في هجائه شنطف :

وفي قبحها كاف لنا من كيادهــــــا
ولكنها في فعلها لم تــــــردد
ولو علمت ما كايدتنا لقبحهــــــا
بانفاسها والوجه والطبل واليــــــد

نماذج شعرية :

لم نظفر بمصدر من مصادر التاريخ يذكر لنا فيه ان لجحظه ديوان شعر قد جمع ولكن وجدنا له قطعا شعريا منتشرة هنا وهناك وانا نقدمها مجموعة في هذا الباب . واليك ذلك :

١ ــ لست ادري اين الفؤاد مقيمــــــــا
يا مكان الفؤاد اين الفـــــــؤاد
دفعته الاحشاء عما يليهـــــــــا
فأذابته حرقة واتقـــــاد (٣١)

٢ ــ نأيت فلم ينأ عنه الضـــــــنا
وعدت فعاد الى نكســـــــــه
وفارقه الصبر في يومـــــــه
لما فاته منك في امســـــــه
ومستوحش آنس بالبـــــــكاء
على قلبه وعلى انســـــــه
يرق هواه لاحشـــــــاءه
ويرثى له الشوق من نفســـــه

٣ ــ اذا ما ظمئت الى ريقـــــــه
جعلت المدامة منه بديـــــــلا
واين المدامة من ريقـــــــه ؟
ولكن اعلل قلبا غليـــــــلا

٤ ــ لي صديق مغري بقربي وشـــــدوي
وله عند ذاك وجه صـــــــفيق
قوله ــ ان شدوت ــ احسنت زدنـــي
وبأحسنت لا يباع الدقيـــــق

٥ ــ اقول لها والصبح قد لاح ضـــــوءه
كما لاح ضوء البارق المتألـــــق

---

(٣١) كتاب الديارات للشابشتي ص ١٥ تحقيق كوركيس عواد .

شبيهك قد وافى ولاح افتراقنـــــــــا
فهل لك في صوت وكأس مـــــــــروق

فقالت شفائي في الذي قد ذكرتـــــــــه
وان كنت قد نغصته بالتفـــــــــرق

٦ ــ طرقنا بزوغي (٣٢) حين اينع زهرهـــــــا
وفيها لعمر الله للعين منظـــــــــر

وكم من بهار يبهر العين حســـــــنه
ومن جدول بالبارد العذب يزخـــــــر

ومن مستحث بالمدام كأنـــــــــه
وان كان ذميا أمير مؤمـــــــــر

وفي كفه اليمن شراب مـــــــــورد
وفي كفه اليسرى بنات معصـــــــفر

شقائق تندى بالندى فكأنهـــــــا
خدود عليهن المدامع تقطـــــــر

وكم ساقط سكرا يلوك لســـــــانه
وكم قائل هجرا وما كان يهجـــــــر

وكم منشد بيتا وفيه بقيـــــــة
من العقل الا أنه متحـــــــير

فكان مجن دون من كنت اتقـــــــي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصـــــــر

وكم من حسان جس اوتار عـــــــوده
فالهب نارا في الحشاء تتســـــــعر

---

(٣٢) اسم مكان راجع كتابنا تاريخ سامراء قديما وحديثا « المخطوط » .

يغني وأسباب الصواب تمـــــــــــده
بصوت جليل ذكر حين يذكـــــــــــــر

احن حنين الواله الطرب الـــــــــــذي
ثنى شجوه بعد الغداء التذكـــــــــــر

« اجحظه » ان تجزع على فقد معشــــــــــر
فقدت بهم من كان لكسر يجبـــــــــــر

واصبحت في قوم كأن عظامهـــــــــــم
اذا جئتهم في حاجة تتكســـــــــــــر

فصبرا جميلا ان في الصبر مقنعــــــــــا
على ما جناه الدهر والله اكبـــــــــــر

٧ ــ يا من بعدت عن الكرى ببعـــــــــــاده
الصبر ــ مذ غيبت ــ عني غائـــــــــــب

اصبحت اجحد أنني لك عاشـــــــــــق
والعين مخبرة بأنـــــــــــي كاذب

٨ ــ قد قال الادمان اكلي فمـــــــــــا
اطعم زادا فيس أبهـــــــــــام

فالحمد لله وشكرا لـــــــــــه
قد صرت من بائد اقـــــــــــوام

قوم ترى اولادهم بينهـــــــــــم
للجوع في حلية أينـــــــــــام

٩ ــ ارى الايام تضمن لي بخـــــــــــير
ولكن بعد ايام طـــــــــــوال

فمن ذا ضامن لدوام عمـــــــــــري
الى دهر يغير سيء حـــــــــــالي
هي التسعون قد عطفت قنـــــــــاتي
ونفرت الغواني عن وصـــــــــالي
وفيها ـ لو عرفت الحق ـ شـــــــغل
عن الامر الذي اضحى اشـــــــتغالي
كأني بالنوادب فـ ئـــــــــلات
وجسمي فوق اعناق الرجـــــــــال
الا سقيا لجسدك كيف يـــــــــلي
وذكرك في المجالس غير بـــــــــالي

١٠ ـ وانشد ايضا لنفسه :

انفق ولا تخش اقلالا فقد قســـــــمت
بين العباد مع الآجـــــــال ارزاق
لا ينفع البخل مع دنيا موليـــــــة
ولا يضر مع الاقبال انفـــــــاق

١١ ـ وانشد ايضا لنفسه :

تعجبت اذ رأتني فوق مكســـــــور
من الحمير عقير الظهر مضـــــــرور
من بعد كل امين الرســـــــغ معترض
في السير تحسبه احدى التصـــــــاوير
فقالت لا تعجبي مني ومن زمـــــــن
انحني على بتضييق وتقتـــــــير

بل فاعجبني من كلاب قد خدمتهـــــــــــم
تسعين عاما باشعاري وطنبـــــــــــوري
ولم يكن في تناهي حالهم بهـــــــــــم
حر يعود على حالي بتغيـــــــــــير

١٢ ـ وقيل لجحظه : كيف حالك ؟ فقال : كما قال الشاعر :

اي شيء رأيت اعجب مـــــــــن ذا
ان تفكرت ساعة في الزمـــــــــان ؟
كل شيء من السرور بـــــــــوزن
والبلايا تكال بالقفـــــــــزان

١٣ ـ وانشد جحظه لنفسه :

الحمد لله ليس لي كاتـــــــــــب
ولا على باب منزلي حاجـــــــــب
ولا حمار اذا عزمت علـــــــــي
ركوبه قيل : جحظه راكـــــــــب
ولا قميص يكون لي بـــــــــدلا
مخافة من قميصي الذاهـــــــــب
وأجرة البيت فهي مفرحـــــــــة
اجفان عيني بالوابل الســـــــاكب
ان زارني صاحب عزمت علـــــــى
بيع كتاب لشبعة الصـــــــاحب
اصبحت في معشر تشـــــــمتهم
فرض من الله لازب واجـــــــب

فيهم صديق في عرسه عجـــــــب
اذا تأملت أمرها عاجـــــــب
تحسبها حرة وحافرهـــــــا
ارق من شعر خالد الكاتـــــــب

١٤ ــ وانشد لنفسه :

الحمد لله لم اقل قط : يا بـــــــد
ر ويا منصفا ويا كافـــــــور
لا ، ولا قلت : اين اين الشـــــــوا
هين ووزاتنا واين البـــــــذور
لا ولا قيل : قد اتاك من الضـــــــ
يعة بر موفر وشـــــــعير
واتاك العطاء بانـد لمـــــــا
قيل لي ان في الخزين بخـــــــور
انا خلود من المماليك والامـــــــ
لاك جلد على البلا وصـــــــبور
ليس الا كسيرة وفديـــــــح
وحليق أتت عليه الدهـــــــور

١٥ ــ وله ايضا :

ولي صاحب زرته للســـــــلا
م فقابلني بالحجاب الصـــــــراح
وقالوا تغيب عـــــــن داره
لخوف غريم ملح وقـــــــاح
ولو كان عن داره غائبـــــــا
لادخلني اهله للنـــــــكاح

١٦ ـ وانشد لنفسه ايضا :

ما زارني في الحبس من نادمتـــــــــه
كأسين : كأس مودة ومـــــــــــدام
بخلوا على وقد طلبت ســـــــــلامهم
فكأنني طالبتهم بطعـــــــــام

١٧ ـ وانشد ايضا لنفسه :

وذي جدة طلبت اليه بــــــــــرا
من الجلساء مذموم الخلانـــــــــق
فأقسم انه رجل فقـــــــــــير
ارانيه المهيمن وهو صـــــــــادق
كأنني بالمنازل عن قليـــــــــل
خلون من المطرزة النمـــــــــارق
وقد ظفر النساء بما تركتـــــــــم
فصار لماهر بالنيك حـــــــــاذق

١٨ ـ وانشد ايضا لنفسه في اماليه :

وقائل قال لي : من انت ؟ قلت لـــــــــه
مقال ذي حكمة وانت له الحكـــــــــم
لست الذي تعرف البطحاء وطأتـــــــــه
والبيت يعرفه والحل والحـــــــــرام
انا الذي دينه اسعاف ســـــــــائله
والضر يعرفه والبؤس والعـــــــــدم
انا الذي حب اهل البيت افقـــــــــره
فالعدل مستعبر والجور مبتســـــــــم

١٩ ـ وله ايضا :

ولي كبد لا يصلح الطب سـقمها
من الوجد لا تنفك دامية حـره
فيا ليت شعري والظنون كثـيرة
ايشعر بي من بت ارعى له الشـعري

٢٠ ـ وله ايضا :

شكري لاحسانك شكر امـرى
يستوهب الاحسان من داهبـه
وكيف لا اشـكر من لا ارى
في منزلي الا الذي جاد بـه

٢١ ـ وانشد جحظه لنفسه في اماليه :

حسبي ضجرت مـن الادب
ورأيته سبب العطـب
وهجرت اعراب الكـلام
وما حفظت من الخطـب
ورهنت ديوان النقـا
ئض واسترحت من التعـب

٢٢ ـ وله ايضا :

لا تعجبي يا هند مـن
حالي فما فيها عجـب
ان الزمان بمن تقـ
م في النباهة منقلـب

فالجهل يضطهد الحجـــــــــــي
والرأس يعلوه الذنـــــــــــب

٢٣ ـ وانشد السلامي نسبة الى دار السلام وهي بغداد والسلامي شاعر من ولد المغيرة اخي خالد بن الوليد اقول انشد هذا الشاعر لجحظه في سعد الحاجب :

يا سعد انك قد خدمت ثلاثـــــــــــة
كل عليه منك وسم لائـــــــــــح
واراك تخدم رابعا لتميتـــــــــــه
رفقا به فالشيخ شيخ صـــــــــــالح
يا خادم الوزراء انك عندهـــــــــــم
سعد ولكن انت سعد الذابـــــــــــح

٢٤ ـ ومن شعر جحظه :

وليل في جوانبه حـــــــــــران
فليس لطول مدته انقضـــــــــــاء
عدمت مطالع الاصباح فيـــــــــــه
كأن الصبح جودا وفـــــــــــاء

٢٥ ـ وله ايضا :

رحلتم فكم من أنة بعد زفـــــــــــرة
مبينة للناس شوقي اليكـــــــــــم
وقد كنت اعتقت الجفون من البـــــــــــكا
فقد ردها في الرق حزني عليكـــــــــــم

٢٦ ـ وله ايضا :

يطول على الليل حتى أملـــــــــــه
فأجلس والنوم في غفلة عنـــــــــــي

فلا انا بالراض من الدهر فعلــــــــــه
ولا الدهر يرض بالذي ناله منــــــــــي

٢٧ ـ ومن شعر جحظه :

ان كنت ترغب في الزيـــــــــــا
رة عند اوقات الزيـــــــــــارة
فدع الشتيمة للغــــــــــــلا
م اذا دنوت من الفضـــــــــــارة

٢٨ ـ ومن مطبوع شعر جحظه :

واذا جفاني صـــــــــــاحب
لم استجز ما عشت قطعــــــــه
وتركته مثل القبـــــــــــو
ر ازورها في كل جمعــــــــه

٢٩ ـ وانشد لنفسه في اماليه :

دعيني من العذل اين الكبــــــــير ؟
بحرمة معبودك الاكبـــــــــــر
فلست بباك على ظاعـــــــــن
ولا طلل محول مقفـــــــــــر
ولكن بكاني على ماجـــــــــد
اراد نوالا فلم يقـــــــــــدر

٣٠ ـ وانشد لنفسه :

مرضت فلم يعدني في شـــــــــكاتي
من الاخوان ذو كرم وخـــــــــير

فان مرضوا وللايام حكـــــــــم

سينفذ في الكبير وفي الصـــــــغير

غدوت على المدامة والملاهـــــــي

وان ماتوا حزنت على القبـــــــور

٣١ ـ وانشد فيه لنفسه :

يا راقدا ونسيم الورد منتبـــــــه

في ربقة القفص والاطيار تنتحـــــــب

الورد ضيف فلا تجهل كرامتـــــــه

وهاتها قهوة في الكأس تلتهـــــــب

سقيا له زائرا تحيا النفوس بـــــــه

يجود بالوصل حينا ثم يجتنـــــــب

تبا لحير رآه وهو ذو جـــــــدة

لم يقض من حقه بالشرب ما يجـــــــب

٣٢ ـ وقد قال جحظه :

ناديت عمرا وقد مالت بجانبـــــــه

مدامة اخذت بالرأس والقـــــــدم

قد لاح في الدير نار الراهبين وقـــــــد

ناداك بالصبح ناقوساهما فقـــــــم

فقام يعثر في اثواب نعســــــته

لبزل صافية كالنجم في الظلـــــــم

فاستلها وشدا والكأس في يـــــــده

سلم على الربع من سلمى بذي ســـــــلم

لو دام لي في الورى خل وعاتقـــــــــــــة
لما حفلت بذي قربي ولا رحـــــــــــــم

ولا بكرت الى حلو لنائلـــــــــــــه
ولا التفت الى شيء من النعـــــــــــم

٣٣ ـ وكتب جحظه الى ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الله المشمعي ، وكان قائدا جليلا تقلد البصرة وفارس (٣٣) .

اليك ابا اسحاق مني رســــــــــالة
تزين الفتى ان كان يعشق زينـــــــــــ

لقد كنت غضبانا على الدهر زاربــــــا
عليه فقد اصلحت بيني وبينـــــــــ

٣٤ ـ وانشد جحظه لنفسه في اماليه :

قد نلتم صحة ما نالها بشـــــــــــر
وحزتم نعمة ما نالها مـــــــــــلك

فليت شعري مقدار تعمدكـــــــــــم
بما اتاكم به ام وسوس الفـــــــــــلك

٣٥ ـ وانشد جحظه في اماليه :

يا من دعاني وفر منـــــــــــــي
اخلفت والله حسن ظنـــــــــــــي

قد كنت ارض بخبـــــــــــز رز
ومالح أو قليل بـــــــــــــن

---

(٣٣) معجم الادباء ج : ٢ ص ٢٧٨ تحقيق احمد رفاعي بك .

وسكرة من نبيـــــــــــــــــذ دبس
اقام يوما بعقـــــــــــــــــر دن

فكيف يغلو بما ذكرنـــــــــــــــا
مساعد شاعر مفـــــــــــــــــن

٣٦ ــ وانشد جحظه لحتفه في اماليه :

قالت اعاليه القلـــــــــــــــــب
لما تثنى واخطـــــــــــــــــرب

اترى جنيت جنايـــــــــــــــة ؟
حتى صلبت على الخشـــــــــــــب

٣٧ ــ وانشد لنفسه في اماليه يقول :

يقول لي مالكي والدمع منحـــــــــــــدر
لا خفف الله رب العرش بلـــــــــــواكا

وان دعوت اليه عند معتبـــــــــــــــة
يقول قلبي له في السر حاشـــــــــاكا

٣٨ ــ وانشد ايضا لنفسه في اماليه :

ما انصفتن يد الزمـــــــــــــان ولا
ادركني غير حرفـــــــــــــة الادب

لاحفظ الله حيثما ســـــــــــــلكت
أمي وأبر الحمار في أست ابـــــــــــي

ما تركا درهما اصون بـــــــــــــه
وجهي يوم عن ذلة الطلـــــــــــــب

كتبه ومؤلفاته :

ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست ان لجحظه من التصانيف :

١ ــ كتاب الطبيخ لطيف

٢ ــ كتاب الطنبوريين

٣ ــ كتاب فضائل السكباج

٤ ــ كتاب الترنم

٥ ــ كتاب المشاهدات

٦ ــ كتاب ما شاهده من امر المعتمد على الله

٧ ــ كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الاحكام

٨ ــ كتاب ديوان شعره

ـ اما الاستاذ كوركيس عواد في تعليقة على كتاب الديارات فيذكر في الحاشية رقم (٦) ص ٨ انه الف سبعة كتب في الغناء والمنادمة والطعام واخبار بعض الخلفاء وقد ضاعت .

ولم يعرف السبب في تعداده لسبعة من الكتب بينما يذكر معجم الادباء وفهرست ابن النديم على انها ثمانية .

ولادته ووفاته :

ذكر معجم الادباء ان مولده سنة اربع وعشرين ومائتين وان وفاته في شعبان سنة اربع وعشرين وثلاثمائة بجبل .

ويقول الاستاذ كوركيس عواد في حاشيته على الديارات للشابشتي انه توفى بواسط سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٥ م) .

ويؤكد رأي الاستاذ عواد تاريخ بغداد والمنتظم لابن الجوزي .

وهنالك رواية انه بعد وفاته بواسط فقد نقل الى بغداد .

ولا يهم هذا او هذا ولكن ركنا من اركان الغناء يطوي في مجاهيل النسيان دون ان يذكره احد اللهم الا اولئك الذين ترجموا له .

الا رحم الله جحظه . فانه خدم الفن واسدى اليه اصولا باقية ما بقى الدهر . وكأنه تحسس ما سيلاقيه بعد موته من النكران والجحود فقال :

كأني بالنوادب قائلات
وجسمي فوق اعناق الرجال
الا سقيا لجسمك كيف يبلى
وذكرك في المجالس غير مبالي

وتعتلج به هذه الافكار فتفيض مرة ثانية على لسانه فيقول :

لا تعجبي من ومن زمن
اخني على بتضييق وتقتير
بل فاعجبي من كلاب قد خدمتهم
تسعين عاما بأشعاري وطنبوري
ولم يكن في تناهي حالهم بهم
حر يعود على حالي بتغيير

انه والحقيقة يعيش فقيرا معدما ويموت فقيرا معدما . وان الدنيا نطار وحلسة من جل قدرا . ولقد صدق القائل :

عتبت على الدنيا لتأخير عالم
وتقديم ذي جهل فقالت خذ العذر
بنو الجهل اولادي لذاك رفعتهم
واهل النهي اولاد ضرتي الاخرى

الحسين بن الضحاك « المعروف بالخليع »

يتفق كتاب الوفيات لابن خلكان(١) ومعجم الادباء(٢) على ان « حسين الضحاك ابن ياسر البصري المعروف بالخليع من خراسان اصلا وهو مولى لولد سليمان بن ربيعه الباهلي الصحابي فهو مولي لاباهلي النسب كما زعم ابن الجراح (٣) بصري المولد والمنشأ وهو شاعر ماجن ولذلك لقب بالخليع » .

منزلته بين طبقات الشعراء ..

ويعد في الطبعة الاولى من شعراء الدولة العباسية وكان شاعرا مطبوعا حسن التصرف في الشعر وكان ابو نؤاس يغير على معانيه في الخمر ، فاذا قال شيئا فيها نسبه الناس الى ابي نؤاس .

اقول ليس الناس ينسبون ما قاله الخليع في الخمر الى ابي نواس فهناك بعض الشعراء قد نسب ابياتا اليه مع انها من صنع الخليع كما ورد ذلك في معجم الادباء (٤) اذ قال : في ترجمة احمد بن علي القاساني الذي

(١) ج : ١ ص ٤٢٤ ط : س : ١٣٦٧ .
(٢) ج : ١٠ ص ٥ .
(٣) زيادة معجم الادباء على الوفيات .
(٤) ج : ٣ ص ٢٤٦ .

يقول : سمعت اعرابيا بالبادية يقول :

قــــل لدنيـــــا اصبحت تلعب بــــــي
ســــــلط الله عليـــــــك الاخـــــــره

فيقول الحموي قلت انا : هذا البيت معروف للحسين بن الضحاك مع بيت اخر هو :

ان اكـــــــــــــــــــن ابرد من قنينة
أو من الريش فأمي فاجـــــــــــــــــره

وهنا يظهر لك ايها القاريء ان قوة شعره يوهم الادباء والشعراء بأنه من شعر اهل البادية لجزالته ومقارنته وقوة اسلوبه وتفكيره الواسع الذي وكأنه لم يعش بين جدران المنازل .

يقول معجم الادباء : هو احد الشعراء المطبوعين الذين اغناهم عنو قرائحهم عن التكلف . وله غزل كثير اجاد فيه .

اما الشابشتي في الديارات فيقول . وكان الحسين بن الضحاك مــن الادباء الشعراء واهل الخلاعة والمجون وبالخليع يعرف .

ويقول ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ ﻫ في كتابه وفياة الاعيان : وهو شاعر ماجن مطبوع حسن التفنن في ضروب الشعر وانواعة . كما انه يذكر ان : بينه وبين ابي ابي نواس الحكمي نوادر لطيفه ووقائع حلوه وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته ذكره ابن المنجم في كتابه (البارع) وابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني وكل منهما اورد له طرفا من محاســن شعره .

مجالسته الخلفاء :

وقد اتصل الحسين بن الضحاك بالخلفاء من بني العباس ونادمهم واول

من جالس منهم : محمد الامين ابن هارون الرشيد ، وكان اتصاله به سنة ثمان وتسعين ومائه وهي السنة التي قتل فيها الامين وتنقل بعده في مجالس الخلفاء ونادمهم الى الحين الذي مات فيه في زمن المستعين وقيل في زمن المنتصر هذا ما قاله الحموي في معجم الادباء (٥) .

اما الشابشتي في الديارات (٦) فقد ذكر بانه : نادم جماعة من خلفاء بني العباس منهم : الامين ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل فأما المأمون فانه لم يدخل اليه ولم يختلط به .

لماذا لم يخالط المأمون : ؟

ذكر الشابشتي بان ذلك يرجع الى رثاء حسين بن الضحاك الى الامين فقال فيه :

هـــلا بقيـــت لســـد فاقتنـــا
فينـــا وكان لغـــيرك التلـــف
قـــد كان فيـــك لمن مضى خلـــف
فاليـــوم اعـــوز بعـــدك الخلـــف

فلما ورد المأمون من خراسان الى بغداد أمر بأن تثبت له اسماء من يصلح لمنادمته من اهل الادب فأثبت له قوم ذكر فيهم الحسين بن الضحاك وكان من جلساء محمد المخلوع فقرأ اسماءهم حتى بلغ الى اسم حسين فقال اليس القائل في محمد : « وكان لغيرك التلف » ؟ والله لا حاجة لي فيه ولا رأى وجهي الا على قارعة الطريق فلم يحظ طول ايام المأمون بشيء.

وقد اورد نفس الخبر كتاب معجم الادباء (٧) بتقديم وتأخير وزاد

---

(٥) ج : ١٠ ص ٦ .
(٦) ص ٣٥ ـ ٣٦ تحقيق كوركيس عواد .
(٧) نفس المصدر والجزء ص ٧ .

عليه : ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به وانحدر الحسين الى البصرة فأقام بها طول ايام المأمون .

كما انه اورد الابيات المتقدمة بالفاظ اخر حيث جاءت :

هـــلا بقيـــت لســـــد فاقتنـــا
ابـــدا وكان لغــــيرك التلــف
فلقـــد خلفــت خلائقـــا ســـلفوا
ولســـوف يعـــوز بعـــدك الخلــف

كيف رجع لمنادمة الخلفاء من بعد المأمون ؟

ذكر معجم الادباء ذلك فقال : واستقدمه المعتصم من البصرة حين ولى الخلافة بعد موت المأمون فلما دخل عليه اســتأذن في الانشــاد فأذن له فانشده يمدحه :

هــــلا ســألت تلــــدد المشـــتاق
ومننت قبـــل فراقـــه بتـــلاق
ان الرقيـــب ليســــتريب تنفس الصـــ
ـعدا اليـــــك وظاهـــر الاقـــلاق
ولئن اربت لقــــد نظـــرت بمقلـــة
عبري عليـــك ســـخينة الآمـــاق
نفس العـــذاء لخائـــف مترقـــب
جعـــل الـــوداع اشـــارة بعنـــاق
اذ لا جـــواب لمفحـــم متحـــير
الا الدمـــوع نصـــان بالاطـــراق

واني سأذكر بقية ابياتها الوارده تحت موضوع « شعره » فيما بعد .

فلما اتمها قال له المعتصم ادن مني فدنا منه فملأ فمه جوهرا من جوهر

كان بين يديه ثم امره بأن يخرجه من فيه فأخرجه فأمر بأن ينظم ويدفع اليه ويخرج الى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه منه ويعرفوا له فضله .

منادمته للمنتصر :

ذكر الحموي (٨) : لما ولى المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأة بالخلافة وانشده :

تجددت الدنيا بملك محمد
فأهلا وسهلا بالزمان المجدد

هي الدولة الغراء راحت وبكرت
مشمرة بالرشد في كل مشهد

لعمري لقد شدت عرى الدين بيعة
اعز بها الرحمن كل موحد

هنتك امير المؤمنين خلافة
جمعت بها اهواء أمة احمد

فأظهر اكرامه والسرور به وقال له : ان في بقائك بهاء للملك ، وقد ضعفت عن الحركة ، فكاتبني بحاجتك ، ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة ووصله بثلاثة الاف دينار ليقضي بها دينا بلغه انه عليه ، وقال في المنتصر ايضا وهو آخر شعر قاله :

الا ليت شعري ابدر بدا
نهارا ام الملك المنتصر

امام تضمن اتوابه
على سرجه قمرا من بشر

---

(٨) معجم الادباء ج ١٠ ص ١١ .

حمى الله دولــــة ســـلطانه

بجنــد القضــاء وجنــد القــدر

فــلا زال ما بقيــت مــدة

يــروح بهــا الدهــر أو يبتكــر

كأسا كأسا :

واصطبح الحسين بن الضحاك ذات يوم عند عبد الله بن العباس بن الفضل وخادم له قائم بين الخادم فأن حضرك شيء في هذا فقل فقال :

احيــت صــبوحي فكاهــة اللاهــي

وطــاب يومـي بقــرب اشــباهي

فآثــر اللهــو في مكامنــــه

مـن قبــل يــوم منغـص ناهــي

بابنــة كــرم من كف منتطــق

مؤتــزر بالمجــون تتــاه

يســقيك مـن طرفــه ومن يــده

ســقى لطيــف مجــرب داهــي

كأســا وكأســا كأن شــاربها

حــيران بين الذكــور والســاهي (٩)

عزون يحدث عن الضحاك :

قال الشابشتي(١٠) ان عزونا نديم كان للمعتصم ثم للمتوكل وذكــر

---

(٩) معجم الادباء ج : ١٠ ص ١٣ .

(١٠) الديارات ص ٣٦

عزون هذا قال : كنا مع المعتصم في بعض منتزهاته ، فاختجنا ان نخوض نهرا ، وكان معنا حسين بن الضحاك ، فكاد ان يغرق فقبض المعتصم على عضده ، وحمله من السرج حتى عبر به النهر اشفاقا عليه .

وهنا اشارة لابد من ذكرها اوردها الاستاذ كوركيس عواد في حاشيته على الديارات تحت رقم (٥) قال : ورد في هامش المخطوط : « اقول : انظر الى اخلاق المعتصم امير المؤمنين ، مع علو مفرف نفسه ، كيف خشي على تكدير مجلسه من النكد لما تحقق غرق احد جلسائه ، فانقذه بنفسه وحمله من سرجه بنفسه ، ولم يسأل احدا من اتباعه فعل ذلك » .

كما اورد الاستاذ كوركيس عواد في الحاشية على الديارات تحت رقم (١٠) قوله : اشتهر المعتصم بالقوى الجسميه . وقد اوردنا في مقالنا « اقوياء الابدان في العصور الاسلامية » الرسالة «١١» ــ ١٩٤٣ ــ العدد ٥٢٥ ص ٥٩٢ ــ ٥٩٣ ، شواهد تاريخية على ذلك .

قال الشابشتي (١١) : وكان وقت خدمته المتوكل صفف كبرا فكتب اليه يستعفيه من الخدمة فقال :

اسلفت اسلافك فيما مضى
من خدمتي احدى وشينا
كنت ابن عشرين وخمس فقد
وفيت بضعا وثمانينا
اني لمعروف بضعف القوى
وان تجلدت احابينا
هدت قواى ودهت اعظمي
وصرت في القلة عزونا (١٢)

---

(١١) نفس المصدر والصحيفة .

(١٢) قد مر عليك تحت عنوان عزون يتحدث عن الضحاك من هو عزون ؟

وخفت ان يعجــــل بي معجــــل
الـى التــي تعـــي المداوينـــا

الحسين عند المتوكل في يوم نوروز :

حدث الشابشتي في الديارات (١٣) عن ابي عبد الله بن حمدون قال : كنا عند المتوكل في يوم نوروز والهدايا تعرض عليه ، وفيها تماثيل من عنبر. وكان شفيع الخادم واقفا وعليــه اقبية موردة ورداء مورد وهو فيهـا من احسن الناس وجها . فجعل المتوكل يدفع الى شفيع قطعة قطعة من ذلك العنبر ، ويقول : ادفعها الى حسين ، واغمز يده فيفعل ذلك . وكان آخر ما دفع اليه وردة حمراء حياه بها فأنشأ يقول :

وكالـــوردة البيضـــاء حيـــا بحمـــرة
مـــن الـــورد يســـعى في غلائـــل كالـــورد

لـــه عبثـــات عنـــد كل تحيــــــة
بكفيــه تســـتدعي الخلــي الى الوجـــد

تمنيـــت لن اســـقي بكفيــــه شربه
تذكرني ما قـــد نســيت مـــن العهـــد

ســـقى الله دهــــرا لم ابت فيه ليلـــة
مـــن الدهـــر الا مـــن حبيت على وعـــد

فأمره المتوكل ان يسقيه ، وقال : قد اعطيناك امنيتك .

الحسين وصالح بن الرشيد :

وكان حسين ينادم صالح بن الرشـــيد ، فشرب معــه مرة في متنزه

---

(١٣) ص ٣٧ تحقيق كوركيس عواد .

« بباري » (١٤) وهي من اعمال كلواذا وكان له هناك بستان حسن جليل وسوره باق الى الان واثاره وقال يصف البستان وصبوحهم فيه وهي من مليح شعره (١٥) :

أما ناجاك بالنظر الفصيح
وأن اليك من قلب قريح ؟
فليتك حين تهجره ضرارا
مننت عليه بالقتل المريح
بحسنك كان اول حسن ظني
اما ينهاك حسنك عن قبيح ؟
وما ينفك متهما ليضحى
بنفسي نفس متهم نصيح
احب الفيء من نخلات باري
وجو سقها المشيد بالصفيح
ويعجبني تناوح ايكنيها
الى بريح حوذان وشيح
ولن انسى مصارع للسكارى
ونادبه الحمام على الطلوح
وكأس في يمين عقيد ملك
تزين صفاته غرر المديح
صريح مدامة هويت صريحا

(١٤) قرية من نواحي بغداد وكلواذا طسوج من طسايج بغداد . الدكتور سوسه ري سامراء .

(١٥) الديارات للشابشتي ص ٣٨ تحقيق كوركيس عواد .

وهل تــــزري الصريحة بالصـــــريح

الا يـا عمــــرو هــل لك في الصـــبوح

هلــــم الى صـــــسفية كل روح

تقـــام على تخــــاذل مقلتيــــــه

وسلســــل بالســــنيح وبالبريـــح

واتبـــع ســـكرة ســـلفت بأخــرى

وخلـــي الصـــحو للحـــر الشـــحيح

مجلس أنس وطرب :

وذكر عمرو بن بانه قال : كنا عند صالح بن الرشيد في بستانه هــذا ، ومعنا الحسين بن الضحاك وحولنا من النرجس أمر عظيم ، وقد طلع القمر على الشجر والنور ؛ ووقتنا من احسن وقت رئي وخادم لصالح كان يحبـه ويسقيه فقال قل للحسين : قل في مجلسنا هذا شيئا يتغنى به ابن بانة واشار الى الخادم فقال :

وصـــف البـــدر حســن وجهـــك حتى

خلـــت انـــي ومـــا اراك اراكا

واذا مــــا تنـــفس النـــرجس الغـــ

ـض توهمتـــــه نســـيم شـــذاكا

خـــدع للمنـــى تعللنـــي فيـــ

ـك باشـــراق ذا وبهجـــــة ذاكا

لا رد مـــن ما حييـــت على الـــود

لهـــذا وذاك اذ حكيـــــــاكا

قال عمرو بن بانة : فغنيت فيه ، ومر لنا اطيب وقت واحسنة (١٦) .

---

(١٦) ديارات للشابشتي ص ٣٨ ـ ٣٩ تحقيق كوركيس عواد .

مراسلات ادبيه :

قال الحسين بن الضحاك : كنت جالسا في داري يوم شك وقد افطر المأمون وأمر الناس بالافطار فجاءتني رقعة الحسن بن رجاء يقول فيها :

هززتـــك للصـــبوح وقـــد نهانـــي
أمـــير المؤمنـــين عـــن الصـــيام
وعنـــدي مـــن بنـــات الكـــرخ عشر
تطيب بهـــــم مصـــافحة المـــدام
ومـــن امثالهـــــم اذذا أنتشـــينا
نرانـــا نجتنـــي ثمـــر الحـــرام
فكـــن انت الجـــواب فليس شـــيء
احب الى مـــن حـــذف الـــكلام

فوردت على رقعته :

وقد ارسل الى محمد بن الحرث بن بسخنر غلاما له نظيف الوجه كان يتخطاه ومعه ثلاثة غلمان اقران حسان الوجوه ، ورقعـة منشـوره قد ختم اسفلها مثل المناشير فيها :

سر على اســـم الله يـــا احســـ
ن مـــن غصـــن لجـــين
في ثلاث مـــن بنـــي الـــرو
م الـى دار حســـين
اشـــخص الكهـــل الى مـــو
لاك يا قـــرة عينـــي
اره العنـــف ان اســـتعـ
ص وطالبـــه بـــدين

ودع اللقـــــط وخاطبـــــــــــ

ـه بغمـــــــــز الحاجبـــــــين

واحـــــذر الرجعـــــة مـــــن وجـــــ

ـهك في خفـــــى حنـــــــــين

فمضيت مع غلام محمد بن الحرث وتركت المضي الى الحسن (١٧) •

لبذل والشكر :

روى الشابشتي قال : وكان الحسين مستهترا بالخدم جدا ولم يقصر عن ذاك حتى مات •

قال المتوكل : انشدني حسين قوله :

فلو شـــــئت تيســـــــرت

كما ســـــميت يا يســـــــر

ولا والله لا تبـــــــــــر

ح أو ينصـــــــــرم الامـــــر

فأما المنـــــــع والـــــذم

واما البـــــــذل والشـــــكر

فدعنـــــــي مـــــن مواعيـــــدك

اذ حيتنـــــــك الدهـــــــر

فقلـــــت : أيهمـــــا كان

فقـــــال البـــــذل والشـــــكر

شعره والمناسبات التي قيلت فيه :

قدمنا في ثنايا ترجمة هذا الشاعر ابياتا شعرية قيلت بمناسبة حادثة آنية او تأثر ناتج عن انفعالات نفسية يلاقيها لمشهد يراه أو لحادث يحيط

ه والآن ــ نذكر في هذا الباب جملة من اشعاره فقسما منها مقرونا بالمناسبة التي قيلت فيه وقسما نذكره على سبيل الاحاطة بما ورد الينا من شعره واني استعين بهذا الموضوع بثلاثة مصادر ادبية هي معجم الادباء ووفيات الاعيان والديارات للشابشتي • وسأشير في الحاشية الى كل مصدر نقتطف منه ما يشنف الآذان وينعش النفس •

١ ــ ايا من طرفه سحر :

ايا من طرفه سحر
ويا من ريقه خمر
تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر
وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر
فان عنفني النا
س ففي وجهك لي عذر

وذكر في كتاب الاغاني ان هذه الابيات انشدها ابو العباس ثعلب النحوي للخليع بن الضحاك وقال ما بقي من يحسن ان يقول مثل هذا(١٨) •

٢ ــ ومن محاسن شعره(١٩) :

صل بخدي خديك تلق عجيبا
من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض
وبخدي للدموع غدير

---

(١٨) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٤٢٤ •
(١٩) وفيات الاعيان ج : ١ ص ٤٢٤ •

٣ ـ ولـه ايضا(٢٠) :

اذا خنتـوا بالغيـب عهــدي فمالكـم
تدلـون اولال المقيـم عـلى العهــد
صـلوا وافعـلوا فعــل المـدل بوصلـه
والا فصـدوا وافعـلوا فعــل ذى صــد

٤ ـ عـذير وان لـم اعتـذر(١) :

قال الحسين من ابيات وقد عمـر

وقـد رفع الله اقلامـه عن ابن ثمانين دون البشـر
اما في ثمانـين وفيهـا عـذير وان انـا لم اعتـذر
وقـد رفع الله اقلامـه عن ابن ثمانين دون البشـر
وانى لمن أسراء الالــه في الارض نصب حروب القدر
فأن يقض لي عملا صالحا اثاب وان يقض شـرا غفرا

٥ ـ وقـال (٢٢)

اصبحـت مـن اسـراء الله محتسـبا
في الارض نحـو قضــاء الله والقـدر
ان الثمانـين اذ وفيـت عدتهـا
لـم تبـق باقيـة مـن ولـم تـذر

(٢٠) وفيـات الاعيـان ج : ١ ص ٤٢٤
(٢١) معجم الادباء ج : ١٠ ص١٤
(٢٢) معجم الادباء ج : ١٠ ص١٤

٦ ـ وقال (٢٣)

لا وحبيك لااصا فح بالدموع ادمعا
من بكى شجوه استرا ح وان كان موجعا
كبدي في هواك اسقم من ان تقطعا
لم تدع صورة الضنى في للسقم موضعا

٧ ـ وقال (٢٤)

الا انما الدنيا وصال حبيب واخذك من مشمولة بنصيب
ولم ار في الدنيا كخلوة عاشق وبذلة معشوق ونوم رقيب

٨ ـ يا دير مديان :

دير مديان من اديرة النصارى وهو كما يقول الشابشتي على نهر كرخايا ببغداد . وكرخايا نهر يشق من المحول الكبير ويمر على العباسية ويشق الكرخ ويصب في دجلة وكان قديما عامرا والماء فيه جاريا ثم انطم وانقطعت جريته بالبثوق التي انفتحت في الفرات وهو دير حسن حوله بساتين وعماره ويقصد للتنزه والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة النزهه .

وللحسين ابن الضحاك فيه .

حث المدام فان الكأس مترعة
مما يهيج دواعي الشوق احيانا
اني طربت لرهبان مجاوبة
بالقدس بعد هدو الليل رهبانا

---

(٢٣) وفيات الاعيان ج : ١ ص٤٢٤
(٢٤) معجم الادباء ج : ١٠ ص١٦

فأستنفرت شجنا مني ذكرت به
كرخ العراق واخوانا واشجانا
فقلت والدمع في عيني مطرد
والشوق يقدح في الاحشاء نيرانا
ياديرمديان لا عربت من سكن
ما هجت من سقم يا دير مديانا
ان كيف يسعد وجه الصبر من بانا
سقيا ورعيا لكرخايا وساكنه
بين الجنينة والروحاء من كانا(٢٥)

٩ ـ عود على وعد :

قلنا سنذكر القصيدة التي مدح بها الخليع المعتصم عندما استدعاه من البصرة لينادمه وقد ذكرنا هناك قسما منها والان لجودتها وسبكها نثبتها بتمامها مبتدئين بأولها كما ذكرها معجم الادباء(٢٦) ٠

هلا سألت تلدد المشتاق
ومننت قبل فراقه بتلاق
هل عند فسك من علم فيخبرني
ان الرقيب ليستريب تنفس الصعداء اليك وظاهر الاقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة
عبرى عليك سخينة الاماق
نفس الفداء لخائف مترقب
جعل الوداع اشارة بعناق

(٢٥) الديارات للشابشتي ص٢١ تحقيق كوركيس عواد
(٢٦) ج : ١٠ ص ٨ـ٩ـ١٠ـ١١

اذ لا جـــواب لمفحـــم متحـــــير

الا الدمـــوع تصـــان بالاطـــراق

ومنهـــا

خـــير الوفـــود مبشـــر بخلافـــة

خضـــت ببهجتهـــا ابـــا اســـحاق

وافنـــه في الشـــهر الحـــرام ســـليمة

مـــن كـــل مشـــكلة وكـــل شـــقاق

اعطتـــه صفقتهـــا الضمـــائر طاعـــة

قبـــل الاكـــف بأوكـــد الميثـــاق

ســـكن الانـــام الى امـــام ســـلامة

عـــف الضمـــير مهـــذب الاخـــلاق

فحمـــى رعيتـــه ودافـــع دونهـــا

واجـــار مملقهـــا مـــن الامـــلاق

قـــل للاولى حرفوا الوجـــوه عـــن الهـــدى

متعســـفين تعســـف المـــراق

انـــي احـــذركم بـــوادر ضيغـــم

درب بخطـــم موائـــل الاعنـــاق

متأهـــب لا يســـتفز جنانـــه

زجـــل الرعـــود ولاجـــع الابـــراق

لـــم يبـــق مـــن متعزمـــين توثبـــوا

بالشـــام غـــير جماجـــم أقـــلاق

من بين منجدل تمج عروقه
علق الاخاوع اواسير وتاق
وثن الخيول الى معاقل قيصر
تختال بين أجرة ودفاق
يحملن كل مشمرة متغسم
ليث هزبر اهرث الاشداق

حتى اذا أم الحصون منازلا
والموت بين ترائب وتراق
هرت بطارقها هرير ثعالب
بدهت بزأر قادر طراق
ثم استكانت للحصار ملوكهم
ذلا ونيط حلوقهم بخفاق

هربت واسلمت البلاد عشية
لم تبق غير حشاشة الارماق

١٠ ـ فأهلا وسهلا بالزمان المجدد

لما ولى المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه الخلافة وانشده :

تجددت الدنيا بملك محمد
فأهلا وسهلا بالزمان المجدد
هي الدولة الغراء راحت وبكرت
مشمرة بالرشد في كل مشهد
لعمري لقد شدت عري الدين بيعة
اعز بها الرحمن كل موحد

هنتــك امــير المؤمنـين خـــلافة
جمعـت بهــا اهــواء امــة احمـد

فأظهر اكرامه والسرور به وقال له : ان في بقائك بهاء للملك ، وقد ضعفت عن الحركة فكاتبني بحاجتك ، ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة ووصله بثلاثة الاف دينار ليقضي بها دينا بلغه انه عليه(٢٧) .

١١ ــ وقال في المنتصر ايضا وهو اخر شعر قاله :

الا ليـت شـعري ابــدر بــدا
نهــارا ام المــلك المنتصــر

امـــام تضمـــن أثوابـــه
علـى مسرجـــه قمــرا من بشــر

حمـــى الله دولــــة ســـلطانه
بجنــد القضـــاء وجنــد القــدر

فــلا زال مــا بقيــت مـــدة
يــروح بهـــا الدهــــر او يبتكــر

١٢ ــ وانك مؤثر للحـق :

وقال يمـدح الوزير الحســن بن ســهل :

ارى الآمـــال غــــير معرجــات
علـى احــد سـوى الحســن بن ســهل

يــارى يومـــه غـــده سماحا
كــلا اليومــين بان بكــل فضـــل

(٢٧) معجم الادباء ص ٨ـ٩ـ١٠

ارى حسنا تقدم مستبدا
بيعد من رياسته وقبل

فأن حضرتك مشكلة بشك
شفاك بحكمة وخطاب فصل

سليل مرازب برعوا حلوما
وراح صغيرهم بسداد كهل

ملوك ان جريت بهم أبروا
وعزوا ان توازيهم بعدل

ليهنك أن ما أرجبت رشد
وما امضيت من قول وفعل

وأنك مؤثر للحق فيما
اراك الله في قطع ووصل

وأنك للجميع حيا ربيع
يصوب على قرارة كل محل(٢٨)

١٣ ـ وقال يمدح الواثق لما ولي الخلافة(٢٩) :

أكتم وجدي فما ينكتم
بمن لو شكوت اليه رحم

واني على حسن ظني به
لاحذر ان بحت ان يحتشم

(٢٨) معجم الادباء ج : ١٠ ص ١٧ـ١٨
(٢٩) معجم الادباء ج : ١٠ ص ٢١ـ٢٢ـ٢٣

ولـى عنـد لحظتـه روعـة
تحقـق مـا ظنـه المتهـم

وقـد علـم النـاس أتـى لـه
محـب واحسـبه قـد علـم

وانـي لمغضـي علـى لوعـة
مـن الشـوق في كبـدي تضطـرم

عشـية ودعـت عـن مدمـع
سـفوح وزفـرة قلـب سـدم

فمـا كان عنـد النـوى مسـعد
سـوى الدمـع يغسـل طرفـا كلـم

سـيذكر مـن بـان اوطـانه
ويبكـي المقيمـين مـن لـم يقـم

ومنها في المـديح :

الـى خـازن الله في خلقـه
سـراج النهـار وبـدر الظلـم

ركبنـا غرابيـب زفافـة
بدجلـة في موجـا الملتطـم

اذا ما قصـدنا لقـا طولهـا
ودهـم قراقيرهـا تصـطدم

وصـرنا الى خـير مسـكونة
نيممهـا راغـب اوملـم

مباركة شاد بنيانها
بخير المواطن خير الامم

كأن بها نشر كافورة
لبرد نداها وطيب النسم

كظهر الاديم اذا ما السحاب
صاب على متنها وانسجم

مبرأة من وحول الشتاء
اذا ما طمى وحله وارتكم

فما ان يزال بها راجل
يمر الهو بنا ولا يلتطم

ويمشي على رمله آمنا
سليم الشراك نقي القدم

وللنون والضب في بطنها
مراتع مسكونة والنعم

ومنها :

يضيق الفضا به ان عدا
بطودى اعاريه والعجم

ترى النصر يقدم راياته
اذا ما خففن امام العلم

وفي الله دوخ اعداءه
وجرد فيهم سيوف النقم

وفـــي الله يكظـــــم مـــن غيضـــه

وفـــي الله يصـــفح عمـن ظلـــم

رأى شـــــيم الجـــود محمـودة

ومـــ شـــيم الجـــود الا قـســم

فـــراح على نعـــم واغتـــدى

كــــأن ليس يحســــن الا نعـــم

١٤ ـ وقــال(٣٠)

اتانـــــى منــــك مــــا ليـــس

علــــــى مكروهــــــه صــــبر

قـــا غضـــيت علـــى عمـــد

وقـــــد يغضـــى الفتـــى الحر

وادبتــــــك بــــالهجـــــر

فمـــــا ادبـــــك الهجـــــر

ولاردك عمـــــــا كـــــان

منـــك النصـــــح والزجـــــر

فلمــــا حظرنــــــى المكـــروه

واشـــتد بـــــي الامـــــر

تناولتــــــك مـــن ضـــرى

بمــــا ليـــس لــــه قـــدر

فحركـــــت جنـــــاح الـــذل

لمــــا مســــك الضــــــ

(٣٠) معجم الادباء ج : ١٠ ص ٢٢

اذا لــم يصــلح الخــيرا مســرا اصـلحه الشــر

١٥ ـ وغضب عليه المتعصم لشيء جرى منــه على النبيذ ، فكتب اليــه يسترضيه(٣١) :

غضب الامــام اشــد مـن ادبــه
وقــد استجرت وعذت مـن غضــبه

اصــبحت معتصــما بمعتصـــم
أثنــى الا لــه عليــه في كتبــه

لا والــذي لــم يبــق لـى ســببا
ارجـــو النجاة بــه ســوى ســببه

مالــى شــفيع غـير حرمتـــه
ولكل من اشــفى علــى عطبــه

١٦ ـ في دير سرجس :

للحسين الخليع في هذا الدير ابيات حسان وهنا يجدر بنا ان نلم الماماً خفيفة عن هذا الدير . وان خير من يحدثنا عنه هو الشابشيتي في كتابــه الديارات حيث يقول(٣٢) : هذا الدين بين الكوفة والقادسية على حافــة الطريق وبينها وبين القادسية ميل وكانت ارضه محفوقــه بالنخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكانت احد البقاع المقصودة والنزه الموصوفة . وقد خربت الآن وبطلت وعفت آثارها وتهدمت آبارها ولم يبق من جميــع رسومها الا قباب خراب وحجر على قارعة الطريق ، تسمية الناس معصــرة ابي نؤاس .

---

(٣١) معجم الادباء ج : ١٠ ص ٢٢ـ٢٣
(٣٢) ص ١٥٠ـ١٥١ تحقيق كوركيس عواد . بتصرف

واليك ما قاله الضحاك فيه :

اخـوى حى على الصـبوح صـباحا
هبـا ولا تعـد النديـم رواحـا

مهمـا اقـام علـى الصـبوح مسـاعد
وعلـى الغبـوق فلـن اريـد براحـا

عـودا لعادتنـا صبيحـة امسـنا
فالعـودا حمـد مغتـدى ومراحـا

هـل تعذران بديـر سـرجس صـاخبنا
بالصـحو او ثريـان ذاك جناحـا

انى اعيـذ كمـا بألفـة بيننـا
أن نشـربا بقرى الفـرات قراحـا

عجب فواقزنـا وقـدس قسـنا
هرجـا واصحبنـا الدجـاج صياحـا

للجاشـرية فضـلها فتعجـلا
ان كنتمـا تريـان ذاك صـلاحا

يـارب ماتبس الجفـون بنومـة
نبهتـه بالراح حـين اراحـا

فكأن ريـا الكأس حـين ندبتـه
للكأس انهض في حشـاه جناحـا

فـاجاب يعثر فـي فضـول روائـه
عجـلان يخلـط بالعتـان مراحـا

فهتكت ستر مجونة بتهتكي
في كل ملهية وبحث وباحا

ما زال يضحك بي ويضحكن به
ما يستفيق دعابة ومزاحا

١٧ ـ عمر مريونان :

وهذا العمر بالانبار على الفرات وهو عمر حسن كبير كثير القلايات والرهبان وعليه سور محكم البناء فهو كالحصن له . ولا يخلو من المتنزهين والمتظرفين وله ظاهر حسن ومنظر عجيب سيما في ايام الربيع : لان صحاريه وسائر اراضيه تكون كالحلل لكثرة طرائف زهره وفنون انواره . ومن اجتاز بالانبار من الخلفاء ومن دونهم ينزله مدة مقامه .

وقد وصفته الشعراء وذكرته في اشعارها . وللحسين بن الضحاك فيه .

آذنك الناقوس بالفجر
وغرد الراهب في العمر

واطردت عيناك في روضة
تضحك عن حمر وعن صفر

وعن مخمور الى خمرة
وجاءت الكأس على فدر

فارغب عن النوم الى شربها
ترغب عن الموت الى النشر

خاتمة المطاف :

ذكر معجم الادباء وبقية كتب السير ان ولادته كانت في سنة اثنتين وستين ومائة وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائتين وقد قارب المائة وهذا

آخر ما وجدناه من حياته المطوية والتي ننشرها غير معلقين عليها بشيء لانه كمـــا قيــل :

كل ابـن انثـى وان طالـت سـلامته

لابــد يومـا علـى آله جـدباء محمـوله

فسلام عليك يا من لم تكن اديبا فحسب بل رائدا من رواد الاسفار فتنقلت من سر من رأى الى بغداد الى الكوفة فالقادسية والى الانبار تستمع من وقائع الطبيعة ما يفيض به لسانك .

ابو تمـــام الطـــائي

هو ابو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الاشبح بن يحى بن مروان بن مر ابن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن عمرو بن الفوت بن طيء ـ واسمه ملهمه ـ بن أدد بن زيد بن كهلان بن يشجب بن يعرب ابن قحطان الشاعر المشهور •

واما ما ذكره الامدى في كتاب الموازنة من قوله : والذي عند اكثر الناس في نسب ابى تمام : أن اباه كان نصرانينا من اهل جاسم ، قرية من قرى دمشق يقال له : تدوس العطار فجعلوه أوسا وقد لفقت له نسبة الى طيء •

فان ابن خلكان يرد عليه بقوله : وهذا باطل لان الآمدى قد استدل على هذا بقول ابي تمام •

ان كان مسعود سقى اطلالهم

سيل الشؤون فلست من مسعود

وقول ابى تمام « فلست من مسعود » لايدل على ان مسعودا من آبائه بل هذا كما يقال « ما انا من فلان ولا فلان مني » يريدون به البعد منهم والانفه

ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « ولد الزنا ليس منا » و « علي مني وانا منـه » •

وقد ساق الخيب البغدادي في تاريخ بغداد نسبة المتقدم وفيـه تغيير يسـير •

محل ولادته :

اجمع المؤرخون والادباء على ان ولادته كانت بقرية جاسم وهي احدى قرر الجيدور من اعمال دمشق واثبت الاقوال المأثورة ان مولده كان في سنة تسعين ومائـة من الهجرة(١) •

تربيته ونشأته :

يكاد المرء يقف حائرا بين سيل الاقوال والروايات في هذا المضمار لان لابي تمام خصوم وله انصار فخصومه يؤلبون عليه ما ينقصه ويحط من منزلته وانصاره يوردون مايرفعه الى مصـاف الصديقين والعباقرة من الروايات والاخبار فاذا طالع الباحث او المتتبع اخبار ابي تمام للصولي يجده مليئا بكل فضيلة واذا قرأ الموازنة للامدى يجدها طافحة بالمثالب والفقص في ابي تمام •

وبقيت حائرا امام هذا السؤال وهو ان الكاتب اذا اراد ان يكتب فيجب عليه الحياد • لئلا تزل قدمه في هـذه المعمعه • واخيرا رأيت ان اعتمـد في هذا الفصل على كتاب الوفيات لابن خلكان واخبار ابي تمام للصـولي والموازنة للامدى فابن خلكان يقول : ونشأ بمصر قيل : انه كان يسقى الناس ماء بالجرة في جامع مصر ، وقيل كان يخدم حاجكا ويعمل عنده بدمشق ، وكان ابوه خمارا بها ، وكان ابو تمام اسمر طويلا فصيحا حلو الكلام فيه تمتمه يسيره واشتغل وتنقل الى ان صار منه ما صار •

---

(١) الموازنة للامدي ص ٥ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميـد ط : ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م •

واما الصولي فيقول : كان ابو تمام طوالا وكان فيه تمتمه يسيره وكان حلو الكلام فصيحا كأن لفظه لفظ الاعراب .

ويورد الصولي روايات يدعم فيها قوله هذا فقد قال : حدثنى علي بن الحسن الكاتب قال : رأيت ابا تمام وانا صبى صغير ، فكان اسمر طوالا .
وقال : حدثنى احمد بن يزيد المهلبى قال : كنت جالسا مع ابن عتاب فمر بنا رجل من الكتاب ، فجلس الينا وكان فصيحا مليح الحديث فأطال معنا ثم قام ، فقال لى ابن عتاب : ما رأيت رجلا اشبه لفظا بأبي تمام من هـــذا الا حبسة قليلة كانت في لسان ابي تمام .

اما في كتاب الموازنة فيقول : كان ابو تمام اسمر اللون طويلا حلــو الكلام غير أن في لسانه حبسه وفي كلامه تمتمه يسيره حتى قيل فيه :

يانبى الله في الشــعر ويا عيســى بن مريـم
انت مــن اشــعر خلــق الله مالــم تتكلم

وكان فطنا شديد الفطنه قوى العارضة حاضر البديهة . وقد واتته هذه الخلال ومكنت له من الغوص على المعانى ، فكان لا يزال يجد في أثرها حتى يصل الى مايعسر على غير متناوله .

أبو تمام : واهله :

لم نجد في كتب الادب تفاصيل كافية عن عائلة ابى تمام اللهم الا ماذكره الصولى في كتابه احبار ابى تمام من ان له اخا اسمه سهم وولدا اسمه تمام(٢) فقد قال : كان لابى تما أخ يقال له سهم وكان يقول الشعر فمن شعره .

ونزعتــــه شــــيئا اليــــه مبغضــــا
فلمـــا رأى وجــدى بــه صــار يعشـــقه

---

(٢) ص ٢٥٩ المصدر السابق

فدعــــه ولا تحـزن علـى فائـــز بـــه
فان جـــديدات الليالــــى ســتخلقه

وكان اخوه سهم يتردد على ابي تمام يطلب منه مساعدته بالمال وكـان ابو تمام يحتال له في سبيل كسـبه او تحصيله المال وحدثنا الصولي بذلك فقال : كان لابى تمام اخ يقال له سهم ، وكان يقول شعرا دونا فجاء الى ابى تمام يستميحه فقال له : والله ما يفضل عن شيء ، ولكن احتال لك فكتب الى يحى بن عبدالله بقصيدة اولهـا :

احـــدى بنـى بكر بــن عبـد منـاه
بـين الكتيـــب الفـــرد فالا مـــواه

فقـــال فيهـــا :

ســهم بــن أوس في ضـمانك واثــق
ان لســـت بالناسى ولا بالســــاهى

اجزل لـــه الحظين منـــك وكن لـــه
ركنا علـــى الايـــام ليس بواهـــى

بولايتـــين ولايـــة مشـــــورة
في كـــــورة وولايـــة بالجـــاه

هـــو في الفن غرس وغرســك في العلا
أنـــى اردت وانــت غـــرس الله

تمام بن ابي تمام الطائي :

كان تمام هذا يقول الشعر ولكن لم يكن في شاعريته كوالده وهـذه القصة التي بوردها الصولى في كتابه اخبار ابي تمام كافية لاعطاء صـورة

واضحة عن هذا فقد قال : لما ولى محمد بن طاهر خراسان دخل الناس لتهنئته فكان فيهم « تمام » بن ابي تمام الطائي فانشده :

هنـــاك رب النـــــاس هنـــــاكا
مـــا مـــن جزيـــل الملـــك اعطـــاكا
قـــرت بمـــا أعطيت يـــاذا الحجـــى
والبـــأس والانعــــام عينـــاكا
اشـــرقت الارض بمـــا تلتـــــه
وأورق العـــــود لنجواكـــــا

فاستضعفت الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين ابيه فقال محمد لعبدالله بن اسحاق ، وكان يعرفه الناس وهو على امره : قل لبعض شعرائنا : اجبه ، فغمز رجلا في المجلس ، فقيل على تمام فقال :

حيـــاك رب النـــــاس حياكـــــا
ان الـــذي املـــت احظاكـــــا
مدحـــت خرقـــا منهبـــا مالـــه
ولـــو رأى مدحـــا لواســـاكا
فهـــاك ان شـــئت بهـــا مدحـــة
مثـــل الـــذي اعطيـــت اعطاكـــا

فقال تمام : اعز الله الامير ، ان الشعر بالشعر ربا ، فاجعل بينهما رضخا من دراهم حتى يحل لى ولك ! فضحك محمد وقال : ان لم يكن معه شعر ابيه، فمعه ظرف ابيه ، اعطوه ثلاثة الاف درهم ، فقال عبدالله بن اسحاق : ولقول ابيه في الامير عبدالله بن طاهر :

امطلـع الشـمس تنـوى ان تـؤم بنـا ؟
فقلت : كـــلا ، ولكـن مطلـــع الجـود

ثلاثة آلاف اخرى ، قال : ويعطى ذلك ،

شهادات ادبيـة :

عقد الصولى فصلا في كتابه اخبار ابي تمام ذكر فيه الاخبار الواردة في تفضيل ابي تمام فقال : قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس اليه ، وكتبوا شعره وسمعوا منه ، وعرضوا عليه الاشعار ، فقال له بعضم : ها هنا شاعر يزعم قوم أنه اشعر الناس طرأ ويزعم غيرهم ضد ذلك ، فقال : انشـدولى لـه ، فانشـدوه :

غـدت تسـتجير الدمـع خـوف نوى غد
وعـاد قتـادا عندهـا كل مرقـد

انقذهـا مـن غمـرة المـوت أنـه
صـدود فـراق لا صـدود تعمـد

فاجـرى لهـا الاشـفاق دمعـا موردا
مـن الـدم يجـرى فـوق خـد مورد

هـي البـدر يغبطهـا تـودد وجهها
الى كل مـن لاقـت وان لـم تـودد

ثم قطع المنشد ، فقال عمارة : زدنا من هذا ، فوصل وقال :

ولكنني لـم احـو وفـرا مجمعـا
ففـزت بـه الا بشـمل مبـدد

ولـم تعطنـى الايـام نوما مسـكنا
الـذ بـه الا بنـوم مشـرد

فقال عمارة : لله دره ، لقد تقدم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه ، حتى لحبب الاغتراب ، هيه ! فانشده :

وطـــول مقـام المـرء في الحـى مخلـق
لديباجتيـــه فاغتـــرب تتجـــدد
فانـــى رأيـت الشـمس زيـدت محبـة
الى النـــاس اذ ليست عليهـم بسـرمد

فقال عمارة : كمل والله ، ان كان الشعر بجودة اللفظ ، وحسن المعانى ، واطراد المراد واستواء الكلام ، فصاحبكم هذا اشعر الناس وان كان بغيره فـــلا ادري !

وهل تدري من هو عمارة هذا الذي حكم هذا الحكم المنصف على ابي تمام فكتاب الاغاني يحدثنا عنه ونقتضب من حديثه هذا مخلصا لترجمتـه فهو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الحطفى شاعر متقـــدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء في الدولة العباسية متجزلون صلته وبمدح قوادهم • وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة • وبعد هذا فان لشاهدته قيمة ادبية تحملنا على الاعتراف بما لابي تمام من افضلية بتز غالبية الشـعراء •

علي بن الجهم وابو تمام الطائي :

ان من يتصفح كتب الادب يجد مودة اكيدة بين علي بن الجهم وابي تمـام الطائي وان القصة التي ذكرهـا الصولي(٣) لخير دليل على هذا فقد قال : سمعت علي بن الجهم ذكر دعبلا فكفره ولعنه ، وطعن على اشـــياء من شعره ، وقال : كان يكذب على ابي تمام ، ويضـع عليه الاخبار ، ووالله ما كان اليه ولا مقاربا له ، واخذ في وصف ابي تمام ، فقال لـه رجـــل : والله لو كان ابو تمام اخاك ما زاد على مدحك له ، فقـــال : الا يكن اخـا بالنسب ، فأنه أخ بالادب والدين والمودة اما سمعت ما خاطبني به :

---

(٣) أخبار أبي تمـام • ص ٦٦ المطبوع ١٣٥٦هـ لجنة التأليف والنشر

ان يكـد مطـرف الاخـاء فاتنـا
نغـدو ونسـرى في اخـاء تالـد

او يختلـف مـاء الوصـال فماؤنـا
عـذب تحـدر مـن غمـام واحـد

او يفتـرق نسـب يؤلف بيننـا
ادب اقمنـاه مقـام الوالـد

ندوة ادبية محورها ابو تمام :

شاعريته الممتازة قد اشغلت افكار الادباء والشعراء فاحاديثهم الخاصة تدور حول ابي تمام لتقتبس من وحيه الفذ حلاوة الحديث والحديث عنه شهي ممتع فهذا كتاب الصولي في اخبار ابي تمام يحدثنا عن مجلس من هذه المجالس فيقول : كنا في حلقة دعبل فجرى ذكر ابي تمام ، فقال دعبل : كان يتتبع معاني فيأخذها ، فقال له رجل في مجلسه : ما من ذاك اعزك الله ؟ قال ، قلت :

ان امـرءاسـدى الـى بشـافع
اليـه ويرجـو الشـكر من لاحمـق

شـفيعك فاشـكر في الحوائـج انـه
يصـونك عـن مكروههـا وهـو يخلـق

فقال له الرجل : فكيف قال ابو تمام ؟ قال ، قال :

فلقيت بـين يـديك حلـو عطائـه
ولقيت بـين يـدى مـر سـؤاله

واذا امـرؤ اسـدى الـى صـنيعة
مـن جاهـه فكأنهـا مـن مالـه

فقال الرجل : احسن والله ، فقال : كذبت قبحك الله ، فقال : والله لئن كان اخذ هذا المعنى وتبعته فما احسنت ، وان كان اخذه منك لقد اجاده فصار اولى به منك ، فغضب دعبل وقام ٠

وهذه قصة ثانية آثرنا ذكرها اذ أنها تفصح بشكل واضح لا لبس(٤) عليه ولا غموض تقر باستاذية ابي تمام في الشعر فقد ذكر الصولي قال : كان ابراهيم بن الفرج البندنيجي الشاعر يجيئنا كثيرا ، وكان اعلم الناس بالشعر ويجيئنا البحتري وعلي بن العباس الرومي وكانوا اذا ذكروا ابا تمام عظموه ورفعوا مقداره في الشعر حتى يقدموه على اكثر الشعراء ، وكل يقر بأستاذيته ، وأنه منه تعلم ، وقال : هؤلاء اعلم اهل زمانهم بالشعر ، واشعر من بقي ٠

وهذا اديب آخر يقص في مجلس من مجالس الادب ويحدث عن ابي تمام كما جاء في اخبار ابي تمام للصولي حيث قال : حدثني عبدالله بن محمد بن جرير قال : سمعت محمد بن حازم الباهلي الشاعر يصف ابا تمام ، ويقدمه في الشعر والعلم والفصاحة ويقول : ما سمعت لمتقدم ولا محدث بمثل ابتدائه في مرثيته :

اصم بك الناعي وان كان اسمعا

ولا مثل قوله في الغزل :

ما ان رأى الاقوام شمسا مثلها
أفلت فلم تعقبهم بظلام

لو يقدرون مشوا على وجناتهم
وعيونهم فضلا عن الاقدام

---

(٤) اخبار ابي تمام ص ٦٧

شهادة البحتري :

لقد قدمنا ان الادباء قد انقسموا الى معسكرين معسكر يؤيد البحتري وآخر يؤيد ابا تمام ولكل حجته التي يرتكز عليها ويفضل صاحبه على الاخر ولذا خرج هذا النقاش الفكري الى حيز التأليف فكتب الصولي كتابه الذي يجمع فيه فضائل صاحبه ابي تمام وراح الامدى يدون كتابه الموازنة الذي يدافع فيه ويجمع خصائل البحتري المتـازة ولو مـن طرف خفى في بعض الاحايين وتظهر جلية في بعض آخر • وانا نأخذ في هذه العجاله مـا قـاله البحتري الذي يتحدى انصاره ليدلى بهذه الشهادة فقد ذكرها الصـولي كما ذكرها كتاب الامدي ولما كانت الرواية متطابقة في الكتابين نذكرهـا كما جاءت في اخبار ابي تمام والموازنة لئلا يختلج في نفس احدان في الموضوع تحيز واليك حدث البحتري قال : كان اول امرى في الشعر ، ونباهتي فيـه ، اني صرت الى ابي تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعري ، وكان يجلس فلا يبقى شاعر الا قصده وعرض عليه شعره ، فلما سمع شعري اقبل علـى وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال : انت اشعر من انشدني فكيف حالك ؟ فشكوت خلة ، فكتب لى الى اهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق ، وقال : امتدحهم ، فصرت اليهم فاكرموني بكتابه ووظنوا لى اربعة الاف درهـم ، فكانت اول ما اصبته •

واليك اعتراف اخر وشهادة صريحة يتحدى بها البحتري انصاره ويساند بها معسكر ابي تمام وقد وردت هذه الشـــهادة في كتاب اخبار ابي تمام للصولي حيث قال : وسمعت ابا محمد عبدالله بن الحسين بن سعد يقـول للبحتري ، وقد اجتمعنا في داره بالخلد وعنده محمد بن يزيد النحوى ، وذكروا معن تماوره البحتري وابو تمام : انت في هذا اشعر من ابي تمام ، فقـال : كلا والله ذاك الرئيس الاستاذ ، والله ما اكلت الخبز الا به ، فقال له محمد بن يزيد : يا ابا الحسن ، تأبى الا مشرقا من جميع جوانبك ! ق

وهذه قصة ثالثة هي اعتراف وتأييد فقد ذكر الصولي عن ابي عبدالله الحسين بن علي قال ، قلت للبحتري : أيما اشعر ، أنت أو أبو تمام ؟ فقال : جيده خير من جيدي ، ورديئي خير من رديئه . قال ابو بكر : وقد صدق البحتري في هذا جيد ابي تمام لايتعلق به احد في زمانه وربما اختل لفظه قليلا لا معناه ، والبحتري لا يختل .

ولا استطيع ان اذكر جميع اعترافات البحتري في استاذية ابي تمام لان ذلك يحتاج الى مجلدات وقد كفانا بعضها الصولي فلتراجع في مظانها ونختم هذا الفصل بما قاله الصولي نفسه في كتابه اخبار ابي تمام :

« ولولا ان بعض اهل الادب الف في أخذ البحتري من ابي تمام كتابا لكنت قد سقت كثيرا مثل ما ذكرنا ولكنني اكره اعادة والف واجتنب ان اجتذب من الادب ما ملك قبلي .

عبدالله بن المعتز يحدث عن ابي تمام :

هذا الحديث الذي ساقصه عليك قد ورد في عدة مصادر تاريخية(٥) وان كان في بعضها اختلاف يسير جدا غير ان معناها واحد ولنأخذ برواية الصولي في كتابه اخبار ابي تمام فقد قال : حدثني عبدالله بن المعتز قال : حدثني ابو سعيد النحوي المعروف بصعودا عن ابي تمام الطائي قال : خرجت يوما الى « سر من رأى » حين ولى الواثق فلقيني اعرابي وقد قربت منها فأردت ان اسأله عن شيء من اخبار الناس بها ، فخاطبته ، فاذا افصح الناس وافطنهم ، فقلت ممن الرجل ؟ قال : من بني عامر ، قلت : كيف علمك بأمير المؤمنين ؟ قال : قتل ارضا عالمها ، قلت : فما تقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ، اشجى

---

(٥) راجع وفيات الاعيان ٣٦٣ ، مروج الذهب ٣٧٢/٧ ، ونزهة الالبا ٢٩٩ ـ ٣٠١

(٦) ص ٨٩ [illegible]

العاصية وقمع العادية ، وعدل في الرعية ، وارعف كل ذى قلم خيانته ، قلت : فما تقول في احمد بن ابي دؤاد ؟ قال : هضبة لاترام وجندلة لاتضام ، تشحذ له المدى ، وتحبل له الا شراك ، وتبغى له الغوائل ، حتى اذا قيل كأن قد ، وتب وتبة الذئب ، وختل ختل الضب ، قلت : فما تقول في محمد بن عبدالملك ؟ قال وسع الدانى شره وقتل البعيد ضره ، له كل يوم صريع لايرى فيه أثر ناب ، ولا تدب مخلب ، قلت : فما تقول في عمرو بن فرج ؟ قال ضخم لهم ، مستعذب للذم ٠ قلت : فما تقول في الفضل بن مروان ؟ واستعذبت خطابه ، قال ذاك رجل نشر بعدما قبر ، فعليه حياة الاحياء وخفتة الموتى ٠ قلت : فما تقو في ابي الوزير ؟ قال كبش الزنادقة الذي تعرف ، الا ترى ان الخليفة اذا أهمله سنح ورتسع ، فاذا هزه امطر فأمرع ؟ قلت : فأبن الخصيب ؟ قال : أكل اكلة نهم ، فذرق ذرقة بشم ٠ قلت : فما تقول في ابراهيم اخيه ؟ قال : (اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون) ٠ قلت : فما تقول في احمد بن اسرائيل ؟ قال : لله دره اي قلقل هو اغرس في منابث الكرم ، حتى اذا اهتزلهم حصدوه قلت : فما تقول في ابراهيم ابن رياح ؟ قال : أوبقه كرمه ، واسلمه حسبه ، وله معروف لايسلمه ، ورب لا يخذله ، وخليفة لايظلمه ٠ قلت فما تقول في نجاح بن سلمه ؟ قال : لله وره ، أي طالب وتر ، ومدرك ثار ! يتلهب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة جلسة تزيل نعما وتحل نقما ٠ قلت: يا اعرابي ، اين منزلك ؟ قال : اللهم غفرا اذا اشتمل الظلام فحتما ادركن الرقاد رقدت ! قلت : فكيف رضاك عن اهل العسكر ؟ قل : لا أخلق وجهي بمسألتهم ، او ما سمعت قول هذا الطائي الذي قد ملأ الدنيا شعره :

وما أبالي وخير القول اصدقه

حقنت لى ماء وجهي وحقنت دمي

قلت : فأنا الطائي قائل هذا الشعر ! فدنا مبادرا فمانقن وقال :

لله ابوك ، الست الذي يقول :

ما جـــود كفك ان جـــادت وان بخلــت

مــن مـــاء وجهــي اذا أخلقتـــه عـــوض

قلت : نعم ، قال : أنت والله امعر اهل الزمان . فرجعت بالاعرابي معي الى ابن ابي دؤاد ، وحدثته بحديثه ، فأدخله الى الواثق فسأله عن خبره معي فأخبره به ، فأمر له بمال ، واحسن اليه ، ووهب له احمد بن ابي دؤاد ، فكان يقول لي : قد عظم الله بركتك علي :

اقول وقد عقب المسعودي على هذا الخبر قال : « فهذا الخبر مخرجه عن ابي تمام فان كان صادقا فيما قال ـ ولا اراه ـ فقد احســـن الاعرابي في الوصف ، وان كان ابو تمام هو الذي صنعه وعزاه الى هذا الاعرابي فقــد قصر في نظمه ، اذ كانت منزلته اكبر من هذا » .

لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شعر في لحنها :

ذكر الصولي ان قد حدثت محمد بن القاسم بن خلاد قال : انصرفت يوما من عند ابن ابي دؤاد ، فدخلت الى محمد بن منصور فوجدت عنده عماره بن عقيل وكان خلا له ، وهو ينشده قصيدة له في الواثق اولها :

عـــــرف الديـــــــومها قفـــــر

لعبـــــت بهـــــا الاوراح والفطـــــر

فلما فرغ منها قلنا له : ما سمعنا احسن من هذه الرائية ،احســن الله اليك يا ابا عقيل ! فقل : والله لقد عصفت رائيه طائيكم هذا بكل شــعر في لحنها ، قلنا له : وما هي ؟ قال : كلمته التي هجا بها الامنين ، فقال محمد بن يحى بن الجهم : انا احفظها ، فقال : هاتها فأنشده : ـ

الحـــق ابلـــج والســيوف عـــوار

فحـــذار مــن اســد العريــن حــذار

فقال له عماره : انشدنا ذكر النار ، فانشد :

ما زال سر الكفر بين ضلوعه
حتى امطلى سر الزناد الوارى

نارا يساور جسمه من حرها
لهب كما عصفرت لضف ازار

طارت لها شعل بهدم لفحها
اركانه هدما بغير غبار

ففصلن منه كل مجمع مفصل
وفعلن فاقرة بكل فقار

رمقوا اعالى جذعه فكأنما
وجدوا الهلال عشية الافطار

سود اللباس كانما نسجت لهم
ايدى الشموس مدارعا من قار

بكردا واسروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربط النجار

لايبرحون ومن رآهم خالهم
ابدا على سفر من الأسفار

جهلوا فلم يستكثروا من طاعة
معروفة بعمارة الأعمار

فقال عمارة : لله دره ، لقد وجد ما اظلته الشعراء حتى كأنه كان مخبوءا له . قال محمد بن القاسم : فاعتقدت في ابي تمام من ذلك اليوم انه اشعر الناس وما كان ذا رأيى من قبل .

انصـــاف :

لو جنح انصار ابي تمام وانصار البحتري الى هذه الرواية التي يحدثنا عنها الصولي في كتابه اخبار ابي تمام لما انقسم الادباء الى هذين المعسكرين فقد ذكر : ان عبدالله بن المعتز قال : جاءني محمد بن يزيد المبرد يوما فافضنا في ذكر ابي تمام ، وسألته عنه وعن البحتري ، فقال : لابي تمام استخراجات لطيفة ، ومعان طريفة ، لا يقول مثلها البحتري وهو صحيح الخاطر ، حسـن الانتزاع ، وشعر البحتري احسن استواء وابو تمام يقـول النادر والبارد وهو المذهب الذي كان اعجب الى الاصمعي وما اشـبه ابا تمام الا بغائص يخرج الدر والمخشلبه ، ثم قال : والله ان لابي تمام والبحتري من المحاسن مالوقيس باكثر شعر الاوائل ما وجد فيه مثله .

قال ابو بكر : وقول ابي العباس المبرد « ما اشبهه الابغائص »فانمـا اخذه من قول الاصمعي في النابغة الجعدي : تجد في شعره مطرفا بآلاف ، وكســاء بواف .

ابو تمام واحمد بن ابي دؤاد :

ان اخبار ابي تمام مع ابن ابي دؤاد كثيرة تحتاج الى تبسيط وتوسـيع ولكنا سنذكر في هذا الباب حادثة من حوادثه معه وهي حادثة عتاب ونورد القصة باسبابها مع اعتذار ابي تمام من ابن ابي دؤاد كما يحدثنا عـن ذلك الصولي(٧) قال : كنت جالسا بطرف الحير « حير سر من رأى »(٨) ومعـي جماعة لمنظر الى الخيل ، فمر بنا ابو تمام فجلس الينا ، فقال له رجل منا : يا ابا تمام اي رجل انت لو لم تكن من اليمن ؟ قال له ابو تمام : ما أحب الى

(٧) اخبار ابو تمام للصولي ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٨) هو ما نسميه الآن حديقة الحيوانات راجع كتابنا تاريخ سـامراء ماضيها وحاضرها عن هذا الحير .

بغير الموضع الذي اختاره الله لي ، فممن تحب ان اكون ؟ قال : من مضـر فقال ابو تمام انما شرفت مضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ماقيسوا بملوكنا وفينا كذا وفينا كذا ، ففخر وذكر اشياء عاب بها نفرا من مضر ، قال : ونمي الخبر الى ابن ابي دؤاد وزادوا عليه فقال : ما احب ان يدخل الى ابـو تمام ، فليحجب عني فقال يعتذر اليه ويمدحه :

سعدت غربة النوى بسعاد
فهي طوع الاتهام والانجاد

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس
الا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب في كل بؤسي
ونعيم طلائع الاجساد

طال انكاري البياض وان عمرت شيئا انكرت لون السواد

يا ابا عبدالله اوريت زندا
في يدي كان دائم الاصلاء

وقد كان ابن ابي دؤاد يحب ابا تمام ويذكره بالفضل امام الخليفة كما يحدثنا عنه الصولي حيث قال حدثني محمد بن روح الكلابي قال : نـزل علي ابو تمام الطائي فحدثني انه امتدح المعتصم « بسر من رأى » بعد فتح عمورية فذكره ابن ابي دؤاد للمعتصم فقال له : اليس الذي انشدنا الاجش الصوت ! قال : يا امير المؤمنين ، ان معه راوية حسن النشيد فاذن لـه ، فانشده راويته مدحه له، ولم يذكر القصيدة فأمر له بدراهم كثيرة وصك ماله على اسحاق بن ابراهيم المصعبي . قال ابو تمام : فدخلت اليه بالصك ، وانشدته مديحا له ، فاستحسنه وامر لي بدون ما امر لي به المعتصم قليلا وقال : والله لو أمر لك امير المؤمنين بعدد الدراهم دنانير لامرت لك بذلك .

ابو تمام وخالد بن يزيد الشيباني :

صلة ابي تمام بخالد الشيباني صلة ادب عدا صلة اخوة وصداقة وان الشيباني هذا هو الوسيط في تراضى ابن ابي دؤاد وابي تمام واضافة لهذا كله فالشيباني طلق اليد جوده مضرب الامثال وكان واليا على ارمينية في ايام الواثق وقد قصده ابو تمام ليمتدحه ويجدد مواثيق الصداقة وينال صلته منه ويحدثنا بهذا الصولي حيث يقول : خرج ابو تمام الى خالد بن يزيد ابن مزيدوالى ارمينية فامتدحه فأمر له بعشرة الاف درهم ونفقة لسفره ، وامره الا يقم ان كان عازما على الخروج ، فودعه ومضت ايام فركب خالد ليتصيد ، فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور فقال : حبيب ؟ قال : خادمك وعبدك ، قال : ما فعل المال ؟ فقال :

علمنى جودك السماح فما ابسقيت شيئا لدى من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به
كأن لي قدرة كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتبيه في سنتك
فلست ادري من اين تنفق لو
لا ان ربي يمد في هبتك
فأمر له بعشرة الاف درهم اخرى فأخذها(٩) .

ابو تمام والحسن بن رجاء :

الحسن بن رجاء كان فيه بخل ولكن هذه الطبيعة التي تسيطر على نفسه يقتلعها شعر أبي تمام فتهزه هزا عنيفا كما يهز تيار الكهرباء الالات الضخمة حتى يحركها واليك هذه القصة التي يرويها لنا الصولي قال حدثني محمد بن

---

(٩) اخباره الطويلة في كتاب اخبار ابي تمام للصولي فلتراجع هناك

سعيد ابو عبدالله الرقى . قال : قدم ابو تمام مدحا للحسن بن رجاء فرأيت رجلا علمه وعقله فوق شعره ، واستنشده الحسن بن رجاء ونحن في مجلس شرب فانشده :

كفي وغاك فانني لك قالي
ليست هوادي عزمتي بتوالي

انا ذو عرفت فان عرتك جهالة
فانا المقيم قيامة العذال

ولما قال :

عادت له ايامه مسودة
حتى توهم انهن ليالي

قال له الحسن : والله لا تسود عليك بعد اليوم . فلما قال :

لاتنكري عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي

وتنظري خبب الركاب ينصها
محيي القريض الى مميت المال

قام الحسن بن رجاء وقال : والله لا اتممتها الا وانا قائم ، فقال ابو تمام لقيامه وقال :

لما بلغنا ساحة الحسن انقضى
عنا تملك دولة الامحال

بسط الرجاء لنا برغم نوائب
كثرت بهن مصارع الآمال

اغلى عـــذارى الشـــعر ان مهورهـــا
عنـــد الكـــرام اذا رخصـن عــوالى

تـــرد الظنـــون بـــه علـــى تصـــديقها
ويحكـــم الآمـــــال في الامـــوال

اصـــخى ســـمى ابيـــك فيـــك مصـدقا
باجـــل فائـــــدة وايمـــن قـــال

ورأيتنـــي فســـــألت نفســـك ســـببها
لـــي ثـــم جـدت ومـــا انتظـرت سؤالى

كالغيـــم ليس لـــــه أريـــد غياثـــه
او لـــم يـــــرد ــ بــــد مــن الشهطال

فتعانقا وجلسا ، فقال له الحسن : ما احسن ما جليت هـذه العروس ! فقال : والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك او في مهورها قال محمد بن سعيد : فاقام شهرين فأخذ على يدى عشرة الاف درهم ، واخذ غـير ذلك مما لم اعلم به ، على بخل كان في الحسن بن رجاء .

منتحل اسم ابي تمام والحسن بن رجاء :

ان شاعرية ابي تمام قد سحرت ابن رجاء سحرا ملكت عليـه شـاعره وانتشر امرها بين الطبقات حتى ان بعض ذوى الحاجة والمعوزين اخـذوا ينتحلون اسم ابي تمام ليدخلوا عليه كيما ينالوا مبتفاهم لما عرفوا من حـب واكبار واجلال ابن رجاء لابي تمام . وهذا الصولي(١١) يحدثنا عـن ذلك فيقول : كنت مع الحسن بن رجاء فقدم عليه ابو تمام فكان مقيما عنـده ، وكان تقدم الى حاجبه الا يقف ببابه طالب حاجة الا اعلمه خبره ، فدخـل

(١٠) اخبار ابي تمام ص ١٧٠ .

حاجبه يوما يضحك، فقال : ما شأنك ؟ فقال : بالباب رجل يستأذن ويزعم انه ابو تمام الطائي ! قال : فقل له ما حاجتك ؟ قال : يقول مدحت الامير ــ اعزه الله ــ وجئت لانشده ، قال : أدخله ، فدخل فحضرت المائدة ، فأمره فأكل معه ، ثم قال له : من انت ؟ قال : ابو تمام حبيب بن اوس الطائي مدحت الامير اعزه الله ، قال : هات مدحك ، فانشده قصيدة حسنة فقال : قد احسنت وقد امرت لك بثلاثة الاف درهم فشكر ودعا ، وكان الحسن قد تقدم الى الجماعة الا يقولوا له شيئا ، فقال له ابو تمام : نريد ان تجيز لنا هذا البيت ، وعمل بيتا ، فلجلج ، فقال له : ويحك ، اما تستحي ادعيت اسمي واسم ابي وكنيتي ونسبي ، وانا ابو تمام ! فضحك الشيخ وقال : لا تعجل على حتى احدث الامير ــ اعزه الله ــ قصتي : انا رجل كانت لي حال فتغيرت ، فاشار على صديق لي من اهل الادب ان اقصد الامير بمدح ، فقلت له : لا احسن ، فقال : انا اعمل لك قصيدة ، فعمل هذه القصيدة ووهبها لي ، وقال : لعلك تنال خيرا ، فقال له الحسن : قد نلت ما تريد ، وقد اضعفت جائزتك • قال : فكان يندمه ويتولعون به فيكنونه بأبي تمام •

خصوم ابي تمام يرمونه بالكفر :

لم يكتف خصوم ابي تمام بما اعابوه عليه من جميع النواحي الادبية وما وصموه به من عدم المعرفة بالمعاني والبيان واللغة وانه يسرق معاني من تقدمه من الشعراء ويجعلها من غوائص فكره بل حققوا كفره حتى ينفروا عنه الرأي العام وهذا شأن الخصم الضعيف الذي يستظل في تنفيذ مآربه الخاصة بالدين • ولا زالت هذه الفكرة تظهر بين الغينة والغينه في الخصومات الادبية او السياسية حتى وقتنا الحاضر وهو سنة الف وثلثمائة وخمس وسبعون هجرية • في هذا القرن الذي قد اطلقوا عليه قرن العلم والنور قرن الذره قرن التوسع الفكري •

وراح خصوم ابي تمام ينشرون هذه الدعوة بين الطبقات ليقللوا من

اهميته الادبية ويحدثنا بهذا كتاب اخبار ابي تمام للصولي(١١) حيث يقول : سمعت الحسن بن الحسن بن رجاء يحدث ابا سعيد الحسن ابن الحسين الازدي ، ان اباه رأى ابا تمام يوما يصلي صلاة خفيفة فقال له : اتم يا ابا تمام . فلما انصرف من صلاته قال له : قصر المال وطول الامل ، ونقصان الجده ، وزيادة الهمة ، يمنع من اتمام الصلاة ، لاسيما ونحن سفر . فكان ابي يقول ، وددت انه يعاني فروضه كما يعاني شعره ، واني مغرم ما يثقل غرمه ، وقد ادعى قوم عليه الكفر بل حققوه ، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره ، وتضييع حسنه ، وما ظنت ان كفرا ينقص من شعر ولا ايمانا يزيد فيه . وكيف يحقق هذا على مثله حتى يسمع الناس لعنه له ، من لم يشاهده ولم يسمع منه ، ولا سمع قول من يوثق به فيه ؟ ق

واحتجوا برواية احمد بن ابي طالب وقد حدثني بها عنه جماعة انه قال : دخلت على ابي تمام وهو يعمل شعرا ، وبين يديه شعر ابي نواس ومسلم فقلت : ما هذا ؟ قال : اللات والعزى ، وانا اعبدهما من دون الله منذ ثلاثين سنة .

ومن الافراط في عصبيتهم عليه ما حدثني به ابو العباس عبدالله بن المعتز قال : حدثت ابراهيم بن المدبر — ورأيته يستجيد شعر ابي تمام ولا يوفيه حقه — بحديث حدثنه ابو عمرو بن ابي الحسن الطوسي ، وجعلته مثلا له قال : وجه بي ابي الى ابن الاعرابي لاقرأ عليه اشعارا وكنت معجبا بشعر ابي تمام ، فقرأت عليه من اشعار هذيل ، ثم قرأت ارجوزة ابي تمام على انها لبعض شعراء هذيل .

وعاذل عذلته في عذله
فظن اني جاهل من جهله

---

(١١) ص ١٧٢ — ٧٦ بتصرف . المصدر السابق .

حتى اغمتها فقال : اكتب لى هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنة هي ؟ قال : ما سمعت باحسن منها قلت : انها لابي تمام فقال : خرق خرق(+) .

ومن هذا يتبين ان الخصومه شخصية لا خصومة شعرية . والا لواراد باحث ان ينظر الى شعر ابي تمام لخلص الى نتيجة هي عكس ما يرمونه به من الحاد وكفر وان صحت رواية احمد بن ابي طاهر فان له تخريجا واضحا لايفوت على ادنى من اوتى معرفة اذ المضى انهما قد شغلانى عن عبادة الله عز وجل اذ كيف يكون عبدا لشاعرين يرى نفسه اكبر منهما او مثلهما او قريب منهما .

هذا وان شعره كله يشهد بضد ما يتهمونه به .

وعلى فرض ما ادعاه خصومه من انه ملحد كافر فما الحاده وكفره بمنقص من رتب شعره ولا مذهب بجودته وانما نقصه في نفسه فقط ولا اريد ان اكون مدافعا عن هذا الرجل فللرجل انصار العالم نصرة له . ولكن موضع الانصاف حدا بى لهذا كله .

ابو تمام ورجال الحكم :

لم يكن ابو تمام ذلك الرجل الشاعر فحسب بل كان رجلا مرغوبا فيه يسعى ذو الجاه والسلطة للتقرب منه لما يفيض به من عقل صائب وفكر ثاقب واطلاع واسع وكرم نفس وشرف كرم . ومن رجالات الحكم في ذلك الوقت الحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات فمن مخالطاته مع الحسن بن وهب ما حدثنا به الصولي في كتابه اخبار ابي تمام قال : وجه الحسن بن وهب الى ابي تمام وهو بالموصل خلعة فيها خز . ووشى فامتدحه ووصف الخلعة في قصيدة اولها :

---

(١١) التخريق : التمزيق .

ابـــو علـــــي وســــــمى منتجعـــــه
فاحلل باعلــــى واديـــه او جرعـــــه

ثم وصف الخلعة فقال :

وقــد اتانـــى الرســـول بالملبس الفخــم لصيف امرىء ومرتبعه
لوانهـــا جللـــت اويســـا لقــــــد
اســـرعت الكبريـــاء في ورعـــــه
رائـــق خـــز أجيــــد ســـــائره
ســـكب تديـــن الصـــبا المدرعـــه

وسر وشى كأن شعري احسيانا نسيب العيون من بدعه هذا ولم تكن الصلة بينهما متصلة في الهدايا فقط بل جاوزت هذا الحد ووصلت الى ادب مكشوف • كما ذكر ذلك الصولي قال : كان ابو تمام يعشق غلاما خزريا كان للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق غلاما كان لابي تمام روميا ، فرآه ابو تمام يوما يعبث بغلامه فقال : والله لئن اعنقت الى الروم لنركضن الى الخزر • فقال ابن وهب : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال له ابو تمام: انا اشبهك بداود وأشبهني بخصمه • فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه فأما منثورا فهو عارض لا حقيقة له ، فقال ابو تمام •

ابـــا علـــي لصـــرف الدهـــر والغـــير
وللحـــوادث والايـــــام والعبـــــر
اذكرتنـــي أمـــــر داود وكنـــت فتـــى
مصـــرف القلـــب في الاهـــواء والذكـــر
اعنـــدك الشـــمس لم يخـــط الغيب بهـــا
وانت مضطـــرب الاحشـــــاء بالقمـــر
ان أنت لـــم تتـــرك الســـير الحثيث الى
حـــآذر الـــروم اعنقنـــا الى الخـــزر

واما علاقته بمحمد بن عبد الملك الزيات فقد قال الصولي : كان الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وهو يزر للواثق وكان ابن الزيات قد وقف على ما بين الحسن بن وهب وابي تمام في علامهما فتقدم الى بعض ولده ، وكان يجلسون عند الحسن بن وهب ان يعلموه خبرهما وما كان منهما ، قالا : فعزم غلام ابي تمام على الحجامه فكتب الى الحسن يسلمه بذلك ويسأله التوجيه اليه بنبيذ ، فوجه اليه بمائة دن ومائة دينار وخلعة وبخور وكتب :

ليت شعري يا املح الناس عندي
هل تداويت بالحجامة بعدي ؟

دفع الله عنك لي كل سوء
باكر رائح وان خنت عهدي .

ووضع الرقعة تحت مصلاه ، وبلغ محمد بن عبدالملك خبر الرقعة ، فوجه الى الحسن فشغله بشيء من أمره ، ثم أمر من جاء بالقعة فلما قرأها كتب فيها على لسان ابي تمام .

ليت شعري عن ليت شعرك هذا
ابهزل تقوله ام بجسد

فلئن كنت في المقال محقا
يا ابن وهب لقد تطرفت بعدي

الخ ...

ثم قال : ضعوا الرقعة مكانها ، فلما قرأها الحسن قال : انا لله ، افتضحنا والله عند الوزير . واعلم ابا تمام بما كان ، ووجه اليه بالرقعة ، فلقيا محمد بن عبد الملك وقالا له : انما جعلنا هذين سببا لنكابتنا بالاشعار ، فقال : ومن يظن بكما غير هذا؟ فكان قوله اشد عليهما .

ابو تمام مع آل طاهر بن الحسين :

كان الشعراء يطوفون البلاد ويتبعون الامراء لينشدوهم شعرهم فيستفيدوا فائدتين على ما يظهر لي ، أولاهما الحصول على الدايا وثانيهما الدعاية لا نفسهم . فمن ذلك ما حدثنا به الصولي عن ابي العيناء عن علي بن محمد الجرجاني الذي قال : اجتمعنا بباب عبدالله بن طاهر(١٢) من بين شاعر وزائر ومعنا ابو تمام ، فحجبنا أياما فكتب اليه ابو تمام :

ايهـذا العزيـز قـد مسـنا العـز
جميعـنا واهلنـا اشـتات
ولنـا في الرحـال شـيخ كبـير
ولدينـا بضاعـة مزجـاة
قـل طلابهـا فاصـخت حسـارا
فتجـار اتبابهـا ترهـات

فحسب اجرنا وأوف لنا الكيل وصدق فانا اموات فضحك عبدالله لما قرأ الشعر ، فإن القرآن اجل من ان يستعار شيء من الفاظه للشعر ووجد عليه .

اقول ان الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد(١٣) قداور هذه القصة وهي فيه عن ابي دلف العجلي مع جماعة من الشعراء .

ويظهر من هذه القصة ان ابا تمام لم يرق له البقاء في خراسان لبردها وعدم معرفة لغة اهلها ويؤيد هذا ما ذكره الصولي الذي قال : لما صار ابو تمام الى خراسان لمدح عبدالله بن طاهر كرهها واقبل الشتاء فاشتد عليه امر البرد فقال يذم الشتاء ويمدح الصيف .

---

(١٢) كان واليا على خرسان
(١٣) ج : ١٢ ص ٤٢١ المصدر السابق

لـــم يبـــق للصـيف لارســـم ولا طلل
ولا قشـــيب فيســتكس ولا ســـحل
عــدلا من الدمــع ان يبكى المصيف كمــا
يبكـــى الشـباب ويبكى اللهــو والغــزل
يمنـــى الزمـــان طـوت معروفهـــا وغــدت
يســـراه وهي لنــا مـــن بعــده بــدل

وهي قصيدة سنذكرها في شعره ، فبلغ شعره عبدالله بن طاهر فعجل جائزتــه وصــرفه •

ابو تمام مع ابي سعيد الثغري الطائي :

هنا تتجلى وشائج الدم وتتضح اواصر القربى فبفيض اللسان الــذي هو ترجمان القلب ويحدثنا بهذه الصلة احد انصاره هو الصولي في كتابــه اخبار ابي تمام فيقول : حدثني البحتري قال : ابو سعيد الثغري طائى مــن اهل « ترو » وكان من قواد حميد الطوسى ومن اول شعر مدحه بــه ابــو تمــام قولــه :

مـــن ســـجايا الطلـــول الا تجيبـــا
فصـــواب مـــن مقلتـــى ان تصـــوبا

قال : وما اخذ أبو تمام من احد كما أخذ منه، ليس انه كان يكثر لــه ولكن كان يديم ما يعطيه •

وكان ابو سعيد هذا يتحدث بكل افتخار عن ابي تمام ويطلع جلساتــه على المراسلات التي بينه وبين ابي تمام فقد ذكر الصولي قال : دخلت على ابي سعيد الثغري فاخرج لى كتابا من ابي تمام ففتحه فاذا فيه •

اني أشـــتى مـن لدنـــك صحيفـــة
غلبـــت همـــوم الصــدر وهــي غوالــب

وطلبـــت ودى والتفائـــف بينـــــا
فنـــداك مطلـــوب ومجـــدك طالـــب

ثم قال لى : كتبت الى ابي تمام كتابا وقرنته ببر لــه فجعل جوابـــه هذا الشعر ولم يخاطبنى بحرف ســواه •

ابي تمام والخليفة العباسي المستعين بالله •

المستعين بالله العباسي تولى الخلافة في سامراء من سنة ٢٤٨ ـ ٢٥١ وخلال توليه الخلافة قصده ابو تمام ومدحه لينال نواله وجوائزه ويحدثنا عن هذه القصيدة الصولي في كتابه اخبار ابي تمام حيث قال : شهدت ابا تمام ينشد احمد بن المعتصم ـ المستعين بالله ـ قصيدته التي مدحه بها •

ما في وقوفك ساعة من باس

تقضي ذمام الاربع الادراس

فلعل عينك ان تعين بمائها

والدمع منه خاذل ومواس

كرم ابي تمام :

يحدثنا التاريخ من ان اغلب الشعراء يميلون الى البخل والتقتير • فهذا المتنبي والكل يعرف بخله وهذا البحتري وسنأتي ترجمته التي سيبان للقارىء بين تضاعيفها مقدار بخله وغيرهما كثيرون الا ان صاحبنا ابا تمام لم يكن [illegible] يحدثنا بذلك الصولي حيث يقول : قدم على ابي تمام رجل من اخوانه ، وكان قد بلغه انه قد افاد واثرى ، فجاءه يستميحه ، فقال له ابو

تمام : لو جمعت ما آخذ ما احتجت الى احد ، ولكن آخذ وأنفق ، وسأحتال لك ، فكتب الى ابي سعيد الثغري بقصيدة منها .

لازلت من شكري في حلة
لابسها في سلب فاخر
يقول من تقرع اسماعه
كم ترك الاول للاخر
لي صاحب قد كان لي مؤنسا
ومألفا في الزمن الغابر
تحمل منه العيس اعجوبة
تجدد السخري للساخر
ذا ثروة يطلب من سائل
ومعخما يأخذ من شاعر
فصادفت مالي باقباله
منية من امل عاثر
فشارك المقمور فيه ولا
تكن شريك الرجل القامر
فرفدك الزائر مجد ولا
كرفدك الزائر الزائر

فوجه لابي تمام بثلمائة دينار وللزائر بمائتي دينار قال : فاعطاه ابو تمام خمسين دينارا حتى شطره .

هذا وقد مر بك كيف انه كتب قصيدة لأخيه كما ينال ما يطمع ويطمح اليه ثم سيأتي لك موقفه مع البحتري وكيف انه كتب الى اهل معرة النعمان يطلب اليهم مد يد المساعدة اليه وما هي انطباعات البحتري في هذا الفضل الذي غمره فيه صاحبنا ابو تمام ؟

ابو تمام ومخلد بن بكار الموصلي :

مر بنا في البحث السابق ان لابي تمام خصوما واعداه تقولوا عليه مـا تقولوا وقد شرحنا ذلك بما وقفنا عليـه .

والان في بحثنا هذا نقف امام شاشة جديدة من معارض اخبار ابي تمام للصولي فننظر من كونها الجميلة الى ما يحدثنا به فيقول : حدثني بدر غلام مخلد قال : دخل ابو تمام الحمام ومخلد فيه ، واذا عليه شعر كثير ، كأنه قد ألبس مسحا ، فقال له ابو تمام : ما هذا ؟ ! قال : حذرا من لسانك ان ينسبني الى البغاء .

كما حدث بانه قد لاقيل لابي تمام : قد هجاك مخلد ، فلو هجوته ؟ قال : الهجاء يرفع منه ، قيل : اليس هو شاعرا ؟ قال : لو كان شاعرا ما كان مـن الموصل . يعنى ان الموصل لم تخرج شاعرا . قال ابو سليمان : واصل مخلد من الرحبة ثم اقام بالموصل .

واليك نماذج من الاشعار التي هجا فيها مخلد ابا تمام .

انت عنـــدي عربـــي الاصــــل ما فيـك كلام
عربـــــــــي عربـــــــــي
أجـــــاى مـــا تـــــرام
شـعر فخذيـــك وســاقيـــك خزامـى وتمـام
وضـلوع الشـلو مـــن صـــد
ريـــك نبـــع وبشـــــام
وقـــــذى عينيـــك صـــمغ
ونواصـــــيك ثغـــــام

لـو تحركت كـذا لانسجفلت منـك نعام

وظبـاء مخصـبات

ورابيـع عظـام

الـا ماذنـى ان خالفنـى

فيـك الانـام ؟

وأتـت معـك سـجايا

نبطيـات لئـام

وقفـا يحلـف أن مـا

عـرقت فيـك الكـرام

ثـم قالـوا : جاسـمى

مـن بـن الانبـاط خـام

كذبـوا مـا انـت الا

عربـى ماتضـام

بينـه مابـين سـلمى

وحـواليه سـلام

واـه مـن ارت آبـاء

قسـى وسـهام

ونخيـل باسـقات

قـد دلـا منهـا صـرام

لـات عنـدي عربـى

عربـى والسـلام

ومنها :

يا نبى الله في لشعر ويا عيسى بن مريم
انت من اشعر خلق الله ما لم تتكلم

ومنها :

انظر اليه والى خبثته
كيف تطايا وهو منشور
ثم على طاق شحيث القوى
نسبته واللؤم مضفور

ويلك من دلاك في نسبة
قلبك منها الدهر مذعور
لو ذكرت طاء على فرسخ
اظلم في ناظرك النور

هذا وكان ابو تمام لا يجيب هاجيا له لانه كان لا يراه نظيرا ولا يشتغل به ، ويؤيد هذا ما ذكره الصولي بقوله : حدثني ابي قال : قلت لابي تمام : ويحك قد فضحنا هذا الموصلي بهجائك فأجبه ، قال : ان جوابي يرفع منه ، واستدر به سبه ، واذا امسكت عنه سكتت شقشقته ، وما في فضل مع هذا عن مدح من أجتديه .

وليس مخلد بن بكار الموصلي لوحده هو الذي هجا ابا تمام فقد ذكر الصولي ان هجا ابا تمام من هو اشعر من مخلد حيث يقول : عزم ابو تمام على الانحدار الى البصرة والاهواز لمدح من بها ، فبلغ ذلك عبدالصمد بن المعذل فكتب اليه(١٤) .

---

(١٤) وردت القصة في وفيات الاعيان لابن خلكان ج : ١ في ترجمة ابي تمام .

انت بين اثنين تغدو مع الناس
وكلتاهما بوجه مذال

لست تنفك طالبا لوصال
من حبيب او طالبا لنوال

اي ماء لماء وجهك يبقى
بعد ذل الهوى وذل السؤال ؟

فلما قرأ الشعر قال : قد شغل هذا ما يليه ، فلا ارب لنا فيه ، واضرب عن عزمه .

وورد في وفيات الاعيان لابن خلكان ان « ابن المعذل لما قال هذه الابيات في ابي تمام كتبها ودفعها الى ورا كان هو وابو تمام يجلسان اليه ولا يعرف احدهما الاخر وأمر ان تدفع الى ابي تمام ، فلما وافى ابو تمام وقرأها قلبها وكتب :

افي تنظم قول الزور والفند
وانت انقص من لاشيء في العدد

اشرجت قلبك من غنظ على حنق
كأنها حركات الروح في الجسد

اقدمت ويلك من هجوى على خطر
كالعير يقدم من خوف على الاسد

كما قد قال الصولي باني وجدت في كتبي : وقال الوليد بهجو ابا تمام ، وهي قصيدة اخترت منها :

دع الهجاء فان الله حرمه
واقصد الى الحق ان الحق متسع

واذكـــر حبيب بن اوشـــونا ودعوتـــه
فـــان طيـــا اذا ســـبوابه جزعـــوا
ان يقبلـوك ابـــا النقصـــان يحتقبـــوا
عـــارا وتخفض منهـــم كل مارفعـــوا

لـــو ان عبـــد منـــاف في ارومتهـــم
تقبلـــوك لمـــا ضـــروا ولا نفعـــوا
وان نفـــوك كمـــا ينفـــون كلبهـــم
عـــن الصـــميم اصـــابو الحـــق وانتفعوا

ان يرفعـــوا بـــك خرقـــا في اديمهـــم
قـــال العبـــاد : جميعـــا بئسما رفعـــوا

مربـــاع قومـــك ناقـــوس وشـــمعلة
فاذكـــر مرابيعهـــم فيهـــا اذا ارتبعـــوا

ولـــو تنـــاط بطـــي كـــل فخريـــة
لكنت اخـــزى لهـــم منهـــا اذا اجتمعـــوا

انى هجوتـــك عـــن علـــم ومعرفـــة
بـــأن شـــعرك قـــد اورى بـــه الفـــزع

مجموعة اقوال منقولة :

الرجل العظيم يكون دائما هدفا للرمى والطعن والدافع الى ذلك اسباب عديدا لايكاد الباحث ان يلم بها ولكنها ظاهرة في بعض الاوقات والاقـوال مستترة في مكان ثان •

ونريد في هذا الموضوع ان نسطر الاقوال واصحابها المنقولة عن صاحبنا ابي تمام الذي بز جميع اقرانه في ميادين المعاني والغوص عليها •

ويحدثنا بهذه الاقاويل المعتز به يحى الصولي في كتابه اخبار ابي تمام فيقول : سمعت ابا العنبس يقول وكان جارا لى : راسل ابو تمام ام البحتري في التزويج بها فأجابته وقالت له : اجمع الناس للاملاك ، فقال : الله اجل من ان يذكر بيننا ، ولكن فتماسح وتتسافح ، فكان معها بلا نكاح •

وهذا انما كذبه ابو العنبس واحتذى به حديثا حدثه به الكديمى عن الاصمعى قال : جاء اسود وسوداء الى ابي مهدية فقالا له : قد اردنا التزويج فخطب لنا ، فقال : ان الله اجل من ان يذكر بينكما ، فاذهبا فاصطكا لعنكما الله •

وقال قوم : هو حبيب بن تدوس النصرانى فغير فصير اوسا وقال : حدثنى ابن ابي خيثمه قال :ـ سمعت دعبلا يقول : لم يكن ابو تمام شاعرا انما كان خطيبا وشعره بالكلام اشبه منه بالشعر ، قال : وكان يسيل عليه ، ولم يدخله في كتابه « كتاب الشعراء » •

ابو تمام وابو دلف العجيلي

ابو دلف قائد عربي مشهور من قواد المأمون والمعتصم والمتوكل وله في سامراء جامع مشهور معروف باسمه يشبه جامع الملوية والمئذنه كمئذنته وقد قصده ابو تمام(١٥) « ومدحه بقصيدته البائية المشهورة التي اولها » •

علـــى مثلهـــا مـــن اربـــع وملاعـــب
اذيلـت مصـونات الدمـــوع الســـواكب

استحسنها واعطاه خمسين الف درهم ، وقال له : والله انها لدون شعرك ثم قال له : والله ما مثل هذا القول في الحسن الا مارتبت به محمد بن حميد

(١٥) وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٣٦ •

الطوسي ، فقال له ابو تمام : واي ذلك اراد الامير ؟ قال : قصيدتك الرائية التي اولهـــا :

كـذا فليجـل الخطـب وليفـدح الامـــر
فليس لعـين لـــم يفض مــاؤها عـــذر

وددت والله انها لك في ، فقال : بل افدى الامير بنفسي واهلي واكون المقدم قبله ، فقال : انه لم يمت من رثي بهذا الشعر(١٦) .

هذا وقد توسع بعض الادباء في هذه المرتب وصوروا ان احدهم قد رأى ابا تمام في المنام فخبره بان هذه مطلع القصيدة لم يكن كذا فليجل الخطب بل ان اولهـا .

حـــرام لعـين ان تجـــف لهـــا شـــعر
وان تطعـــم التغميض ما امتـــد الدهـــر

ويحدثنا بهذا الصولي(١٧) في كتابه اخبار ابي تمام حيث يقول : حدثني احمد بن موسى قال : اخبرني ابو الغمر الانصاري عن عمرو بن ابي قطيفة قال : رأيت ابا تمام في النوم فقلت له : لم ابتدأت بقولك :

« كذا فليجل الخطب وليفدح الامر » .

فقال لي : ترك الناس بيتا قبل هذا ، انما قلت :

حـــرام لعـين ان تجـــف لهـــا شـــعر
وان تطعـــم التغميض ما امتـــد الدهـــر
كـــذا فليجـل ....

---

(١٦) وردت الحكاية في اخبار ابي تمام بهذا المعنى وان كان اللفظ يختلف بزيادات لفظية .

(١٧) اخبار ابي تمام الصولي ص ٢٦٥ ط : ١٩٣٧ م : التاليف والترجمـة والنشـر بمصـر .

ويؤيد هذا ان القصيدة في شرح الخطيب التبريزي(١٨) مبدوءة بالبيتين :

حــرام لعــين ان تجــف لهــا شــفر
وان تطعــم التغميض ما امتــد الدهــر

كــذا فليجــل الخطــب وليفــدح الامــر
فليس لعــين لــم يفض مــاؤها عــذر

ولم يكن توسيعهم في هذه القصيدة فقدتو سعوا في قضية تعينه لولاية الموصل . ونسجوا مانسجوا حولها ويحدثنا بذلك ابن خلكان في كتابــه وفيات الاعيان(١٩) حيث يقول : واخباره كثيرة ، ورأيت الناس يطبقــون على انه مدح الخليفة بقصيدته السينيه فلما انتهى فيها الى قوله :

أقــدام عمــرو في ســماحة حاتــم
في حلــم احنــف في ذكــاءا يــاس

قال له الوزير : أتشبه امير المؤمنين باجلاف العرب ؟ ، فاطرق ســاعة ثم رفع رأسه ، وانشد يقول :

لاتنكــروا ضــربي لــه مــن دونــه
مثــلا شــرودا في النــدى والبــاس

فالله قــد ضــرب الاقــل لنــوره
مثــلا مــن المشــكاة والنــبراس

فقال الوزير للخليفة : اى شيء طلبه فاعطه ، فانه لا يعيش اكثر من اربعين يوما ، لانه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة ، وصاحب هــذا

---

(١٨) حاشية اخبار ابي تمام للصولي ص ٢٦٥ ط ١٩٣٢م لجنة التاليف والترجمة والنشر بمصر .

(١٩) ج ١ ص ٣٢٧ تحقيق محمد عبدالحميد .

لايعيش الا هذا القدر ، فقال له الخليفة ، ما تشتهما ؟ قال : أريد الموصل ، فاعطاه اياها ، فتوجه اليها ، وبقى هذه المدة ومات وهـذه القصة لا صحة لهـا اصـلا .

وقد ذكـر ابو بكر الصـولي في كتاب « اخبار ابي تمام » انه لما انشد هذه القصيدة لاحمد بن المعتصم ، وانتهى الى قوله « اقـدام عمرو ـ البيت المذكور » قال له ابو يوسف يعقوب بن الصباح الكندى الفيلسوف ، وكان حاضرا : الامير فوق من وصفت ، فاطـرق قليلا ، ثـم زاد البيتين الاخيرين ، ولما اخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين ، فعجبوا من سرعته وقطنته ولما خرج قال ابو يوسف ، وكان فيلسوف العرب : هـذا الفتى يموت قريبا . ثم قال بعد ذلك : وقد روى هذا على خلاف ما ذكرته ، وليس بشيء والصحيح هو هـذا .

لماذا ذهب ابو تمام الى الموصل :

اجمعت كتب التاريخ والادب ان ابا تمام قد ذهب الى الموصل متقلدا عملا من اعمال الخلافة يومذاك فهل ان عمله كان ولاية ام عملا آخر ومن اين قد تأتت هذه الحكاية التي يرويها الصولي وغيره . من الادباء .

وللاجابة على هذا السؤال نساير ركب ابن خلكان في كتابه وفياة الاعيان فهو يحدثنا بالحقيقة وبالجواب الشافي فيقول : وقد تتبعتها وحققت صورة ولايته الموصل ، فلم اجد سوى ان الحسن بن وهب ولاه بريد الموصل فأقام بها اقل من سنتين ثم مات بها ، والذي يدل على ان القصة ليست صحيحـة ان هذه القصيدة ما هي في احد من الخلفاء ، بل مدح بها احمد بن المعتصم وقيل : احمد بن المأمون ، ولم يل واحد منهما الخلافة « والحيص بيص » ذكر في رقاعة السبع اللاتي كتبها الى الامام المسترشد يطلب منه « يعقوبا » ان الموصل كانت اجازه لشاعر طائي ، فاما انه بنى الامر على ما قاله الناس

من غير تحقيق ، او قصد أن يجعل هذا ذريعة لحصول « بعقوبا » له . والله اعلم ، وتابعه في الغلط ابن وحبة في كتاب « النبراس » .

وذكر الصولي : أن ابا تمام لما مدح محمد بن عبدالملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله :

ديمـــة ســـمحة القيـــاد ســـكوب
مســـتغيث بهـــا الثـــرى المكـــروب
لو ســـعت بقعـــة لاعظـــام اخـــرى
لســـعى نحوهـــا المكـــان الجديـــب

قال له ابن الزيات : يا ابا تمام ، انه لتحلى شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ، مايزيد حسنا على بهي الجواهر ، في اجيد الكواعب ، وما يزخر لك شيء من جزيل المكافأة الا ويقصر عن شعرك في الموازاة .

وكان يحضره فيلسوف ، فقال له : رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنه مع لطافة الحسن وجودة الخاطر ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده ، وكذا كان ، لانه مات وقد ينف علــى ثلاثين ســـنة .

قلت : وهذا يخالف ما سيأتي من تاريخ مولده ووفاته ، بعد هذا ، ان شاء الله تعالـــى .

نظرة عامـــة عن ابي تمـــام :

لا اريد ان اميل في هذا البحث بين انصار ابي تمام ومعاديه بل اجد محاولا نقل ماكتب عنه قديما وحديثا . واقتطف قسما من رسالة الصولي الى مزاحم بن فاتك(٢٠) الذي يقول : فابك جاريتني آخر عهد التقائنا فيما افضنا فيـــه

---

(٢٠) رسالة الصولي في مقدمة كتاب اخبار ابي تمام للصولي : لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٥٦ ـــ ١٩٣٧ القاهرة .

من العلوم أمر ابي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وعجبت من افتراق آراء الناس فيه ، حتى ترى اكثرهم والمقدم في علم الشعر وتمييز الكلام منهم ، والكامل من اهل النظم والنثر فيهم ، يوفيه حقه في المدح ، ويعطيه من الرتبة ، ثم يكبر باحسانه في عينه ، ويقوى بابداعه في نفسه ، حتى يلحقه بعضهم بمن يتقدمه ، ويفرط بعض فيجعله نسيج وحده وسابقا لا مساوي له ٠

وترى بعد ذلك قوما يعيبونه ويطفون في كثير من شعره ويسندون ذلك الى بعض العلماء ، ويقولونه بالتقليد والادعاء ، اذ لم يصح فيه دليل ولا اجابتهم اليه حجة ، ورأيت مع ذلك المتنفين جميعا ، وما يتضمن احد منهم القيام بشعره ، والتبيين لمراده ، بل لا يجسر على انشاد قصيدة واحدة له ، اذ كانت تهجم به على خبر لم يره ، ومثل لم يسمعه ، ومعنى لم يعرف مثله ٠ فعرفتك ان السبب كما ذكرت وتضمنت شرح ما وصفت حتى لا يعارضك شك فيه ، ولا يخامرك ريب منه ٠

ونختم خاتمة المطاف باكتبه ابو فرج الاصفهاني في كتابه الاغاني(٢١) حيث يقول : « وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ، واقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطودن محاسنه ويستعملون القحه والمكابرة في ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه الا بأدب فضل وعلم ثاقب ، وهذا مما يتكسب به كثير من اهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سببا للترفع وطلبا للرياسه ٠ وليست اساءة من اساء في القليل واحسن في الكثير مسقطة احسانه ولو كثرت اساءته ايضا ثم احسن لم يقل له عند الاحسان اساءت ولا عند الصواب اخطأت ، والتوسط في كل شيء اجمل ، والحق احق ان يتبع وقد فضل ابا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون

---

(٢١) من حاشية اخبار ابي تمام ص ٢

عليه غباره ، ولا يدركون وان جددا آثاره وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا اليه في جده نظيرا ولا شكلا ، ولولا ان الرواة قد اكثروا في الاحتجاج له وعليه ، واكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره ، وافرط معاوده في التسطير لرويئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منه طرفا هذا ماكتب عنه قديما .

اما ماكتب عنه حديثا فنقتطف قسما من المقدمة التي كتبها العلامة الاستاذ احمد أمين على كتاب اخبار ابي تمام للصولي فقد قال : والكتاب قيم من ناحية انه يجلى لنا بعض نواح لابي تمام لم نعرفها فيما قرأنا في غيره من الكتب ، ومؤلفه الصولي ثقة فيما يرديه قريب عهد بأبي تمام ، له بصر بالادب ، وذوق جيد في التقدير ... ذلك ان ابا تمام خرج على الناس بنوع جديد من الشعر اخرجه من رأسه لا من قلبه ، فهو يغوص على المعاني العقلية غوصا ، ثم يرفعها الى السماء ويعمل فيها خياله البعيد ، ويختار لهـا الالفاظ ، ويعنى ببديعها وجناسها ، فتم له من معانيه العميقة الى القاع وخياله المرتفع الى السماء ، والفاظه المتجانسة المزدقه ، نوع جديد من الشعر لم يسبق اليه ، نعم ان كل جزئية من هذه الجزئيات قد سبق اليها ، فقد سبقه مسلم بن الوليد بكثرة البديع والجناس في شعره ، وسبقه ابو نواس وبشار بكثرة المعاني وغزارتها ، ولكن كل هذه الجزئيات ــ مبالغا فيها ــ لم تجتمع لاحد قبل ما اجتمعت لابي تمام . وشأن الجديد في كل عصر ، وفي كل عالم وفن ، ان يثير جدلا ، وان يقسم الناس الى معسكرين : معسكر ينصره ، ومعسكر يخذله ، وان يشتد القتال بين المعسكرين .

وكذلك كان الحال في ابي تمام : فقد أتى بجديد فتنازع العلماء والادباء فيه ، فأما من تعصب للقديم كابن الاعرابي ، فكر هوا ابا تمام وكر هوا ما جاء به من شعر جديد ، وقالوا : انه خرج عن عمود الشعر المعروف واما من مرن ذوقه وعقله ولم يتقيد بقديم ، فقد اعجب بأبى تمام ايما اعجاب ، وخاصة

من تفلسف ذوقه وعمق فكره وبعد خياله واستطاع ان يفهمه • لان ابا تمام كان يغوص في القلب او يرتفع حتى لايدركه الا الخاصة •

« نماذج من شعره »

مرت بك ايها القارىء تنف قليلة من اشعار أبي تمام والان نحاول في هذا الفصل ان نذكر قسما آخر من اشعاره وقصائده التي شرقت وغربت محاولين جهد الامكان ذكر السبب الذي انشدت من اجله القصيدة •

١ ـ لله دره :

ذكر الصولي في كتابه اخبار ابي تمام قال : قدم عمارة بن عقيل(٢٢) بغداد فاجتمع الناس اليه وكتبوا شعره وسمعوا منه ، وعرضوا عليه الاشعار فقال له بعضهم : ها هنا شاعر يزعم قوم انه اشعر الناس طرا ويزعم غيرهم ضد ذلك فقال انشدوني له فانشدوه :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد
وعاد فقادا عندها كل مرقد
وانقذها من غمرة الموت أنه
صدود فراق لا صدود تعمد
فاجرى لها الاشفاق دمعا موردا
من الدم يجرى فوق خد مورد
هي البدر يغنيها تودد وجهها
الى كل من لاقت وان لم تودد

(٢٢) « عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطيه بن الخطفي ويكنى ابا عقيل شاعر متقدم فصيح وكان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته ويمدح قوادهم . وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه اللغة ١هـ حاشية اخبار ابو اتمام للصولي ص ٥٩ .

ثم قطع المنشد ، فقال عماره : زدنا من هذا فوصل وقال :

ولكنني لم احو وفرا مجمعا
ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطنى الايام نوما مسكنا
الذبه الا بنوم مشرد

فقال عمارة : لله دره ، لقد تقدم صاحبكم في هذا المعنى جميع من سبقه على كثرة القول فيه ، حتى لحبب الاغتراب ، هبه ! فأنشده :

وطول مقام المرء في الحى مخلق
لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة
الى الناس اذ لبست عليهم بسرمد

فقال عمارة ، كمل والله ، إن كان الشعر بجودة اللفظ ، حسن المعاني واطراد المراد ، واستواء الكلام ، فصاحبكم هذا اشعر الناس ، وان كان بغيره فلا ادري !

٢ ـ المستطرد أو الاستطراد :

قال الصولي : حدثني ابو الحسن علي بن محمد الانباري قال سمعت البحتري يقول : انشدني ابو تمام لنفسه :

وسابح هطل التعداء هتان
على الجراء أمين غير خوان

اظمى الفصوص ولم نظمأ قوائمه
فخل عينيك في طمآن ريان

فلو تـــراه مشـــيحا والحصـــى زيـــم
بـــين الســـنابك مـــن متـــى ووحـــدان

ايقنـــت ــ ان لـــم تثبـت ــ ان حافـره
من صخر تدمر او مـــنِ وجـــه عثمـــان

ثم قال لى : ما هذا من الشعر ؟ قلت : لا ادرى ، قال : هـــذا المستطرد او قال الاستطراد ، قلت : وما معنى ذلك ؟ قال : يرى انه يريد وصف الفرس ، وهـــو يريد هجـــاء عثمان .

٣ ــ لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شعر في لحنها :

قال القاسم بن حلاد : انصرفت يوما من عند ابن ابي دؤاد ، فدخلت الى محمد بن منصور فوجدت عنده عمارة ابن عقيل ، وكان خلا له ، وهو ينشده قصيدة له في الواثق أولهـا :

عـــرف الديـــــار رســـومها قفـــر
لعبـــت بهـــــا الارواح والقطـــــر

فلما فرغ منها قلنا له : ما سمعنا احسن من هذه الرائيه ، احسن الله اليك يا ابا عقيل ! فقال : والله لقد عصفت رائية طائيكم هذا بكل شـــعر في لحنها ، قلنا له : وما هي ؟ قال : كلمته التي هجا بها الافشين ، فقال محمد بن يحى بن الجهم : انا احفظها ، فقال هاتها فانشده :

الحـــق ابلـــج والســـــيوف عـــوار
فحـــذار من اســـد العريـــن حـــــذار

فقال له عمارة : انشدنا ذكر النار ، فانشـــد :

مازال ســـر الكفـــر بـــين ضلوعـــــه
حتى اصـــطلى ســـر الزنـــاد الـــوارى

نارا يساور جسمه من حرها
تهب كما عصفرت نصف ازار

طارت لها شعل بهدم لفحها
اركانه هدما بغير غبار

ففصلان منه كل مجمع مفصل
وفعلن فاقرة بكل فقار

رفعوا اعالي جذعه فكانما
وجدوا الهلال عشية الافطار

ثم ذكر المصلبين فقال :

سود اللباد كأنما نسجت لهم
ايدى الشموس مدارعا من قار

بكروا واسروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم
ابدا على سفر من الاسفار

جهلوا فلم يستكثروا من طاعة
معروفة بعمارة الاعمار(٢٣)

٤ ـ اتقول هذا لمن يقول ويقول ويقول :

حدث عبدالله بن المعتز(٢٤) قال : كان ابراهيم بن المدبر يتعصب على

(٢٣) اخبار ابي تمام للصولي ص ٩٤ و٩٥ و٩٦ بتصرف .
(٢٤) اخبار ابي تمام للصولي ص ٩٧ ـ و٩٨ و٩٩ .

ابي تمام ويحطه عن رتبته ، فلا حانى فيه يوما فقلت له : اتقول هذا لمن يقول :

غـــدا الشــــيب مختطا بفــــودى خطــة
سبيل الردى منهـــا الى المـــوت مهيـع

هــــو الزدر يجفــــى والمعاشـــر يجـوى
وذد الالف يقلــــى والجديـــد يرقـــع

لـــه منظـــر في العين ابيـــض ناصـــع
ولكنــــه في القلـــب اســـودا ســـفح

ولمـن يقـــول :

فـــان تـــرم عـــن عمـــر تدانى بـــه المدى
فخانــك حتـــى لـــم يجـــد منـــك منزعـــا

فمـــا كنـــت الا الســـيف لاقي ضريبـــة
فقطعهـــا ثـــم انثنـــى فتقطعـــا

ولمـن يقـــول :

خشـــعوا لصـولتك التي هـــي عندهـــم
كالمـــوت يأتيـــى ليس فيـــه عـــار

فالمشـــى همس والنـــداء اشـــارة
خـــوف انتقامـــك والحديـــث ســـرار

ايامنـــــا مصـــــقولة اطرافهـــــا
بـــك والليـــالى كلهـــا أســـحار

تنـــدى عفاتـــك للعفـــاة وتغتـــدى
رفقـــا الـــى زدارك الـــزدار

٥ ـ هذا لابي تمام :

حدث علي بن اسماعيل(٢٥) قال : كنت عند البحتري فانشدته وهو كالمفكر :

احلى الرجال من النساء مواقعا
من كان اشبههم بهن خدودا

فاطلب هدوءا في التقلقل واستثر
بالعيس من تحت السهاد هجودا

من كل معطية على علل السرى
وخدا يبيت النوم فيه شريدا

طلبت ربيعة المهى(٢٦) لنا
ووردن ظل ربيعة المحدودا

ذهليها مريها مطربها
يمنى يديها خالد بن يزيدا

نسب كأن عليه من شمس الضحى
نورا ومن فلق الصباح عمودا

عريان لايكبو دليل من عمى
فيه ولا يبغي عليه شهودا

شرف على اولى الزمان وانما
خلق المناسب ان يكون جديدا

---

(٢٥) اخبار ابي تمام للصولي ص١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ .
(٢٦) المهى : الكثير الماء . شرح التبريزي .

مطـــر ابـــوك ابـــو اهلـــة وائـــل
مـــلأ البسـيطة عـــدة وعديـــدا

ورثـــوا الابـنـــوة والحظوظ فأصـــبحوا
جمعـــوا جـــدودا في العـلا وجـــدودا

ان القـــوافى والمســـاعى لـــم تـــزل
مثـــل النظـــام اذا أصـــاب فريـــدا

هـــي جوهـــر نثـــر فـــأن الفتـــه
بالنظـــم صـــار فلائـــدا وعقـــودا

فقال ما هذا ؟ وهو فزع فقلت له : الا تعرفه ؟ هذا لابي تمام فقال : اذ كرتني والله وسررتني ، لايحسن هذا الاحسان احد غيره ٠

٦ ـ يا يوم عمورية :

هذه القصيدة التي مدح بها المعتصم بالله وقد اعتبرها الادباء من احسن القصائد التي قيلت في المدح وقد سطرتها كتب الادب وانا اذ ننقلها اليـك فننقل قسما منها ٠ وهذا القسم ما كان يتجاذب به الادباء في سمرهـــم ٠ واليك ذلك ٠

السـيف اصـدق انبـاء مـن الكتـب
في حـده الحـد بين الجـد واللعـب

تسـعون الفـا كأسـا والشرى نضجت
اعمارهـم قبـل نضـج التين والعنب

فتـح الفتـوح تعالـى ان يحيـط بـه
نظـم مـن الشـعر او نثر مـن الخطـب

فتح تفتح ابواب السماء له
وتبرز الارض في ابرادها القشب

يا يوم وقعة عمورية انصرفت
عنك المنى حفلا معسولة الحلب

ابقيت جد بني الاسلام في صعد
والمشركين ودار الشرك في صبب

أم لهم لورجوا ان تفتدى جعلوا
فداءها كل ام منهم واب

وبرزة الوجه قد اعيت رياضها
كسرى وصدت صدودا عن ابي كرب

من عهد اسكندرا وقبل ذلك قد
شابت نواحى الليالى وهي لم تشب

بكر فما افتر عنها كيف حادثه
ولا ترقت اليها همة النوب

جرى الفأل برحا يوم انقرة
اذ غودرت وحشة الساحات والرحب

لما رأت أختها بالامس قد خربت
كان الخراب لها اعدى من الجرب

لقد تركت امير المؤمنين بها
للنار يوما ذليل الصخر والخشب

غادرت فيها بهم الليل وهو ضحى
ويشله وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلا بيت الدجى رغبت
عن لونها وكأن الشمس لم تغب

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخان في ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت
والشمس واجبة من ذا ولم تجب

ما ربع مية معمورا يطيف به
غيلان ابهى ربى من ربعها الخرب

ولا الخدود ولو أدمين من خجل
اشهى الى ناظر من خدها الترب

سماجة غيت منها العيون بها
عن كل حسن بدأ او منظر عجب

وحسن منقلب تبقى عواقبه
جاءت بشاشته من سوء منقلب

تدبير معتصم بالله منتقم
لله مرتقب في الله مرتعب

لم يرم قوما ولم ينهد الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب

لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا
من نفسه وحدها في جحفل لجب

لما رأى الحرب رأى العين « توفلس »
والحرب مشتقة المعنى من الحرب

ولى وقد الجم الخطى منطقه
بسكتة تحتها الاحشاء في صخب

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال الا على جسر من التعب

ان كان بين مرور الدهر من رحم
موصولة وذمام غير منقضب

فبين ايامك اللاتي نصرت بها
وبين ايام بدر اقرب النسب

٧ ـ غدا وستسمعون :

حدث الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٢٧) . قال : لما قدم ابو تمام الى خراسان اجتمع الشعراء اليه فقالوا : تسمع شعر هذا العراقي ، فسألوه ان ينشدهم ، فقال : قد وعدني الامير ان انشده غدا وستسمعون فلما دخل على عبد الله انشده :

هن عوادي يوسف وصواحبه
فعزما فقدما ادرك السؤل طالبه

فلما بلغ الى قوله :

وقلقل نأى من خراسان جامشها
فقلت اطمئني انضر الروض عازبه
وركب كأطراف الاسنة عرسوا
على مثلها والليل داج غياهبه

---

(٢٧) اخبار ابي تمام : ص ١١٥ .

لامـــر عليهـــم ان تتـــم صـــــدوره
وليـــس عليهـــم ان تتـــم عواقبـــــه

علـــى كـــل رواد المـــلاط تهدمـــت
عريكتـــه العليـــاء وانضـــم حلبـــه

رعتـــه الفيـــا في بعـــد ما كان حقبـــة
رعاهـــا ومـــاء الروض ينهـل ســـاكبه

فصاح الشعراء بالامير ابي العباس : ما يستحق مثل هـــذا الشعر الا الامير اعـــزه الله .

هذه القصيدة من عزر قصائد ابي تمام وقد مدح بهـا ابا دلف واليك مـا قالـــه :

علـــى مثلهـــا مـــن اربـــع وملاعـــب
اذيلـــت مصونات الدمـــوع الســـواكب

اميـــدان ليـــوى مـــن اتـــاح لك البلـــى
فاصـــبحت ميـــدان الصـــبا والجنائب

اذا العيس لاقـــت بـــي ابـــا دلف فقـــد
تقطـــع مـــا بـــين وبـــين النوائـــب

اذا مـــا غـــدا اغـــدى كريمـــة مالـــه
هـــديا ولـــو زفـــت لا لام خاطـــب

واحســـن مـــن نـــور يفتحـــه النـــدى
بيـــاض العطايـــا في ســـواد المطالب

اذا الجمت يوما لجسم(٢٨) وحولها
بنو الحصن تجل المحصنات النجائب

فأن المنايا والصوارم والقنا
اقاربهم في الردع دون الاقارب

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها
وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذى قارا مالت سيوفكم
عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى يقرنوا بها
محاسن اقوام تكن كالمعائب

مكارم لجت في علو كأنما
تحاول ثارا عند بعض الكواكب

ولو كان يفنى الشعر افناه ما قرت
حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوت العقول اذا أنثنت
سحائب منها اعقبت بسحائب

٩ ـ قمر القبائل خالد بن يزيد :

قد مر بك ان مجافاة حصلت بين ابي تمام وابن ابي دؤاد واشتدت هذه المجافاة وطال غضب ابن ابي دؤاد فمار حتى عن ابي تمام حتى شفع فيه خلد بن يزيد الشيباني فعمل قصيدة يمدح ابن ابي دؤاد ويذكر شفاعة خالد بن يزيد اليه .

---

(٢٨) يعنى لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وهم قوم ابى دلف العجلي لانه من عجل بن لجيم اهـ حاشية اخبار ابي تمام للصولي ص١٢٢ .

ويقول الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٢٩) واغمض مواضيع ... في اعتذاره فما كسرها احد قط وانما سنح لى استخراجها لحفظى للاخبار التي اومأ اليها ، فأما من لايحفظ الاخبار فانها لا تقع له ، وانا سنسأير ... الصولي حول هذا الموضوع : وأولها :

أرأيت اى سوالف وخدود
عنت لنا بين اللوى فزرود
فاسمع مقالة زائر لم تشتبه
اراؤه عند اشتباه البيد
اسرى طريدا للحياة من التي
زعموا وليس لرهبة بطريد
كنت الربيع امامه ووراءه ٠
قمر القبائل خالد بن يزيد
فالغيث من زهر سحابة رافة
والركن من شيبان طود حديد

زهر والحذاق قبيلتان من اياد رهط ابن ابي دؤاد .

وغدا تبين ما براءة ساحى
لو قد نفضت تهائمى ونجودى
هذا الوليد رأى التثبت بعدما
قالوا يزيد بن المهلب مودى

يعنى الوليد بن عبد الملك ، لما هرب يزيد بن المهلب من حبس الحجاج واستجار بسليمان بن عبد الملك وكتب الحجاج في قتله الى الوليد فلم يزل سليمان بن عبد الملك وعبد العزيز بن الوليد يكلمانه فيه فقال : لابد من ان

---

(٢٩) المصدر السابق ص ١٥٤ .

تسلموه الى فعضل سليمان ذلك ووجه بايوب ابنه فقال : لاتفارق يدك يده ، فأن اريد بسوء فدفع عنه حتى تقتل دونه .

فتزعـزع الـزور المؤسس عنـده
وبنـاء هـذا الافـك غير مشـيد
وتمكـن ابـن ابي سـعيد من حجـى
ملـك بشـكر بـن الملوك سـعيد

« ابن ابي سعيد » يعني يزيد بن المهلب ، لان كنية المهلب ابي سعيد « من حجى ملك » يعني سليمان بن عبد الملك « بشكر بن الملوك » يعني آل المهلب ، ان سليمان يسعد باني الدهر بشكرهم له .

مـا خالـد لـي دون ايـوب ولا
عبـد العزيـز ولسـت دون وليـد
نفس فـداؤك اى بـاب ملحـة
لـم يـرم فيـه اليك بالاقليـد
لمـا اضـلتي غـامـك اصبحت
تلك الشـهود علـي وهـي شـهودي
مـن بعـد ماظنـوا بـأن سـيكون لـي
يـوم ببغيهـم كيـوم عبيـد

يعني عبيد بن الابرص : لقى النعمان في يوم بؤسه وهو يوم كان يركب فيه ، فلا يلقاه احد الا قتله وخاصة اول من يلقاه فلقيه عبيد فقتله .

نزعـوا بسـهم قطيعـة يهفـو بـه
ريش العقـوق فكان غـير سـديد
واذا اراد الله نشـر فضـيلة
طويـت اتـاح لهـا لسـان حسـود

لـولا اشـتعال النـار فيما جـاورت
مـا كان يعـرف طيـب عـرف العـود
مـا كان يـرف طيـب عـرف العـود
للحاسـد النعمـى علـى المحسـود

١٠ ـ وهل يساميك في العلا ملك :

هذا شطر من قصيدة يمدح فيها خالد بن يزيد الشيباني ٠ ويحدثنا بذلك الصولي في اخبار ابي تمام(٣٠) قال : حدثني ابو توبه الشيباني ـ ولم ار افصح منه ـ قال : حضرت عشيرنا واميرنا خالد بن يزيد ، وعنده رجل كثير الفكاهة حسن الحديث ، فاعجبني جدا فقال الامير ابو يزيد : اما سمعت شعره فينا ؟ ما رأيت احسن بيانا منه ، ولا افصح لسانا !

ما لكتيبـت الحمـى الـى عقـده
مـا بـال جرعائـه الـى جـرده

الى ان قـال :

نعـم لـواء الخميـس أبـت بـه
يـوم خميس عالـى الضـحى افـده
خلـت عقابـا بيضـاء في حجـرات
الملـك طـارت منـه وفي سـدده
فشـاغب الجـو وهـو مسـكنه
وقاتـل الريـح وهـي مـن مـدده
ومـر تهفـو ذؤ اتبـاه علـى
اسـمر متن يـوم الوغـى جسـده

(٣٠) اخبار ابي تمام ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ٠

تخفـــق انـــؤه علـــى ملـــك
يـــري طـــراد الابطـــال مـــن طـــرده

وهـــل يســـاميك في العـــلا ملـــك
صـــدرك اولـــى بالرحـــب مـــن يلـــده

اخلاقك الغر دون رهطك اتـرى منه في رهطه وفي عدده فما سمعت مثل قوله ، وطربت فرحا ان يكون من ربيعه ، فقلت : ممن الرجل ؟ فقال : من طيء ، وولائي لهذا الامير ، فقلت : يا اسفي الا تكون ربعيا او نزاريا ، ثم أمرله الامير ابو يزيد بعشرة الاف درهم بيضا ، ووالله مكافأه . وفي هـذه القصيدة ذكر شفاعة خالد الى ابن ابي دؤاد فيما يتقدم ذكره ، فقال :

بالله انســـى دفعـــه الـــزدر ســـن
عـــوراء ذى نيـــرب ومن فنـــده(٣١)

ولا تناســـى احيـــاء ذى يمـــن
مـــا كان مـــن نصـره ومـــن حشـــده(٣٢)

آمـــرتى اذ جعلتـــه ســـندا
كـــل امـــرىء لاجـــوء الـــى ســـنده

١١ ـ فالسيل حرب للمكان العالي :

ذكر الصولي في كتابه اخبار ابي تمام فقال : قدم ابو تمام مدحا للحسن بن رجاء ، فرأيت رجلا علمه وعقله فوق شعره ، واستنشده الحسن بن رجاء ونحن في مجلس شرب فانشده ،

(٣١) العوراء الكلمة القبيحة والنيرب النميمة والفند كل قول غير محمود .
(٣٢) الحشد : ان يجتهد الرجل في جميع جيش او كلام .

كفـــي وغـــاك فأنتـــــي لـــك فالــــى
ليســـت هـــوادى عزمتــي بتــوالى(٣٣)
أنــا ذو عـــرفت فـــان عرتــك جهـالـة
فانـــا المقيـــم قيامـــــة الهُـــــذال

فلمـــا قـــال :

عــــادت لــــه ايامـــــه مســـــودة
حتــــى توهـــــم انهـــــن ليالــــى

قال له الحسن : والله لا تسود عليك بعد اليوم . فلما قـــال :

لاتنكـــري عطـــل الكريـــم مـــن الغنــى
فالســـيل حـــرب للمكـــان العالـــى
وتنظـــري خبـب الركـــاب ينصـــها(٣٤)
محـــى الفـــريض الـــى مميـــت المـــال

قام الحسن بن رجاء وقال : والله لا اتممتها الا وانا قائم ، فقام ابـــو تمـــام لقيامـــه ، وقـــال :

لمـــا بلغنـــا ســـاحة الحســـن انقضــى
عنـــا تملـــك دولـــــة الامحـــــــال
بســـط الرجـاء لنا برغـــم نوائـــــب
كثـــرت بهـــن مصـــارع الامــــال
اغلـــى عـــذارى الشـــعر ان مهورهـــا
عنـــد الكـــرام اذا رخصـــن غـــوالى

---

(٣٣) الهوادي : الاوائل . والتوالي : الاواخر .
(٣٤) ينص ناقته : استخرج اقصى ما عندها من السير . (قاموس) .

نـرد الظنـون بـه على تصـديقها
ويحكـم الامـال فـي الامـوال

اضـحى سمى ابيـك فيـك مصـدقا
بأجـل قائـدة وأيمـن خـال

ورأيتني فسـألت نفسـك سـيبها
لـى ثـم جـدت ومـا انتظـرت سـؤالى

كا لقيـم ليس لـه ـ أريـد غياتـه
او لـم يـرد ـ بـد مـن التهطـال

١٢ ـ وقال يستسقي الحسن بن وهب نبيذا :

جعلت فـداك عبـد الله عنـدي
بعقـب الهجـر منـه والبعـاد

لـه لمسـة مـن الكتـاب بيـض
قضـوا حـق الزيـادة والـوداد

واحـسـب يومهـم ان لـم تجدهـم
مصـادف دعـوة منهـم جمـاد

فكـم نـزؤ مـن الصـهباء سـار
وآخـر منـك بالمعـروف غـاد

فهـذا يسـتهل علـى غليلـى
وهـذا يسـتهل علـى تـلادى

دعوتهـم عليـك وكنـت ممـن
تعنيـه علـى العقـد الجيـاد

١٣ ـ مما قاله ابو تمام في آل وهب :

كل شـــعب كنتـــم بـــــه آل وهـــب
فهــــو شـــعبي وشـــعب كل اديـــــب

ان قلبـــــي لكـــم لكا لكبـــد الحـرى
وقلبـــــي لغيركـــــم كالقـــــوب

مازالـــت الايـــــام تخبـــر ســـائر
ان ســـوف تفجـع مســـهلا او ء قــــلا

مجـــــد تـــأدب طارقـــــا حتـــى اذا
قلنـــــا قـــــام الدهـــر اصـــبح راحـــلا

نجمـــــان شـــــاء الله ان لايطاعـــــا
الا ارتـــــداد الطـــرف حتـــى يأفـــلا

ان الفيجيعـــــة بالريـــــاض نواضـــــرا
لاجـــــل منهـــــا بالريـــــاض ذو ابـــــلا

لـــــو ينســــان لكـــان هـــذا غاربـــــا
للمكرمـــــات وكـــــان هـــذا كاهـــــلا

لهفـــــي علـــــى تلك المخائـــــل فهمـــــا
لـــــو امهلـــت حتـــى تكـــون شـــمائلا

لغـــــدا ســـكونهما حجـــى وصـــباهما
كرمـــــا وتلـــك الاريحيـــــة نائـــــلا

ان الهـــلال اذا رأيـــــت نـــــموه
ايقنـــت ان ســـيصير بـــدرا كامـــلا

قــل للامــير وان لقيــت موقــرا

منــه يريــب الحادثــات حلاحـلا

ان تـرز في طـرفى نهـار واحـد

رزءيـن هـا جالوعـة وبـلا بـلا

فالنقـل ليـس مضـاعفا لمطيـة

الا اذا مـا كـان وهمـا بـازلا

شـمخت خـلالك ان يؤسيك امـرؤ

او ان تذكـر ناسـيا او غافـلا

الا مواعـظ فادهـا لـك سـمحة

اسـجاح لبـك سـامعا او قائـلا

ذكر الصولي في كتابه اجبار ابي تمام(٣٥) قال حدثني عبدالله بن احما النبسايورى وكان اديبا شاعرا ، قال : استبطأ ابو تمام صـلة عبدالله بـن طاهر ، فكتب الى ابي العميثل شاعر عبدالله وكان دفع اليه رقعة ليوصـلها الى عبدالله :

ليـت الظبـاء ابـا العميثل خبـرت

خبـرا يـروى صـاديات الهـام

ان الامـير اذا الحـوادث اظلمـت

نـور الزمـان وحليـة الاسـلام

والله مـا يـدرى بأيـة حالـة

يتنـى مجـاوره علـى الايـام .

---

(٣٥) اخبار ابي تمام ص ٢٢٣ .

المـا يجامعـه لديـه مـن الغنـى
ام مـا يفارقـه مـن الاعـدام
وارى الصـحيفة قـد علتهـا فتـرة
فتـرت لهـا الارواح فـي الاجسـام
ان الجيـاد اذا علتهـا صـنعة
راقـت ذوى الاداب والافهـام
لتزيـد الابصـار فيهـا فسـحة
وتأمـل باشـارة القـوام
لـولا الامـير وأن حاكـم رأيـه
في الشـعر اصـبح اعـدل الحكـام
لتكلـت آمالـى لديـه بأسرهـا
ولكـان انشـادى خقـير كلامـى
ولخفـت فـي تفريقـه مـا بيننـا
مـا قيـل في عمـرو وفي الصمصـام

فكتب اليـه ابو العميثل :

افهمتنـا فنقعـت بالافهـام
فاسـمع جوابـك يـا ابا تمـام
ان الظبـاء سـنيحها كبريحهـا
فـي جهلهـا بتصـرف الاقـوام
جفـت بايـام الفتـى وبرزقـه
فـي اللـوح قبـل سـوابق الاقـلام
قـد كنـت حاضـر كل مـا خبرتـه
مـن منطـق مسـتحكم الابـرام

فيـــه لطائــف مــن قريــض مونــق

نطقــت بــذلك الســـن الحكــام

ملس المنــون لــدى السماع كأنهــا

لمســا ومنظــرة منــون ســلام(٣٦)

وشــهدت مــا قال الامير بعقبــة

مــن انــه عســل بمــاء غمــام

وشــهدت اجمــل محضــر مــن معشــر

منحــوا كريــم القــول نجل كــرام

فعليــك محمــــود الانـــاءة انهـــا

والنجــح في قــرن علــى الايــام

وذكــرت عمــرا قبلنــا وفراقــه

صمصامـــة النجـــدات والاقـــدام

والله ينظمنـــا بعـــز أميرنـــا

وطــوال مدتــه اتــم نظــام

هذه الابيات قد روى انه كتبها الى عبدالله بن طاهر عندما حجبـــه فقـــال(٣٧) :

صــبرا علــى المطــل ما لــم يتله الكــذب

وللخطــوت اذا ســـامحتها عقـــب

علــى المقاديــر لــوم ان وميــت بهــا

مــن قــادر وعلــى السمــى والطلــب

---

(٣٦) السلام : الحجارة الصلبة .

(٣٧) انظر ديوان الشاعر .

يأيها الملك النائي برؤيته
وجوده لمراعي جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا
ان السماء ترجى حين تحتجب

حدث الصولي(٣٨) عن عون بن محمد بانه قال : قدم على ابي تمام رجل من اخوانه ، وكان قد بلغه انه قد أفاد واثرى ، فجاء يسلميحه ، فقال له ابو تمام : لو جمعت ما آخذ ما احتجت الى أحد ، ولكن آخذ واتفق ، وسأحفال لك فكتب الى ابي سعيد بقصيدة منها :

لازلت من شكري في حلة
لابسها في سلب فاخر
يقول من تقرع اسماعه
كم ترك الاول للاخر
لي صاحب قد كان لي مؤنسا
ومالغا في الزمن الغابر
تحمل منه العيس اعجوبة
تجدد السخرى للساخر
ذا ثروة يطلب من سائل
ومفحما يأخذ من شاعر
فصادفت مالي بأقباله
منية من أمل عائر

(٣٨) اخبار ابي تمام للصولي ص٢٢٩

فشـــــارك المقمـــور فيـــــه ولا
نكـــن شـــريك الرجـــل القامـــر
فـــر فــــدك الزائـــر مجـــد ولا
كـــر فـــدك الزائـــر للزائـــر

فوجه لابى تمام بثلثمائة دينار ، وللزائر بمائتي دينار ، قال : فأعطاه ابو تمام خمسين دينارا حتى شاطره •

وانشد ابو تمام احمد بن المعتصم في علة اعتلها فلما اتم الانشاء قال له احمد بن المعتصم : ما ابين العله عليك ! فقال : انها علة قلب تميت الخاطر ، وتسد الناظر ، وتبلد الماهر(٣٩) فقال :

اقلـــق جفـــن العينـــين عـــن غمضـــه
وشـــد هـــذا الحشـــا علـــى مضضـــه
شـــجى بمـــا عـــن للامير ابي العباس امســـى نصـــبا لمعترضه
مـــن الالـــى تستجير من شرق الدهـــر بهم ان الم او جرضه(٤٠)
صـــاغهم ذو الجـــلال من جوهر المجـــد وصاغ الانام من عرضه
ســـهم مـــن الملـــك لا يضـــيعه
باريـــه حتـــى يهتـــز في غرضـــه
صـــحته صحـــة الرجـــاء لنـــا
فـــي حـــين ملناتـــه ومنتقضـــه
فـــان نجـــد علـــة نعـــم بهـــا
حتـــى كأنـــا نعـــاد مـــن مرضـــه

---

(٣٩) اخبار ابي تمام للصولي ص ٢٣٢ و٢٣٣ بتصرف
(٤٠) الجرض : الريق

يعتبر ابو تمام مجددا في اللغة للاشتقاقات التي يقوم فيها وهذا ابراهيم بن العباس الصولي(٤١) الكاتب المعروف يقول ما اتسكلت في مكاتبتي على ما يجيله خاطري ويجيش به صدري الا قولي فانزلوه من معتل الى عقال انى المت في المعقل والعقال بقول ابي تمام ، ثم انشد .

فـــان باشـــر الاصحار فالبيض والقنـــا
قـــراه واحـــواض المنايـــا مناهلـــه
وان بـــين حيطانـــا عليـــه فانمـــا
أولئـــك عقالاتـــه(٤٢) لا معاقلـــه
والا فأعلمـــه بأنـــك ســـاخط
ودعـــه فـــان الخـــوف لاشـــك قاتله
بيمـــن ابـــى اسحاق طالـــت يـــد الهـــدى
وقامـــت قنـــاة الديـــن واشـــتد كاهلـــه
هـــو البحـــر مـــن اى النواحـــي أتيتـــه
فلجتـــه المعـــروف والجـــود ســـاحله
تعـــود بســـط الكـــف حتـــى لـــو انـــه
تناهـــا لقبـــض لـــم تجبـــه انامـــله

وهـــذه ابيات مـــدح بها محمد بن عبدالملك :
وجـــدتك اذا اســـود الزمـــان انامـــلا

٤١) اخبار ابي تمام بتصرف ص ١٠٢
٤٢) العقالات : جمع عقال وهو داء يعرض للخيل كان الفرس في اول مشيه يعقل عن الجري ثم يزول عنه ذلك . ومنـــه قيل لبعض فحول الخيل ذو العقال « شرح التبريزي » .

واحسن في الحاجات وجها وأجملا

تضيء اذا اسود الزمان وبعضهم

يرى الموت ان ينهل او يتهللا

ووالله ما آتيك الا فريضة

وآتي جميع الناس الا تنضلا

وليس امرؤ في الناس كنت سلاحه

عشية يلقى الحادثات بأعزلا

: سرقات ابو تمام الشعرية :

لقد عقد الامدي في كتابه الموازنة فصلا تحت عنوان « سرقات ابي تمام(٤٣) » وقد استقصتها كما اوردها فوجدتها مائة واربعة وستين سرقه سنقتصر على ذكر بعضها ونترك الباقي لمن يريد ان يدرسها كلها ويطلع عليها جميعها وهذا ما يقوله الامدى « كان ابو تمام مشتهرا بالشعر ، مشغوفا به ،لا ومشغولا مدة عمره بتخيره ودراسته ، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة ، فمنها الاختيار القبائلى الاكبر اختار فيه من كل قصيدة ، وقد مر على يدى هذا الاختيار ، ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلى اختار فيه قطعا محاسن اشعار القبائل ، ولم يورد فيه كبير شيء للمشهورين ، ومنها الاختيار الذي تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام ، واخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمه . وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول ، ومنها اختيار تلقط فيه اشياء من الشعراء المقلين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبوبه ابوابا ، وصدره بما قيل في الشجاعة ، وهو اشهر اختياراته ، واكثرها في ايدى الناس ويلقب بالحماسه ، ومنها اختيار المقطعات ، وهو مبوب على ترتيب الحماسة الا انه يذكر فيه اشعار المشهورين

---

(٤٣) الموازنة ص ٤٨ ط : ٢ سنة ١٣٧٣ . مصر السعادة .

وغيرهم من القدماء والمتأخرين وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأت هذا الاختيار؛ ونقطت منه نتفا وابياتا كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره ، ومنها اختيار مجرد في اشعار المحدثين ، وهو موجود ، ايدى الناس ، وهـذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه اشتغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل الاداب والعلوم عليه ، فانه ما شيء كبير من شعر جاهلى ولا اسلامي ولا محدث الا قرأه واطلع عليه ، ولهذا اقول : ان الذي خفى من سرقاته اكد مما قام منها على كثرتها .

وانا اذكر ما وقع الى في كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته انا منها واستخرجته ، فان ظهرت بعد ذلك منها على شيء الحقته بها ان شاء الله .

١ ـ قال الكميث الاكبر وهو الكميث بن ثعلبه .

ولا تكثروا فيه اللجاج فانه
مما السيف ما قال ابن دارة اجمعا

اخذه الطائي فقال :

« السيف اصدق انباء من الكتب »

٢ ـ وقال الاعشى

وارى الغواني لا يواصلن امرأ
فقد الشباب وقد يصلن الامردا

اخذ الطائي المعنى والصفة فقال :

احلى الرجال من النساء مواقعا
من كان اشبههم بهن خدودا

٣ ـ وقال البعيث :

وانا لنعطي المشرفية حقها
فتقطع في ايماننا وتقطع

فقال الطائي :

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة
فقطعها ثم انثنى فتقطعا

٤ ـ وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها
فهن يتبعنه في كل مرتحل

اخذه الطائي فقال :

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى
بعقبان طير في الدماء نواهل

٥ ـ وقال مسلم يرثي :

سلكت بك العرب السبيل الى العلى
حتى اذا سبق الردى بك داروا
نفضت بك الامال احلاس المنى
واسترجعت نزاعها الامصار

اخذه ابو تمام فقال :

توفيت الامال بعد محمد
فاصبح مشغولا عن السفر السفر

٦ ـ وقال الاخطل :

تدب دبيبا في العظام كأنها
دبيب نمال في نقا ينهيل

اخذه ابو تمام فافسد المعنى فقال :

اذا الراح دبت فيه تحسب جسمه
لما دب فيه قرية من قرى النمل

٧ ـ وقال ابو دواد الايدى :

لا اعد الاقلال عدما ولكن
فقد من قد فقدته الاعدام

اخذ ابو تمام صدر البيت فقال :

لا يحسب الاقلال عدما بل يرى
ان المثل من المؤة معدم

٨ ـ وقال ابو الهندي :

وترى سهيلا في السماء كأنه
نور يعارضه هجان الربرب

اخذه ابو تمام فقال :

اراعى من كواكبه هجانا
سواما لا تريع الى المسيم

٩ ـ وقال ابو العتاهيه :

كم نعمة لا يستقل بشكرها
لله في طى المكاره كامنه

اخذه الطائي فقال واحسن ، لانه جاء بالزيادة التي هي عكس الشيء الاول فقال :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

١٠ ـ وقال النظار بن هاشم الازدي •

يعف المرء ما استحيا ويبقى
نبات العود ما بقى اللحاء

ومـــا في ان يعيـــش المـــــرء خـــير
اذا مـــا المـــرء زايلـــه الحيـــاة

اخذ ابو تمام معنى البيتين واكثر لعظهما فقـال :

يعيش المـــرء مـــا اسـتحيا بخـــير
ويبقـــى العـــود مـــا بقـــى اللحاء

فـــلا والله مـــــا في العيـــش خـــير
ولا الدنيـــا اذا ذهـــــب الحيـــاء

ونقتصر على هذه النماذج فان الاختصار بالمختصر اولى • والوفاء بمـا قدمناه في الصـــدر اوفى •

: نظرة عامـة في شـعره :

مرت بك قطع شعرية من شعر ابي تمام والان لنبحث بصورة عامة عن شعره ونساير في هذا الركب قافلة كتاب الموازنة للامدى(٤٤) والتي تحدد لنا بقولها « كان لابي تمام مذهب في المطابق والمجانس اشتهر به ونسب اليه وهذا المذهب لم ينسب الابي تمام لانه اخترعه ، فقد طرقه الشعراء من قبله وقالوا منه ، ولكنه نسب اليه وعرف هو به لانه فضل الشعراء جميعا فيه ، واكثر منه ، وسلك جميع شعبه ، بل انه كان منار ما دار حوله من الجدل ، ومن جهة انطلقت السنة الناقدين عليه ، بحق احيانا ، وبغير حق احيانا أخرى ، ذلك بأنه بالغ في سلوك هذا السبيل واولع بها ، حتى ليندر ان يخلو بيت له منه ، فأوقعه هذا الولوع في التعسف وارتكاب متن الشطط • ولكن الذي لاشك فيه ان الجيد من شعره كثير ، وانه لا يلحق غباره في جيده •

---

(٤٤) الموازنة ص ٥ مصدر سبق ذكره .

اتصل ابو تمام برجال الدولة في عصره ، ومدح وهجا ورلى ، وقال في كل اغراض الشعر ، وقد احصيت عدة من مدحهم فالفتيهم ثمانية واربعين ما بين خليفة وابن خليفة ووزير وكاتب وقاضي وسري ، مدح امير المؤمنين المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد ورثاه بعد موته ، ومدح امير المؤمنين الواثق بالله بن المعتصم ، ومدح محمد بن عبدالملك الزيات ، وابا عبدالله احمد بن ابي دؤاد ، والحسن بن وهب ، واخاه سليمان بن وهب ، ومالك بن طوق ، وابا دلف القاسم أبن عيسى العجلى ، وابا المغنت موسى بن ابراهيم الرافقى ، وابا الحسن محمد بن الهيثم بن شبابه ، واسحاق بن ابراهيم المصعبى واسحاق بن ابي ربعى كاتب ابي دلف ، ومحمد بن حسان الضبى ، وخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، وكان اكثر انسان مدحه ابو تمام هو ابو سعيد محمد بن يوسف الثغري ، فقد احصينا له فيه سبعا وعشرين كلمة . ونريد ان نسجل ههنا ان ابا تمام الطائي كان كثيرا ما يمدح الطائيين ، فأبو سعيد طائي ، واحمد بن عبدالكريم طائي ، وعمر بن العزيز طائي ، وغير هؤلاء من ممدوحه طائيون فهل كان يمدح على العصبية او الرغبة في الجائزة ؟

ذلك بحث لم يستقم لنا وجه الرأى فيه ، ولا هو مما تتحمله هذه العجالة في هذه الظروف . وعسى ان يتهيأ لنا من بعد ان نفيض فيه . ا هـ .

« وفاة أبي تمام وبلغ سنه »

عقد الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٤٥) فصلا تحت هذا العنوان المذكور وننقل اليك ما كتبه الصولي حيث قال : لما مات ابو تمام قال الواثق لابى قد غمي موت الطائي الشاعر : فقال . طيء باجمعها فداء امير المؤمنين والناس طرا : ولو جاز ان يتأخر ميت عن اجله ثم سمع هذا من امير المؤمنين لما مات .

---

(٤٥) المصدر السابق ص ٢٧٢ و ٢٧٣ .

وقال : عن الحسن بن وهب بأبى تمام وكان يكتب لمحمد بن عبدالملك الزيات فولاه بريد الموصل فاقام بها سنة ، ومات في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائتين ودفن بالموصل •

وقال : حدثنى عون بن محمد الكندي قال : قرأت على ابي تمام شيئا من شعره في سنة سبع وعشرين ومائتين وسمعته يقول : مولدى سنة تسعين ومائة • قال : واخبرنى مخلد الموصلى ان ابا تمام مات بالموصل في المحرم سنة اثنين وثلاثين ومائتين •

وقال : حدثني ابو سليمان النابلسى قال ، قال تمام ابن ابي تمام مولد ابى سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات في سنة احدى وثلاثين ومائتين •

وجاء في كتاب الموازنة للامدى(٤٦) انه قد توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين وانه قد ولد في سنة تسعين ومائة وهذا اثبت الاقوال المأثورة وجاء هذا الاختلاف في المولد والوفاة في كتاب الوفيات لابن خلكان(٤٧) وهو لايخرج عن اقوال الصولي • غير انه جاء بزيادة وهي : قال البحترى : وبنى عليه ابو نهشل بن حميد الطوسى قبة (قلت) ورأيت قبره بالموصل ، خارج باب الميدان على حافة الخندق ، والعامة تقول هذا قبر تمام الطائي •

اقول واني قد زرت الموصل في سنة ١٩٥٤ ميلادية فشاهدت ان بلدية الموصل قد وضعت نصبا تذكاريا فوق قبر ابي تمام واليك وصفه : (حديقة دائرية الشكل يبلغ قطرها خمسة عشر مترا فيها انواع الاوراد الجميلة تقع هذه الحديقة في وسط الشارع المسمى شارع سنجار او باب سنجار وفي وسط هذه الحديقة بناية مربعة الشكل من المرمر المنحوت نحتا جميلا ويبرز من وسطها بناء مرتفع من المرمر يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار على شكل عمود مربع

---

(٤٦) ص ٥ و٦ بتقديم وتاخير
(٤٧) ص ٣٣٩ : ج : ١

مخروطي الشكل • وقد قامت بلدية الموصل ببنائه وفي نفس هذا الشارع وجنوب قبر ابي تمام هنالك قبر آخر فوقه قبه يقع في وسط الشارع يطلقون عليه اسم قبر لبنت وقسم منهم يسمى قبر ابن الاثير ومقابل قبر ابن الاثير من الجهة الغربية بناء متهدم لم يبق منه الا القبه هو قبر قضيب البان جد الدكتور ناجي الاصيل الذي هو الان وهو سنة الف وتسعمائة وست وخمسون ميلادية مدير عام للاثار القديمة لعامة ببغداد • وقضيب البان هذا من معاصرى الشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره • وقد رايت كتابا في مكتبة النبي شيت بالموصل يسمى ذخيرة الاذهان في ترجمة قضيب البان وهو مؤلف من اربع مجلدات ولا زال مخطوطا لم يطبع لحد الان •

« مراثي ابي تمام »

نختتم البحث عن هذا الشاعر بالقصائد الشعرية التي رثاه فيها الشعراء فقد رثاه جلة منهم وانى سأساير ركب الصولي في اخبار ابي تمام وركب وفيات الاعيان لابن خلكان •

فممن رثاه يحى بن ابى عباده الوليد بن عبيد البحتري الشاعر ، ولكن ابا الغوت وكان مقيما بالشام وقدم بغداد فقال يرثيه ويرثى دعبل الشاعر المعروف(٤٨) •

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي
مثوى حبيب يوم مات ودعبل
وبقاء ضرب الخثعمي وشبهه
من كل مضطرب القريحة مهمل
اهل المعاني المستحيلة ان هم
طلبوا البداهة والكلام المفصل

(٤٨) اخبار ابي تمام للصولي ص ٢٧٥ ـ ٢٠١

اخوى ، لاتزل السماء مخيلة
تغشا لما بحيا مقيم مسبل
جدت على الاهواز يبعد دونه
مسرى النعي ورمة بالموصل

ورثاه الحسن بن وهب فقال :

سقت بالموصل القبر الغريبا
سحائب ينتحين له نحيبا
اذا اطلعته اطلقن فيه
شعيب المزن منبعقا شعيبا
ولطمت البروق لها خدودا
وشققت الرعود لها جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى
حبيبا كان يدعى لي حبيبا
طريفا شاعرا فطنا لبيبا
اصيل الرأى في الجلى اريبا
اذا شاهدته رواك مما
يسرك رقة منه وطيبا
ابا تمام الطائي ، انا
لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدنا منك علقا لا تـرانا
نصيب له مدى الدنيا ضريبا
وكنت اخا لنا تدنى الينا
صميم الود والنسب القريبا

وكانت مذجج تطوى علينا
جميعا ثم تنشرنا شعوبا
فلما بنت فكرت الليالي
قريب الدار والاقصى الغريبا
وابدى الدهر اقبح صفحيه
ووجها كالحا جهما قطوبا
فأحر بأن يطيب الموت فيه
واحر بعيشة الا قطيبا

وقال علي بن الجهم يرثيه :

غاضت بدائع فطنة الاوهام
وعدت عليها نكبة الايام
وغدا القريض ضئيل شخص باكيا
يشكو رزيته الى الاقلام
وتأوهت غرر القوافي بعده
ورمى الزمان صحيحها بسقام
اودى مثقفها ورائض صعبها
وغدير روضتها أبو تمام

ولاحمد بن يحى البلاذرى يرثى ابا تمام ويهجو ابا مسلم بن حميد الطوس

امسى حبيب رهن قبر موحش
لم تدفع الاقدار عنه بايد
لم ينجه لما تناهى عمره
أدب ولم يسلم بقوة كيد

قد كنت ارجو ان تنالك رحمة

لكن اخاف قرابة ابنِ حميد

وقال فيه الحسن بن وهب ايضا :

فجع القريض بخاتم الشعراء

وغدير روضتها حبيب الطائي

ماتا معا فتجاوروا في حفرة

وكذلك كانا قبل في الاحياء

وقال محمد بن عبدالملك يرثيه وهو وزير :

نبأ أتى من أعظم الانباء

لما الم مقلقل الاحشاء

قالوا حبيب قد ثوى فأجبتهم

ناشدتكم لاتجعلوه الطائي

وقال ايضا :

الا لله ما جنت الخطوب

تخرم من احبتنا حبيب

فمات الشعر من بعد ابن اوس

فلا دأب يحس ولا اديب

وكنت ضريب وحدك يا ابن اوس

وهذا الناس اخلاق ضروب

لئن قطعتك قاطعة المنايا

لمنك وفيك قطعت القلوب

وقال عبدالله ابن ابى الشيص وهو ابن عم دعبل بن علي الخزاعي يرثى ابا تمام :

اصبح في ضنك من الارض
اكثر في الارض من الارض
من عرض ذكراه ومن طولها
كا لارض ذات الطول والعرض
اكرم بملحود يداني البلى
وجهك يا بن الكرم المحض
ما في حبيب لي ابن اوس أسى
يجمع بين الجفن والغمض
حار ذوو الاداب اذ فوجئوا
منه بيوم غير مبيض
انتقض الابرام من عمر من
كان ابا الابرام والنقض
طود من الشعر دعا بعضه
بعضا فهد البعض بالبعض
بحر من الشعر له جائش
ملتطم باللؤلؤ البيض
كانما الشعر شعار له
او ورق في غصن غض
لما اتم الله فيك الذي
أملت من بسط ومن قبض
رماك رام للمنايا وما
آذن عند الرمي بالنبض

لـــو كـــان للشـــعر عيـــون بكـت
لكوكـــــب للشـــــعر منقـــض

وقــد رثاه غير واحد لكنه وجد بخط ابن مهرويه :

يـــا حفـــرة الطـــائي اي امـــرىء
أتويـــت منـــه فـــي تـــرى الرمس
شـــعاره انـــت ولـــم تشـــعري
بأنـــــه اشـــــعر ذى نفـــس
كـــم بـــين اثنائـــك مـــن حكمـة
كانـــت شـــفاء النفـــس بالامـــس

هذا ما دونه الصولي في كتابه اخبار ابي تمام(٤٩) .

اما ما ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان(٥٠) فهو قوله : وحكى لى الشيخ عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم قال سألت شرف الدين ابا المحاسن محمد بن عنين الاتى ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم انشاء الله تعالى عن معنى قوله :

ســـقى الله دوح الغوطتـــين ولا أرتـــوى
مـــن الموصـــل الحـــدباء الا قبورهـــا

لـــم حرمها وخص قبورها ؟ فقال : لاجل ابي تمام .

وهذا البيت لابن عنين المذكور من قصيدة مدح بها الســـلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل ابن ايوب وسبقاني ذكره في حرف العين ان شـــاء الله تعالى اولها :

---

(٤٩) ص ٢٧٤ و٢٧٥ و٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٨ و٢٧٩ المصدر السابق
(٥٠) ص ٣٣٩ ج : ١ المصدر السابق

اشـاقك مـن عليـا دمشـق قصورهـا
ولـدان ارض النيريـن وحورهـا

وبهذا تتم ترجمة ابي تمام الطائي •

البحتــــري

نسبه ونشأته وحياته :

هو ابو عباده الوليد بن عبيد بن يحى بن عبيد بن شحلال بن جابر ابن سلمه بن مسهر بن الحارث بن جسم بن أبي حارثه بن جدى ابن بدول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمر بن الغوث بن جلهمه وهي طى ، بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان الطائي البحتري الشاعر المشهور(١) .

ويكن بأبى عباده وابو الحسن والاول اشهر ١١ . وهو عربي صميم ١٢ ولد بمنبج سنة ٢٠٦ وقيل (برردفنة) وهي قرية من قراها ونشأ وتخرج بها(٢) . وجا في كتاب الحماسة(٣) انه : نشأ بالبادية بين قبائل طي وغيرها فغلبت عليه فصاحة العرب . ويؤيد هذا الرأى ما جاء في كتاب الموازنة للامدى(٤) حيث يقول : ونشأ في البادية بين قومه في طى وغيرهم ، وروى عن كثير من العلماء ، كأبى العباس المبرد ، ثم اتصل بأبى تمام ولزمه ، وما زال

---

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٧٤ ومعجم الادباء ج : ١٩ ص ٢٤٨ .
(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٧٤ .
(٣) لابي عبادة البحتري ص ٣ تحقيق كمال مصطفى .
(٤) الموازنة للامدي ص ٤٥ .

يترسم خطاه ، ويحذذ حذوه ، ويردد صداه ، ويقتفي قفـوه حتى طـار في الافاق ذكره وعلا كعبه .

وجاء في وفيات الاعيان(٥) صور هي ابعد عن مبدأ نشأته فقال : قال صالح بن الاصبغ التنوخي المنبجي : رأيت البحترى ههنا عندنا قبل ان يخرج الى العراق ، يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب ، وأدما الى جنبتى المسجد يمدح اصحاب البصل والباذنجان ، وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ، ثم كان منه في علوة التي شبب بها في كثير من اشعاره ، وهي بنت زريفـة الحلبية ، وزريفه أمهـا .

وذكر صاحب المكتبة الجامعة في بيروت بمقدمة ديوان البحتري بأن اول شعر قاله انه كان له غلام يدعى « شقران » فاتفق له سفر طويل فلما عاد رأى شقران قد التحى فقال فيـه .

طلعـــت لحيـــة شـــقران
شـــفيق النفـــس بعـــدي
حلقـــت كيـــف أتتـــه
قبـــل ان ينجـــز وعـــدي

قـال البحتري :

كان اول امرى في الشعر وبناهي : ان صرت الى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري ، وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم فاقبل علـى وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا ، قال لى : « انت اشـعر من انشدنى ، فكيف بالله حالك ؟ » فشكوت خلة ، فكتب الى اهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق في الشعر ، وشفع لي اليهم ، وقال : امتدحهم . فصرت اليهـم ، فأكرمونى بكتابه ، ووظفوا لى اربعة الاف درهم ، فكان اول مال اصبته .

---

(٥) الوفيات ج ٤ ص ٥٤ .

وكانت نسخة كتاب ابي تمام : « يصل كتابي هذا على يد الوليد بن عبادة الطائي وهو على بذاذته شاعر فأكوموه(٦) » .

البحتري وابو تمام :

قال البحتري : اول ما رأيت ابا تمام أني دخلت على ابي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي :

أأفاق صب من هوى فأفيقا
ام خان عهدا ام اطاع شفيقا

الى آخر القصيدة التي سفوردها بتمامها في موضوع النماذج الشعرية من شعر البحتري .

فسر بها أبو سعيد وقال : احسنت والله يافتى واجدت ،

وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده ، تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل على وقال : يافتى اما تستحي مني ؟ هذا شعر لي تنتحله ، وتنشده بحضرتي .

فقال ابو سعيد احقا ما تقول ؟

قال نعم ، وانما علقه مني ، فسبقني به اليك ، وزاد فيه .

ثم اندفع فانشد اكثر القصيدة ، حتى شككني علم الله في نفسي ، وبقيت متحيرا .

فأقبل على ابو سعيد فقال : يافتى ، قد كان في قرابتك وودك لنا مايغنيك عن هذا .

فجعلت احلف له بكل محرجة الايمان أن الشعر لي ما سبقني اليه أحد ، ولا سمعته منه ، ولا انتحلته ، فلم ينفع ذلك شيئا .

---

(٦) مقدمة كتاب الحماسة للبحتري للاستاذ كمال مصطفى ص ٣ .

وأطرق ابو سعيد ، وقطع بي ، حتى تمنيت أني سخت في الارض •
فقمت منكسر البال أجر رجلي ، فخرجت • فما هو الا أن بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردوني •

فأقبل على الرجل فقال : الشعر لك يابني ، والله ماقلته ولا سمعته الا منك ، ولكنني ظننت انك تهاون موضعي ، فأقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تريد مضاهاتي وتكاثرني ، حتى عرفني الامير نسبك وموضعك ولو ددت الا تلد ابدا طائيه الا مثلك •

وجعل ابو سعيد يضحك ، ودعاني ابو تمام وضمني اليه ، وعانقني ، وأقبل يقرظني ، ولزمته بعد ذلك ، واخذت عنه ، واقتديت به(٧) •

صفاتـــه واخلاقـــه

كان البحتري ــ على فضله ونصاعة بيانه ورقة كلامه ، وبديع اسلوبه ، وجزيل شعره ، من ابخل خلق الله ، فقد كان له اخ وغلام معه في داره ، فكان يقتلهما جوعا ، حتى اذا بلغ منهما الجهد أتياه يبكيان ، فيرمي اليهما بثمن اقواتهما مضيقا مقترا ، ويقول لهما مع ذلك : كلا ، اجاع الله اكبادكما واطال اجهادكما ! وكان ــ فوق ذلك ــ من اوسخ خلق الله ثوبا وآلة • واتعضهما انشادا واكثرهم افتخارا بشعره ، حتى يروى عنه انه كان اذا أنشد شعرا قال لمستمعيه : لم تقولون احسنت ؟

وهذا والله ما لايقدر احد ان يقول مثله •

وجاء في مقدمة كتاب الحماسة(٩) قوله : وكان من ابغض خلق الله انشادا : يتشادق ويتزاور في مشيه : مرة جانبا ، ومرة القهقرى ، ويهز

---

(٧) مقدمة كتاب الحماسة للبحتري بقلم الاستاذ كمال مصطفى ص ٤و٥و٦ .
(٨) مقدمة كتاب الموازنة بقلم الاستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ص ٧ .
(٩) المصدر السابق ص ٧ .

رأسه مرة ، ومنكبيه اخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ، ويقول : احسنت والله ! ثم يقبل على المستمعين ويقول : ما لكم لاتقولون احسنت ؟ هذا والله ما لايحسن احد ان يقول مثله !

فعل ذلك مرة امام المتوكل ، وكان في المتوكل عبث ودعابه ، فاغرى به ابا العنبس الصيمري ، فهجاه على البديهة بقصيدة هزلية على روى القصيدة التي يمدح بها المتوكل ، فخرج البحتري غضبا من المجلس ، والمتوكل يضحك عليـــه .

اقـــول : ان مطلع القصيدة التي مدح بها البحترى المتوكل هو :

عـــــن اى ثغـــــر تبتســـــــــم
وبـــــأي طـــــــرف تحتكـــــــم
حســــــن يضـــــن بوصــــــله
والحســــن اشـــــبه بالكــــرم

ومنهـــا :

اقســــــمت بالبيــــت الحـــــرام
وحرمـــــة الشـــــهر الاحـــــم
وعلــــى امــــير المؤمنين فانهـــا حـــق انقســــم
لقــــد اصـــطفى رب الســــماء
لـــــه الخلائـــــق والشــــيم
ملـــك غـــــــدا وجبينــــــه
شـــــمس الضـــحى بـــدر الظلـــم

وأن اول القصيدة التي عبث بهـــا ابو العنبس الصيمري هي :

يـــا بحتـــري حـــذار ويــــحك من قضاضــه غـــم

ومنهـــا :

والله حلفــــــة صـــــــادق

وبقبـــر احمـــد والحـــرم

وبحـــق جعفـــر الامـــام

ابـــن الامـــام المعتصـــم

لا صـــــيرتك شـــــهرة

بـــين المســـيل الـــى العلـــم

البحتري وغلامـه نسـيم :

كان للبحتري غلام اسمه نسيم وهو غلام رومي ليس بحسن الوجـه وكان قد جعله بابا من ابواب الحيل على الناس . فكان يبيعه ويعتمـد ان يصيره الى ملك بعض المرودات ومن ينفق عنده الادب ، فاذا حصل في ملكه تشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم ، فكفى الناس امره . وهذا ما يحدثنا به ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان(١٠) حيث يقول : ونذكر من وقائعه ما يستظرف ، فمن ذلك : انه كان له غـلام اسمه نسيم فباعه فاشتراه ابو الفضل الحسن بن وهب ، الكاتب ، ثـم ان البحتري ندم على بيعه ، وتشبعته نفسه فكان يعمل فيه الشعر ، ويذكر انـه خدع ، وان بيعه لم يكن من مراده فمن ذلك قوله .

انســيم هل للدهـر وعـــد صـــادق

فيمـــا يؤملـــه المحـــب الوامـــق

مالـــى فقـــدت في المنـــام ولـــم تـــزل

عـــون المشـــوق اذا جفـــاه الشـــائق

أمنعـــت انـــت مـــن الزيـــارة رقبـــة

منهـــم فهـــل منـــع الخيـــال الطـــارق

(١٠) ص ٧٩ ج : ٥ .

اليـــوم جـاز لـي الهـوى مقداره

في اهلـــه وعلمـت أنـي عاشـــق

فليهنـــأ الحسـن بـن وهب أنـه

يلقـى احبتـه ونحـن تفـارق

ولـه فيــه اشعار كثيرة :

البحتري واحمد بن علي الاسكافي :

جاء في مقدمة كتاب الحماسة للبحتري : انه قدم النيل(11) على احمد بن علي الاسكافي مادحا له ، فلم يثبه ثوابا يرضاه بعد ان طالت مدتـــه فهجاه بقصيدته التي يقول فيها :

مـا كسبنا مـن احمـد بـن علـي

ومـن النيـل غـير حمـى النيـل

وظـلال مـن وخشـران سـعى

طلبـى النيـل عنـد غـير منيـل

يـا أبـا الصقر كـم يدلك عنـدي

ذلت تعرض في المكرمـات وطـول

كشف والمقام في عقب يـأس

لا فيـه او شـفاء الغليـل

اكفني دقـة اللئام بتخفيفك ما آد مـن خراجي الثقيل

وهجاه بقصيدة اخرى اولها :

قصة النيـل فاسمعوها عجابـه

ان في مثلهـا تطـول الخطابـة

---

(11) النيل ناحية تابعة الى محافظة بابل في العراق وتسمى الان ناحية المحاويل والنيل نهر متفرع من الفرات يسمى المحاويل الان والنيل قد حفره الحجاج وسماه بنيل مصر .

ادعى التل فرقتان تلاحوا

آل عبد الاعلى وآل ثوابه

حكم العادل الجنيدي فيهم

بصواب فلا عدمنا صوابه

احفروا التل يابني عبد الاعلى

وأثيروا صخوره وترابه

ان وجدتم فيه شبا! ابيكم

كنتم دون غيركم اربابه

او وجدتم محاجما ان حفرتم

زال شك العصابة المرتابيه

فبدت جونة من الخوص فيها

آلية الشيخ وهو جد لبابه

خالد لا سقى الاله صداه

فبنوه اللئام شانوا الكتابة

فجمع الى هجائه هجاء ابي ثوابه ، فبلغ ذلك احمد بن ثوابه ، فبعث اليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فرده اليه ، وقال : قدا سلفتكم اساءة لايجوز معها قبول رفدكم ، فكتب اليه ، اما الاساءة فمغفوره ، واما المعذرة فمشكوره ، والحسنات يذهبن السيئات ، وما يأسو جراحك مثل يدك ، وقد رددت اليك ما رددته على واضعفته ، فأن تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا ، وان لم تفعل احتملنا وصبرنا ، فقبل بما بعث به ، وكتب اليه : كلامك والله احسن من شعري ، وقد اسلفتني ما اخجلني ، وحملتنى ما اثقلنى ، وسيأتيك ثنائي ، ثم غدا اليه بقصيدة اولها :

ظلال لها ماذا أرادت الى الصد

ونحن وقوف من فراق على حد

مزاولـــة ان تخلـــط الســـود بالقلـــى
ومحرمـــة ان تلحـــق القـــوب بالبعـد

رأت لمــة علـى بياضهـــا سوادهـــا
تعاقـــب مبيـــض عليهـــا ومســـود

فـهـلا تسبـالا عـن هجرها في هجرهـا
تجنـى الصبر يسقي امره من جنى الشهد

ولا تعجبـا مـن نيــل دعـد بنيلهـــا
وفي الثغـر الاغلى المجـل مثـن كدعـد

أضـــن اخــــلاء وضــــن أحبــــه
فـلا خلـة تصفى ولا خلة تهدي

يقـــول فيهـــا

وجيـــل اشتياق

الى اقويسنة النعمان والبيد بالفرد

الى سابق لا يلحق القوم شأوه

بسليمى ولا يهتدي منه الى قصد

السلمى ابيض الاخشلاق

من الدهر الا عن جدى منه او رفد

جديـر اذا مازرتـه عن جنابة
وان طـال عهـد ان يكـون علـى العهـد

وان انهما اهـتديت القريض مجازيـا
فلـــن يوكـل المهـدى اليـه ولا المهدى

مزايـــدة منـــى ومثلـــه لوكلتـــا
الـــى امـــد دانـــى النصيــب من البعيد

تشـذب مـن يعطـي الرغائـب دونـه
وبـان بـه مـا بـان بالكوكب السعد
فمـن أيـن جئنـا جمـة من عطائـه
وردنـا وسـير العيس خمس الـى الـورد
بغـض عـن المرفـوع مـن درجاتـه
وان زيد في سلطان ذي تـدراء نجـد(١٢)
ويخشـى شـذاه وهـو غـير مسلط
وقـد يتوقـى السيـف والسيف في الغمد
اذا قارعـوه عن على الامـر قارعـوا
صـليب الصـفا مـن دونهـا خشن الحد

ولم يزل ابن توابه يصله بعد ذلك ، ويتابع بره لديه ، حتى افترق(١٣) .

« البحتري وطاهر بن محمد الهاشمي »

بالرغم مما كان يتصف به البحتري من البخل والتقتير والتضييق على اخيه وخادمه بل وبالحقيقة على نفسه فأنه صاحب مرؤه وانصاف وان القصة التالية التي يحدثنا بها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان(١٤) تبين لنا بوضوح مرؤته وانصافه واليك ما يقوله : ومن اخباره انه كان بحاب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمي ، مات أبوه وخلف له مقدار مائة الف دينار ، فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله ، فقصده البحتري من العـراق ، فلما وصل الى حلب قيل له : انه قد قعد في بيته لديون ركبته ، فاغتم البحتري

(١٢) التدرا : المدافع ذو العزه والمنعه . النجد . الشجاع الماضي فيما يعجز غيره السريع الاجابة الى مادعى اليه .
(١٣) مقدمة كتاب الحماسة بقلم الاستاذ كمال مصطفى ص ١١ .
(١٤) ج : ٥ ص ٧٩ و ٨٠ .

لذلك غما شديدا ، وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه ، فلما وصلته ووقف عليها بكى ، ودعا بغلام له ، وقال له : بع داري ، فقال له ، اتبيع دارك ونبقى على رؤوس الناس ، فقال ، لابد من بيعها ، فباعها بثلثمائة دينار ، فأخذ صرة وربط فيها مائة دينار ، وانفذها الى البحتري ، وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الابيات .

لو يكون الحباء حسب الذي انست لدينا به محل وأهل

لحثيت اللجين والدر والياقوت

حثوا وكان ذاك يقل

والاديب الاريب يسمح بالعذر

اذا قصر الصديق المقل

فلما وصلت الرقعة الى البحتري رد الدنانير وكتب اليه :

بأبي أنت والله للبر أهل

والمساعي بعد وسعيك قبل

والنوال القليل يكثر ان شاء

مرجيك والكثير يقل

غير أني رددت برك اذ كان

ربا منك ، والربا لا يحل

واذا ما جزيت شعرا بشعر

قضي الحق والدنانير فضل

فلما عادت الدنانير اليه حل الصرة ، وضم اليها خمسين دينارا أخرى ، وحلف أنه لايردها عليه ، وسيرها ، فلما وصلت الى البحتري نشأ يقول :

شكرتك ان الشكر للعبد نعمة

ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكل زمان واحد يقتدي به

وهذا زمان انت لاشك واحده

« البحتري والموصل »

يحدثنا ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان ان البحتري قد اجتاز بالموصل ، وقيل : برأس العين ، ومرض بها مرضا شديدا ، وكان الطبيب يختلف اليه ويداويه ، فوصف له يوما (مزورة) ولم يكن عنده من يخدمه سوى غلامه ، فقال للغلام : اصنع هذه (المزورة) وكان بعض رؤساء البلد عنده حاضرا ، وقد جاء يعوده ، فقال ذلك الرئيس : هذا الغلام ما يحسن طبخا ، وعندي طباخ من نعته وصنعته ، وبالغ في حسن صنعته ، فترك الغلام عملها اعتمادا على ذلك الرئيس ، وقعد البحتري ينتظرها ، واشتغل الرئيس عنها ، ونسى امرها ، فلما ابطأت عنه وفات وقت وصولها اليه ، فكتب الى الرئيس :

وجدت وعدك زورا في مزورة

حلفت مجتهدا احكام طاهيها

فلا شفى الله من يرجو الشفاء بها

ولا علت كف ملق كفه فيها

فاحبس رسولك عن ان يجيء بها

فقد حبست رسولى عن تقاضيها

« البحتري والمعري »

كان ابو العلاء معجبا بالبحتري ويصفه بانه الشاعر وقد ذكرت كتب الادب بأنه قد شرح ديوانه وسماه بعبث الوليد وانه من الكتب المفقودة . ولكثرة حبه له استشهد بقول كان قد قاله البحتري وقد بقى اهل الادب

يستفسرون عن قول ابى العلاء المعرى وهذا ابن خلكان ينقل لنا هـذه القصة ويشرحها فيقول : واهل الادب كثيرا مايسألون عن قول ابى العلاء المعري .

وقال الوليد : النبع ليس بمثمر
واخطأ سرب الوحش من ثمر النبع

فيقولون من وليد المذكور ؟ واين من قال النبع ليس بمثمر ؟ ولقد سألنى عنه جماعة كثيرة ، والمراد بالوليد هو البحتري المذكور وله قصيدة طويلة يقول فيها :

عيرتني سجال العدم جاهلة
والنبع عريان ما في فرعه ثمر

وهذا البيت هو المشار اليه في بيت المعرى ، وانما ذكرت هذا لانه فائدة تستفاد .

« البحتري بين انصاره وخصومه »

يحدثنا عن هذه الخصومة التي تعد بابا كبيرا من ابواب النقد الادبي الامدى في كتابه (الموازنة) وانى سأقتصر عن اقتباس بعضها لان ذكر ما بتمامها وتفصيلها يحتاج الى اطالة لانرى مجالا لذكرها واليك هذه المناظرة .

١ ـ صاحب ابى تمام : كيف يجوز لقائل ان يقول ان البحتري اشعر من ابي تمام وعن ابي تمام أخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه اشقى حتى قيل الطائي الاكبر والطائي الاصغر .

٢ ـ صاحب البحتري : اما الصحبة له فما صحبه ولا تتلحذ له ولا روى ذلك احد عنه ولا نقله ولا رأى قط أنه محتاج اليه ودليل ذلك الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند ابي سعيد محمد بن يوسف

الثغري وقد دخل عليه البحتري بقصيدته التي اولها :

أأفاق صب من هوى فأفيقا •

وأبو تمام حاضر فلما انشدها على ابو تمام منها ابياتاً كثيرة فلما فرغ من الانشاد أقبل ابو تمام على محمد بن يوسف فقال أيها الامير ما ظننت أن احدا يقدم على ان يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه حتى أتى على ابيات كثيرة من القصيدة فبهت البحتري ورأى أبو تمام الانكار في وجه ابي سعيد فحينئذ قال له ابو تمام أيها الامير والله ما الشعر الاله وانه احسن فيه الاحسان كله وأقبل يقرظه ويصف معانيه ويذكر محاسنه ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى اضعف له الجائزة • فمن كان يقول مثل هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه قبل ان يعرف ابا تمام جدير به ان يستغنى عن ان يصحبه او يتتلمذ له او لغيره من الشعراء على اني لا انكر أنه استعار بعض معاني ابي تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعره وليس ذلك بمقتضى ان يكون ابو تمام استاذ البحتري ولا يمانع ان يكون البحتري اشعر من ابي تمام فهذا كثير قد أخذ من جميل واستقى من معانيه وما رأينا أن احدا قال ان جميلا اشعر منه بل هو عند اهل العلم بالشعر والرواية اشعر من جميل•

٣ ــ صاحب ابي تمام : ان البحتري نفسه يعترف لن ابا تمام اشعر منه فقد سئل عنه وعن ابي تمام فقال ان جيده خير من جيدي وجيد ابي تمام كثير •

٤ ــ صاحب البحتري : ان كان هذا الخبر صحيحا فهو للبحتري لا عليه لان قوله هذا يدل على ان شعر ابي تمام كثير الاختلاف وشعر شديد الاستواء والمستوى الشعري اولى بالتقدمه من المختلف وقد اجتمعنا

نحن واتم على ان ابا تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا وان البحتري يعلو بتوسط ولا يسقط ومن لايسقط ولا يسف افضل ممن يسقط ويسف .

٥ ـ صاحب ابي تمام : ان ابا تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اولا وأماما متبوعا وشهر به حتى قيل هذا مذهب ابي تمام وطريقة ابي تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا أثره وهي فضيلة عرى عن مثلها البحتري .

٦ ـ صاحب البحتري : ليس الامر على ماوصفت وليس ابو تمام صاحب هذا المذهب ولا بأول فيه ولا سابق اليه بل سلك فيه سبيل مسلم بن الوليد واحتذى حذوه وأفرط في ذلك واسرف حتى زال عن النهج المعروف والسنن المألوف بل ان مسلما غير مبتدع له ولكنه رأى هذه الانواع التي وقع عليها اسم البديع متفرقة في اشعار المتقدمين فقصدها واكثر في شعره منها ولكنه حرص على ان يضعها في مواضعها ولم يسلم مع ذلك من الطعن عليه حتى قيل انه اول من افسد الشعر فجاء ابو تمام على أثره واستحسن مذهبه واحب ان يجعل كل بيت من شعره غير خال من هذه الاصناف فسلك طريقا وعرا واستكره الالفاظ والمعانى استكراها فقد شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه فقد سقط الان احتجاجكم باختراع ابي تمام لهذا المذهب ومسبقه اليه وكل ما في المسألة أنه استكثر منه وافرط فكان افراطه فيه من اعظم ذنوبه واكبر معايبه . اما البحتري فانه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعروفة على كثرة ما جاء في شعره من الاستعاره والتجنيس والمطابقة فكان انفراده بحسن العبارة وحلاوة اللفظ وصحة المعنى والبعد عن التكلف والتعمل سببا في اجماع الناس على استحسان شعره واستجادته وتداوله ونفاق شعر الشاعر دليل على علو مكانته واضطلاعه بما يلائم الاذواق ويلامس القلوب من اساليب الكلام ومناهجه .

٧ ــ صاحب ابي تمام : انما اعرض عن شعر ابي تمام من لم يفهمه لدقــة معانيه وقصور فهمه عنه ، اما النقاد والعلماء فقد فهموه وعرفوا قدره واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن بعدها عليه .

٨ ــ صاحب البحتري ، لا يستطيع احد ان ينكر منزلة ابن الاعرابي واحمد بن يحي الشيباني ودعبل بن الخزاعي من الشعر ومنزلتهم من العلــم بكلام العرب ، وقد علمتم مذهبهم في ابي تمام وازد راءهم بشعره حتى قال دعبل ان ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح ، وقال ما جعل الله ابا تمام من الشعراء بل شعره بالخطب والكلام المنشور اشبه منه بالشعر ، وقال ابن الاعرابى في شعر ابي تمام ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل : وهذا محمد بن يزيد المبرد ما علمناه دون له كبير شيء .

٩ ــ صاحب ابي تمام : ان دعبلا كان يشنأ ابا تمام ويحسده على مــا هــو معروف ومشهور ، فلا يقبل قول شاعر في شاعر ، واما ابن الاعــرابى فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه كان يرد عليه من معانيه ما لايفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شيء منها يأنف ان يقول لا ادرى فيعدل الى الطعن عليه ،ولا مانع ان يكون جميع من تذكرونه علــى هــذا القياس .

١٠ ــ صاحب البحتري : لا عيب على ابن الاعرابى في طعنه على شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المخرجه للكلام الى الخطأ والاحالة . والعيب في ذلك يلحق ابا تمام اذا عدل عن المحجه الى طريقة يجهلها ابن الاعرابى وامثاله من المضطلعين بالسليقه العربية .

١١ ــ صاحب ابي تمام : ان العلم في شعر ابي تمام أظهر منه في شعر البحتري والشاعر العالم افضل من الشاعر غير العالم .

١٢ ــ صاحب البحتري : كان الخليل بن احمد عالما شاعرا ، وكان الاصمعي

شاعرا عالما ، وكان الكسائي كذلك ، وكان خلف بن حيان الاحمر اشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء والتجويد في الشعر ليست عانه العلم والشائع المشهور أن شعر العلماء دون الشعراء وقد كان ابو تمام يعمل على ان يدل في شعره على علمه باللغة وكلام العرب .

أما البحتري فلم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان يعده فضيله ولا يراه علما . بل كان يرى انه شاعر لابد له أن يقرب شعره من فهم سامعه فلا يأتي بالغريب الا ان يتفق له في اللفظة بعد اللفظة في موضعه من غير طلب ولا حرص عليه . على ان هذا العلم الذي تؤثرون به ابا تمام لم ينفعه فقد كان يلحن في شعره لحنا يضيق العذر فيه ولا يجد المتأول له مخرجا منه الا بالحيلة والتحمل الشديد .

١٣ ــ صاحب أبي تمام : لسنا ننكر ان يكون صاحبنا قد وهم في بعض شعره وعدل عن الوجه لاوضح في كثير من معانيه ، وغير غريب على فكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ان يلحقه الكلال في لاوقات والزلل في الاحيان بل من الواجب لمن احسن احسانه ان يسامح في سهوة ويتجاوز له عن حطئه وما رأينا احدا من شعراء الجاهلية سلم من الطعن ولا من اخذ الرواة عليه الغلط والعيب وكذلك ما اخذته الرواة على المحدثين المتأخرين من الغلط الخطأ واللحن لشهر من ان يحتاج الى ان نبرهنه او تدل عليه ، وما كان احد من اولئك ولا هؤلاء مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفا احسانهم على اساءتهم وتجويدهم على تقصيرهم .

١٤ ــ صاحب البحتري : أما اخذ السهو والغلط على من أخذ عليهم من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة اما أبو تمام فلا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات يكون فيها مفسدا او

محيلا او عادلا عن السنن او مستعيرا استعارة قبيحة او مخطئا المعنى بطلب الطباق والتجنيس او مبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لايفهم ولا يوجد له مخرج .

١٥ ــ صاحب ابي تمام : انكم تنكرون على ابي تمام من الفضل ما يعترف به البحتري نفسه فقد رثاه بعد موته رثاء اعترف فيه له بالسبق وفضله على شعراء عصره .

١٦ ــ صاحب البحتري : لم لا يفعل البحتري ذلك وقد كان هو وابو تمام صديقين متحابين ، واخوين متصافين ، يجمعهما الطالب والنسب والمكتسب ، فليس بمنكر ولا غريب ان يشهد احدهما لصاحبه بالفضل ويصفه باحسن ما فيه وينحله ما لبس فيه على أن الميت خاصة يعطى في تأبينه من التفريظ والوصف وجميل الذكر اضعاف ما كان يستحقه .

١٧ ــ صاحب ابي تمام : كيفما كان الامر لا تستطيعون ان تدفعوا ما اجمع عليه الرواة والعلماء أن جيد ابي تمام لا يتعلق به جيد امثاله واذا كان جيده بهذه المكانه وكان من الممكن اغفال رديئه واطراحه كأنه لم يقله فلا يبقى ريب في أنه اشعر شعراء عصره والبحتري واحد منهم .

١٨ ــ صاحب البحتري : انما صار جيد ابي تمام موصوفا ومذكورا لندرته ووقوعه في تضاعف الرديء فيكون له رونق وماء عند المقابلة بينه وبين ما يليه وجيد البحتري كجيد ابي تمام الا أنه يقع في جيد مثله او متوسط فلا يفاجيء النفس منه ما يفاجئها من جيد صاحبه .

شعر البحتري :

ومحدثنا عن شاعريته الاستاذ كمال مصطفى في مقدمة كتاب الحماسة للبحتري الذي الفه وجمعه على غرار كتاب الحماسة لابي تمام وهذا نص ما يقوله :

البحتري شاعر فاضل ، حسن المذهب ، نقي الكلام مطبوع ، ترسم خطو أبي تمام في الشعر ، ومضى على أثره في البديع الا أنه اجاد في سبك اللفظ على المعنى « واراد ان يشعر فغنى » كما قال فيه ابن الاثير ، واستمد معانيه من وحذ الخيال وجمال الطبيعة ، لامن قضايا العلم والمنطق ، فأعاد للشعر ما ذهب من بهجته وروعته .

قال ابن خلكان :

« يقال انه قيل لابي العلاء المعرى : اي الثلاثة اشعر : ابو تمام ام البحتري ام المتنبي فقال : المتنبي وابو تمام حكمان وانما الشاعر البحتري . ولعمري ما انصفه ابن الرومي في قوله :

والفتى البحتري يسرق ما قال
ابن اوس في المدح والتشبيب
كل بيت يجود معناه
فمعناه لابن اوس حبيب

نعيت والله الى نفسي

انشد البحتري ابا تمام يوما شيئا من شعره فتمثل ببيت أوس بن حجر :

اذا مقرم منا ذرا حد نابه
تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال : نعيت والله الى نفسي ، فقال اعيذك بالله من هذا القول ، فقال : ان عمرى لن يطول وقد نشأ في طئى مثلك ، اما علمت ان خالد بن صفوان رأى شبيب بن شبه وهو من رهطه يتكلم فقال : يابنى لقد نعى الى نفسي احسانك في كلامك ، لانا اهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الا مات من

قبله ، فقال : بل يبقيك الله ويجعلني فداءك ومات ابو تمام بعد سنة(١٥) » .

ظلموك والله ما وفوك حقك :

حدث البحتري قال : قال ابو تمام : بلغني ان بنى حميد اعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به فأنشدني ، فانشدته بعض ما قلته فيهم ، فقال لي : كم أعطوك؟ فقلت كذا وكذا ، فقال ظلموك والله ما وفوك حقك ، فلم استكثر ما دفعوه اليك ، والله لبيت منها خير مما أخذت ، ثم قال : لعمرى لقــد استكثرت واستكثر لك لما مات الناس ، وذهب الكرام ، وغاضت المكارم ، فكسدت سوق الادب ، انت والله يا بنى امير الشعراء غدا بعدي :

فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه ، وقلت له : والله لهذا القول اسـر لقلبى واقوى لنفسي ، مما وصل الي من القوم(١٦) .

طريقــة البحتري الشعريــة :

كانت للبحتري طريقة خاصة في الجزاله والعذوبة والفصاحة امتاز بهـا من استاذه ومدره ، نهجها معاصروه ومن جاء بعدهم مـن الشعراء وعرفت بطريقة اهل الشام . وقد تصرف البحتري في فنون الشعر الا في الهجاء فـان بضاعته فيه نزره وجيدة منه قليل ، وكان ابنه ابو الغوث يزعم ان السبب في قلة بضاعته في هذا الفن انه لما حضره الموت دعابه وقال له : اجمع كل شيء قلته في الهجاء ، ففعل ، فأمره باحراقه ، ثم قال له يابنى ، هذا قلته في وقت فشفيت به غنظى . وكافأت به قبيحا فعل بى ، وقد انقضى اربى في ذلك ، وان بقى رؤى ، وللناس اعقاب يورثونهم العداوة والمودة ، واخشى ان يعــود عليك من هذا شيء في نفسك او معاشك لا فائدة لك ولا لى منه ، قـال : فعلمت أنه قد نصحنى واشفق على ، فأحرقته ، والذي وجدناه وبقى في أيدى

(١٥) وفيات الاعيان لابن خلكان ج : ٥ ص ٧٦ .
(١٦) مقدمة كتاب الحماسة للبحترى تحقيق الاستاذ كمال مصطفى .

الناس من هجائه ، اكثره ساقط لايشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه وينبىء بركاكته ، وغثاثة الفاظه عن قلة حظه في الهجاء .

لم يسلم شعر البحتري من الساقط الغث لكثرته ، وانما يمتاز بالاجادة في المدح والقصد فيه ، والقدرة على تصوير اخلاق الممدوح ، والابداع في وصف القصور البديعة والابنية العجيبة ، كوصفه ايوان كسرى وبركة المتوكل ، وقصر المعتز بالله ، وقصائده تكاد لا تخلو من افتتاح بالغزل(١٧).

ويقول المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي(١٨) عن البحتري انه افضل الشعراء حسن ديباجة وجمال اسلوب واحسن ما يجيد فيه الوصف والوصف لب الشاعرية وجوهرها .

وقد عقد الامدى في كتابه الموازنة(١٩) فصلا بحث فيه عن معايب البحتري نقتطف قسما منها غير ملتزمين الترتيب والتسلسل الذي اورده الامدي الذي قال : وهذا الان ما اخطأ فيه البحتري من المعاني .

١ ـ قال البحتري :

ذنب كما سحب الرداء يذب عن
عرف وعرف كالقناع المسبل

هذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس ـ اذا مس الارض ـ كان عيبا فكيف اذا سحبه ، وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس :

---

(١٧) مقدمة كتاب الحماسة للبحترى تحقيق الاستاذ كمال مصطفى .
(١٨) مختارات المنفلوطي ص ١٣ .
(١٩) ص ٣١٢ .

بضاف فويق الارض ليس باعزل

فقال « فويق الارض » اي : فوق الارض بقليل .

٢ ـ وقال البحتري :

هجرتنا يقظى وكادت على
عاداتها في الصدود تهجرو سنى

وهذا عندي غلط لان خيالها يتمثل له في كل احوالها ، يقضى كانت اووسنى .

٣ ـ وقال البحتري في مدح المعتز بالله :

لا العذل يروعه ولا التسعنيف عن كرم يصده .

وهذا عندي من لهجن ما مدح به خليفة واقبحه ، ومن ذا يعنفة الخليفة او يصده ؟ ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح .

٤ ـ وقال البحتري :

شرطى الانصاف ان قيل اشبترط
وصديقي من اذا قال قسط

وكان يجب ان يقول « اقسط » اى : عدل وقسط ـ بغير الف ـ معناه جار قال الله تبارك وتعالى : (واما القاسطون فكأنوا لجهنم حطبا) وقال : (ان الله يحب المقسطين) .

٥ ـ وقال البحتري :

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها
وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

هذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ، لانه قال (قد ادنى خطاها كلالها) اى : قرب من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار التي تعرض لان يشفيه سؤالها ، وآنما وقف لاعياء المطى .

٦ ـ وقال البحتري :

غريب السجايا ما تزال عقولنا
مدلهة في خلة من خلاله
اذا معشر صانو السماح تعسفت
به همة مجنونة في ابتذاله

قوله (اذا معشر صانو السماح) معنى ردىء ، لان البخيل ليس من اهل السماح فيكون له سماح يصونه ، وسواء عليه قال : صانو السماح ، او صانوا السخاء ، او صانوا الجود ، او صانوا الكرام ، فان هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئا ، وهو منهم عيد فكيف يصونونه ؟

٧ ـ وما عيب عليه من التعسف والتعقيد في اللفظ قوله :

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلى
الى غيرها شيء سواها مميلها

وكان هض الناس يرى انه لاحق ، ويقول : انما اراد فتى لم يمل بنفسه عن العلى شيء مميل نفس سواه ، اى : ما يميل النفس عن المعالى من اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ، ونحو هذا من الاشياء الشاغلة عن اسؤدد ، فقدم (سواه) وكنى عن النفس بقوله (مميلها) بعد ان حذفها قال : وذلك غير جائز ، لانك اذا قلت (لن يضرب هامة عمرو) فقلت : لن يضرب هامة عمرو واحد غير ضاربها ، وجعلت الهاء في (ضاربها) كناية عن الهامه لتقدمها جاز ، الا ان البصريين من النحويين يقولون « هامة غير ضاربها

هو » كما انه لو قال (شيء نفس سواء مميلها هو) جاز فان فصلت الاضافة واسقطت هامة وتدمت غير فقلت (لن يضرب هدمة عمرو واحد غير ضاربها) لم يجز لا سقاطك الهامة التي كفايتها الهاء في قولك (ضاربها) ولا تجوز الكناية عن غير مذكور مثل هذا ، فكذلك لايجوز في البيت « شيء سواه مميلها » وهو يريد شيء نفس سواء مميلها ، لان الهاء في قوله (مميلها) كناية عن النفس ، فلا يجوز اسقاط النفس •

٨ ـ ومن رديء التجنيس وقبيحه للبحتري قوله :

حييت بل سقيت من معهودة
عهدى غدت مهجورة ما تعهد

يخاطب الدمن ، اى : عهدى بها معمورة معهودة فقدت معهودة ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهد ، ويكون قوله « ما تعهد » اى : قد نسيت وهذا شبه تجنيسات ابي تمام •

ونكتفى بهذا القدر كما قطعنا على نفسنا العهد خشية الاطالة والاطالة فيها ما فيها من الملاله والفجر •

ومن شعره الوصفى الذي يصف فيه القصر الكامل أحد قصور سامراء التي عفيت ولم يبق منها الا اسمها وهو احد القصور التي بناها المعتز بالله واليك ما يقوله مخاطبا المعتز :

لما كملت روية وعزيمة
اعملت رأيك في ابتناء الكامل
وغدوت من بين الملوك موقعا
منه لايمن حلة ومنازل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقه
من منظر خطر المزلة هائل

رفعت لمخترق الرياح سموكه
وزهت عجائب حسنه المتخايل
وكأن حيطان الزجاج بجوه
لجج يمجن على جنوب سواحل
وكأن تفويف الرخام اذا التقى
تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر
ومسير ومقارب ومشاكل
لبست من الذهب الصقيل سقوفه
نورا يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذى رونق
متلهب العالي انيق السافل
وكأنما نشرت على بستانه
سيراء وشي اليمنة المتواصل
اغنته دجلة اذ تلاحق فيضها
عن صوب منسجم الرباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت
اشجاره من حيل وحوامل
مشي العذارى الغيد رحن عشية
من بين حالية اليدين وعاطل
والخير يجمع والنشاط لمجلس
عالي المحل من السماحة آهل
وافيته والورد في وقت معا
ونزلت فيه مع الربيع النازل

وغـــدا بنـــوروز عليـــك مبـــارك

تحويـــل عـــام اثـــر عـــام حائـــل

مليتـــه وعمـــرت في بجوحســـة

مـــن دار ملكك الف حـــول كامـــل

الحق يقل ان هذا هو السحر الحلال واللؤلؤ المنثور والذهب الابريز الذي يتدفق امـام العقل •

وقال في الاعتذار والاستعطاف :

قـــد ينـــاك مـــن اى خطـــب عـــرا

ونائبـــة اوشـــكت ان تنوبـــا

وان كـــان رأيـــك قـــد حـــال في

فلقيتنـــي بعـــد بشـــر قطوبـــا

أكـذب ظنى بأنـى قـد سخطـت وما كنـت اعهد ظنى كذوبا

ولـــو لـــم تكـــن ســـاخطا لم اكـــن

اذم الزمـــان واشـــكو الخطوبـــا

ايصـبح وردى فـي ساحتيك طرقـا ومرعاى محلا جديبا

ومـا كـــان ســـخطك الا الفـــراق

افـــاض الدمـــوع واشـــجى القلوبـــا

ولـو كنـت اعـــرف ذنبـــا لمـــا كـــان

خالجنـــي الشـــك في أن اتوبـــا

ســـاصبر حتـــى الاقـــى رضـــاك

امـــا بعيـــدا وامـــا قريبـــا

اراقب رأيك حتى يصح
وانظر عطفك حتى يتوبا

وقال يمدح المتوكل ويهنئه بعيد الفطر :

بالبر صمت وانت افضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عينا انه
يوم اغر من الزمان مشتهر
اظهرت عز الملك فيه بجحفل
لجب يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
عددا يسير بها العديد الاكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدعى
والبيض تلمع والاسنة تزهر
والارض خاشعة تميد بثقلها
والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس مانعة توقد بالضحى
طورا ويطفئها العجاج الاكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت
تلك الدجى وانجاب ذاك العيثر
ورنا اليك الناظرون فاصبع
يوما اليك بها وعين تنظر
يجدون نعمتك التي فازوا بها
من انعم الله التي لاتكفر

ذكـروا بطلعتـك النبـي فهللـوا
لمـا طلعـت مـن الصفوف وكبروا
حتـى انتهيت الـى المصلى لابسا
نـور الهـدى يبدو عليـك ويظهـر
ومشـيت مشـية خاشـع متواضـع
لله لايزهـى ولا يتكبـر
فلـو أن مشـتاقا تكلـف غيرمـا
في وسـعه لسـعى اليـك المنبـر
ابديـت مـن فصـل الخطـاب بحكمـه
تنبـى عـن الحـق المبـين وتخبر
ووقعـت في بـرد النبـي مذكـرا
باللـه تنـذر تـارة وتبشـر

ومن قوله في الطيف :

اذا مـا الكـرى اهـدى الى خيالـه
شـفى قربـه التبريـح او نقـع الصدى
اذا انتز عنـه مـن يـدى اتباهـة
حسـبت جيبـا راح منـى او غـدا
ولـم ار مثلينـا ولا مثـل شـأننا
نعـذب ايقاظـا وننعـم هجـدا

وقال يصف بركة المتوكل :

كثير من الناس من يعتقد ان بركة المتوكل هي البركة التي تقع قـرب دار العامة ولكن الحقيقة ان البركة التي يصفها البحتري في قصيدتـه الاتية هي التي تقع جنوب سامراء في منطقة تسمى (المشرحات) اذ أن الوصـف

الذي يصفها البحتري فيها ينطبق عليها تمام الانطباق الى وقتنا هـــذا واليك قـوله :

ميلـوا الـــى الـدار مـن ليلـى نحييهـا
نعـم وتسـألها عـن بعض اهليهـــا
ياد ،نــــه جاذبتهـا الريــح بهجتهـا
تبيـت نشرهـا طـورا وتطويهـا
لازلـت في حلـل للخـير ضافيـة
ينيرهـا البـرق احيانـا ويسـديها
تـروح بالوابـل الدانــي روائحهـا
علـى ربوعــك او تغـدو غواديهـا
لئن النحيلـــة لـم تنعـم لسـائلها
يـوم الكتيـب ولـم تسـمع لداعيهـا
مـــرت تأود في قـرب وفي بعـد
فالهجـر يبعدهـا والـدار تدنيهـا
لـولا سـواء عـذار ليس يسلمني
الـى النهـى لعـدت نفسي عواديها
قـد اطـرق الغادة البيضـاء معتـذرا
علـى الشباب فنصيني وأصبيهـا
في ليلـة مـا ينـال الصـبح آخرهـا
علقـت بالـراح أسقاهـا واسـقيها
عاطيتهـا غضـة الاطـراف مرهفـة
شـربت مـن يدهـا خمـرا ومن فيهـا
يـا مـن رأى البركـة الحسـناء رؤيتهـا
والانسـات اذا لاحـت مغانيهـا

بحسبها انها في فضل رتبتها
تعد واحدة والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغيرى تنافسها
في الحسن طورا واطوارا تباهيها
اما رأت كالئ الاسلام يكلؤها
من ان تعاب وباني المجد يبنيها
كأن جن سليمان الذين ولوا
ابداعها فادقوا في معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرض
قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا
مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس احيانا يضاحكها
وريق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها
ليلا حسبت سماء ركبت
لا يبلغ السمك المحصور غايتها
لبعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيه أوساط مجنحة
كالطير تنقض في جو خوافيها

لهن صحن رحيب في اسافلها
اذا انحططن وبهو في اعاليها

صور الى صورة الدلفين يؤنسها
منه انزداء بعينيه يوازيها

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها
عن السحائب منحلا عزا ليها

كأنها حين لجت في تدفقها
يد الخليفة لما سال واديها

وزادها رتبة من بعد رتبتها
أن اسمه يوم يدعى من اساميها
محفوفة برياض لا تزال ترى
ريش الطواويس تحكيه ويحكيها

ودكتين كمثل الشعرتين غدت
احداهما بأزا الاخرى تساميها

اذا مساعى امير المؤمنين بدت
للواصفين فلا وصف يدانيها

ان الخلافة لما اهتز منبرها
بجعفر اعطيت اقصى امانيها

ابدى التواضع لما نالها دعة
عنها ونالته فاختالت به تيها

اذا تحلت له الدنيا بحليتها
رأت محاسنها الدنيا مساويها

ومما قاله البحتري في ذم الزمان(٢٠)

ان الزمان زمان سو
وجميع هذا الخلق بو

فاذا سألتهم ندى
فجوابهم عن ذاك وو

لو يملكون الضوء بخلا لم يكن للخلق ضو

ذهب الكرام بأسرهم
وبقى لنا ليت ولو

وقال في علوه الحلبية(٢١)

كم ليلة فيك بت أسهرها
ولوعة من هواك أضمرها

وحرقة والدموع تطفئها ثم يعود الجوى فيسعرها

يا علو على الزمان يعقبنا
ايام وصل نظل نشكرها

بيضاء رود الشباب قد غمست
في خجل دائبا يعصفرها

جدولة هزها الصبا فشجا
قلبك مسموعها ومنظرها

لا تبعث العود تستعين به
ولا تبيت الاوتار تخفرها

---

(٢٠) ديوانه ص ١ / ص ٤٧ ط : بيروت سنة ١٩١١ م .
(٢١) المصدر السابق ص ٢ / ص ٥٢٦ .

الله جـار لهـا فمـا امتـلات
عينـي الا مـن حيـث ابصرهـا

وقال فيهـا ايضا(٢٢)

يا موعـدا منهـا ترقبتـه
والصـبح فيمـا بيتـا يسـفر
همـت بذ'حتـى اذا قبلـت
نـم عليهـا المسـك والعنبـر
يامزنـة يحتثهـا بـارق
وروضـة انوارهـا تزهـر
مـا انصـف العـاذل في حبكـم
بمثلكـم مـن يبتلـى يصـبر

ومما قاله البحتري في الهجاء

قد قدمنا لك ان البحتري قد جمع ما قاله من شعر في الهجاء واحرقـه خشية ان يلحق اذى بولده ابي الغوث من بعده • وعلى الرغم من هـذه الحكاية الت'ريخية التي اسلفنا ذكرها فان هنالك بعض المقاطيع الشـعرية في ديوانه التي فيها ذكر الهجاء واليك ذلك حيث يقول :

وقال يهجو علي بن الجهم(٢٣)

يا علـى بـل يا ابـا الحسـن
المـالك رق الظريفـة الحسـناء

)٢٣(المصدر السا'بق ج ٢ / ص ٥٣٧ .
(٢٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٣٨ .

اتق الله انت شاعر قيس

لا تكن وصمة على الشعراء

ان اخوانك المقيمين بالامس أتوا للزناء لا للغناء

هبك تستمع الحديث فما علمك بالغمز فيه والايماء

والاشارات بالعيون وبالايدي وأخذ الميعاد للالتقاء

قد لعمري توردوا خطة العذر

وجاء بالسوءة السوءاء

غيرما ناظرين في حرمة الود ولا ذاكرين عهد الاخاء

قطعوا امرهم وانت حمار

موقر من بلادة وغباء

وقال يهجو طماسا وبعث اليه بغلامه في حاجة له فلم يقض الحاجة ولم يبلغ الغلام ما يجب وكان طماس والغلام اعورين .

بالاعورين المعورين أخل بي

أملي وعاودني تمكن ياسي

ومن الضلاله أن رجوت لحاجتي

اخلاص مسعود ورفد طماس

لا يبرح المضاض كحل صحيحتي

رجسين مرذولين في الارجاس

واذا عددت على طماس عيبه

لم أرض الحاظي ولا انفاس

ادنو واقصر عن مداه وانما

ارمي من الملعون في برجاس

هلا ابو الفرج استعار مداعى
اوردنا فيها الى العباس

قمر جلا ظلم الخطوب ضياؤه
عنا وبدر راهن الايناس

لم أنس ما سبقا اليه ولم أكن
ليد الصديق المستماح بناسى

ونبو ضدهما ولست بواجد
عند الكلاب رضى فعل الناس

وقال يعاتب اسماعيل بن شهاب :

هل للندى عدل فيغدد منصفا
من فعل اسماعيله بن شهابه

العارض الثجاج في اخلاقه
والروضة الزهراء في آدابه

ازرى به من غدره بصديقه
وعقوقه لاخيه ما ازرى به

في كل يوم وقفة بفنائه
تخزى الشريف وردة عن بابه

اسمع لغضبان تثبت ساعة
فبداك قبل هجائه بعتابه

الله يسهر في مديحك ليله
متململا وتنام دون توابه

يقضـان ينتخـب الكـلام كأنـه
جيش لديـه يريـد ان يلقـى بـه

فأنـى بـه كالسـيف رقـرق صيقل
مـا بـين قائـم سـنخه وذ بابـه

وحجبتـه حتـى توهـم أنـه
هـاج اتـاك بشـتحه وسـبابه

واذا الفتـى صـحب التباعـد واكتسى
كبـرا علـى فلسـت مـن اصحابه

ولـرب مغـر لى بغيظـك زادنـى
غيظـا بجيئـة قولـه وذهابـه

لـولا الصـفاء وذمـة أعطيتهـا
حـق الوفـاء قضيت مـن آرابـه

وكتب اليه محمد بن على القمى بيت شعر وهو :

هجـرت كـأن الوصـل اعقـب هجـرة
ومـا خلـت وصـلا قبلها يعقب الهجـرا

فأجابـه البحتري :

فتـى مذهـج عفـوا فتـى مذحيج غفرا
لمعتـذر جـاءت اسـاءته تتـرى
ومـن يهـب النيـب الذي سـمحت بـه
يـداك بـلا مـن فلـن يمنـع العـذرا
فـان قلـت بي كبر فمثـل الـذي ارى
علـى النـاس مـن نعمـاك يملأني كبـرا

مواهـــب لى منهـا الغنى فمتـى التقـى
بســاحتها حمـد فلـى حمدهـا طـرا

تضــاف الـى مجـدى وتجـرى الى يدى
فأملكهـا مـالا واملكهـا فخــرا

أتانـى فريض منـك يحـدوه نائـل
فانطقنـى جـودا وافحمنـى شـعرا

واكسـبنى شـغلا عـن الوصل شـاغلا
يعاتبنـى فيـه وتعتبـه هجـرا

فـان كنـت مشـغوفا بقـربى آنسـا
بشـخص فلـم خولتنـى ذلك البـدرا

لئـن كـان اسـعافى بـه منك قبلهـا
وفـاء لقـد كـان انفـرادى بـه عـذرا

ومـا هـو الا درة لـم اجـد لهـا
سـوى جـودك الامسـى اذ برزت بحرا

حملـت عليـه في سـبيل فتـوة
هي الثغر خلف المجد بـل تفضـل الثغـرا

فانـت تصـيب الحمـد حيث تلالات
كواكبـه ان انـت لـم تصب الاجـرا

وجـدت نـداك اليـوم الطـف موقعـا
وقـد كـان لـى خـلا فاصبح لى صـهرا
فـان انا لـم اشـكرك نعماك جاهـدا
فـلا نلـت نعمى بعدهـا توجب الشـكرا

قصرا الصبيح والمليح والبحترى :

ذكرت التاريخ ان المتوكل على الله الخليفة العباسي قد عمر قصورا كثيرة في سامراء وعدت منها قصرى الصبيح والمليح واكتفيت بذكرهما دون وصيفهما ولكن خير من يحفظ لنا وصف هذين القصرين وموقعهما هو الشاعر البحترى الذي يصفها بقصيدته الميمية والتي يمدح فيها المتوكل حيث يقول(٢٤) وقوله نقتصره فيما يتعلق بالقصرين وربما تجاوزنا بعض الشيء لاتمام المعنى :

انما العيش ان تكون الليالي
مفضلات طولا على الايام

قد صنعنا جانب الهواء ولذت
رقة الماء في مزاج المدام

واستتم الصبيح في خير وقت
فهو مغنى أنس ودار مقام

ناظر ، وجهة المليح فلو يستطيع حياه معلنا بالسلام

ألبسا بهجة وقابل ذا ذاك فمن ضاحك ومن بسام

كالمجين لو اطاقا النقاد
افرطا في العناق والالتزام

تنقذ الريح جريها بين قطريسه فتكبو من ونية وسام

مستمد بجدول من عباب الماء كالابيض الصقيل الحسام

واذا ما توسط البركة الحسناء القت عليه صبغ الرخام

---

(٢٤) ديوان البحتري ج ٢ طبع بيروت ١٩١١ .

فتـــراه كأنــــه مـــاء بحــر

يخــدع العـــين وهـــو مـــاء غمــام

والدواليـــب ان يـــدرن ولا ناضح يمشى بىن غـــير النعام

بـــدع انشئت لاولـــى عبـاد الله بالركن والصفا والمتعـام

ان خــير القصــور اصبح مزهوا بكـره العدى لخــير الانــام

جـاور الجعفري وانحـاز شـيد اذ اليـه كالراغـب المعتـام

حلــل مــن منــازل الملك كالانجــم يلمعــن في ســواء الظلام

غــرف مــن بنـــاء دينـــى ودنيـــا

يوجـــب الله فيـــه أجـــر الامـــام

شـــوقتنا الـــى الجنـــان فزدنـــا

فـــي اجتنـــاب الذنـــوب والاثـــام

خاتمـــة البحتري :

يقول الاستاذ محمد محى الدين عبد الحميد في مقدمته على كتـــاب (الموازنة) للامدى : ان البحترى اتصل بكثير من رجالات الدولة ومـدح الكثيرين واكثر مدائحه في امير المؤمنين المتوكل على الله ، ووزيره الفتـح بن خاقان ، وما زال متصلا منهما بسبب يختلف اليهمـا ويمدحهما الى ان قتلا على مشهد منه ، فرجع الى منبج وبقى يختلف الى الرؤساء في بغـداد وسر من رأى ويمدحهم •

وقبل ذكر وفاتـه نذكر قصيدته الى رثى فيها المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان كما هي في ديوانه(٢٥) •

---

(٢٥) طبع بيروت سـنة ١٩١١ ، المصدر السابق •

محل على القاطول اخلق واثره

وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

كأن الصبا توفى نذورا اذا أنبرت

تراوحه اذ بالها وتباكره

ورب زمان ناعم ثم عهده

ترق حواشيه ويورق ناظره

تغير حسن الجعفري وأنسه

وقوض بادى الجعفرى وحاظره

تحمل عنه ساكنوه فجاءة

فعادت سواء دوره ومقابره

اذا نحن زرناه أجد لنا الاسى

وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

ولم أنس وحش القصر اذ ربع سربه

واذ ذعرت اطلاؤه وجاذره

واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت

على عجل استاره وستائره

ووحشته حتى كأن لم ينعم به

أنيس ولم تحسن لعين مناظره

كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة

بشاشتها والملك يشرق زاهره

ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها

وبهجتها والعيش غض مكاسره

فأيــــن الحجـــاب الصعب حيث تمنعت

بهيبتهـــا ابوابـــه ومقاصـــــره

وأيــن عميـــد النـــاس في كـل نوبـــة

تنـــوب وناهـــى الدهـــر فيهـم وآمـره

تخفـــــى لـــه مغتالـــه تحـت غـرة

وأولـــى لمـــن يغتالـــه لـو يجاهـــره

فمـا قاتلـــت عنـــه المنايـا جنـوده

ولا دافعـــت املاكـــه وذخائـــــره

ولا نصـر المعتــز مـن كـــان يرتجـــى

لـــه وعزيـــز القـــوم مـن عـز ناصره

تعـرض نصـل السـيف مـن دون فتحـه

وغيـــب عنـه في خراســـان طاهـــره

ولـو عـــاش ميت او تقـــرب نـــازح

لـــدارت من المكـروه ثـم دوائـــره

ولـو لعبيـــد الله عـــون عليهـــم

لضـــاقت علـــى وراد أمـــر مصادره

حلـــوم أضلتهـــا الامانـــى ومـــدة

تناهـــت وحتـــف او شـــكته مقـادره

ومغتصـــب للقتـــل لـــم يخش رهطـه

ولـــم تحتشـــم اســـبابه وأواصـــره

صـــريع تقاضـاه الســيوف حشاشــة

يجـــود بهـــا والمـوت حمـر أظافـره

أدافع عنه باليدين ولم يكن
ليثني الاعادي اعزل الليل حاسره

ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي
درى الفاتك العجلان كيف أساوره

حرام على الراح بعدك اوارى
دما بدم يجري على الارض مائره

وهل ارتجي ان يطلب الدم واتر
يد الدهر والموتور بالدم واتره

أكان ولي العهد اصغر غدرة
فمن عجب أن ولي العهد غادره

فلا ملي الباقي تراث الذي مضى
ولا حملت ذاك الدعاء منابره

ولا وأل المشكوك فيه ولا نجا
من السيف ناضي السيف غدرا وشاهره

لنعم الدم المسفوح ليلة جعفر
هرقتم وجنح الليل سود دياجره

كأنكم لم تعلموا من وليه
وباغيه تحت المرهفات وثائره

واني لأرجو ان ترد اموركم
الى خلف من شخصه لايغادره
مقلب اراء تخاف أناته
اذا الأخرق العجلان خيفت بوادره

اقول ان ما قاله البحتري في دعواه بهذه القصيدة من انه كان ويتمنى ان سيفه كان بيديه ليعمل بالفاتك ما تعمل يدافع عن الخليفة بيديه لايتفق والقصة المشهورة عنه بانه عندما كان جالسا معه والفتح بن خاقان وانهال عليه جماعة المعتز فرّ هاربا واختفى في دهليز • كما ان رواة الادب يذكرون عنه انه كان جبانا ولم ندر ان دعواه حقيقة ام على قاعدة اعذب الشعر اكذبه • ؟ ثم ان مؤرخي الادب كما مر بك يذكرون بأنه بعد قتل المتوكل كان يتردد على بغداد وسر من رأى ويمدح سراتهما ويرتاد مجالسهم الخاصة والعامة فهل انه وفى بقوله هذا ؟ كما فعل على بن الجهم الذي ستأتيك ان شاء الله ترجمته في محله من هذا الكتاب •

جعفر بن قدامه

مؤلفات البحتري :

ذكر معجم الادباء(٢٦) ان للبحتري مؤلفات وهي : كتاب الحماسة على مثال حماسة ابي تمام ، وكتاب معاني الشعر ، وديوان في مجلدين جمعه ابو بكر الصولي ورتبه على الحروف ، وجمعه ايضا علي بن حمزه الاصبهاني الاخباري ورتبه على الانواع كما صنع بشعر ابي تمام •

اقول وقبل الانتقال الى نهاية المطاف حول ترجمة البحتري ، الموجود الان من ديوانه مجلد مطبوع في بيروت سنة ١٩١١ قام بتحقيقه رشيد عطية • وهذا المجلد يحتوي على جزئين • ولم يكن مرتبا على الحروف او على الانواع كما ان فيه اغلاطا كثيرة • ولم نعرف هل ان هذا الديوان المطبوع هو جميع ما قاله البحتري للجواب عليه نساير ركب ذيل ما هو موجود في ديوانه المطبوع المشار اليه اعلاه بقلم الشارح • قال :

لا اقصد في ما سيلى الاطاحة بمحاسن هذا الديوان والاعراب عن

(٢٦) ج ١٩ ط : الدكتور احمد فريد رفاعي بك ص ٢٥١ •

منزلة البحتري بين الشعراء فان ذلك من شأن المؤرخين والنقده البيانيين فاذا لي ان اعد نفسي مؤرخا لاداب اللغة او ناقدا بيانيا فالمجال اضيق مـن ان يتسع للبحث في هذا الصدد والتبسط فيه الى حد الايضاح الوافي .

ولكن اريد الاشارة الى امرين لابد منهما . الاول ان ديوان البحتري على شهرته في عالم القريض وكثرة المتادبين الحائمين حول شرعته لم يطبع طبعـا صحيحا مضبوطا خاليا من شوائب التحريف والتصحيف . فان طبعة الاستانه وهي الوحيدة التي عثرت عليها لاتكاد تجيل الطرف في صفحة منها حتـى ترى اغلاطا فادحة مسخت المعنى مسخا واخلت بالوزن اخلالا شائنا ومع ذلك لم يسعنى لا اعتمادها في ضبط الديوان وشرحه فرأيت في كثير من الابيات سقطات نبهت الى بعضها في خلال الشرح وصححت البعض الاخر بلا اشارة اليه لانه اكثر من ان يحصى الخ .

اما الامر الثانى الذي اردته في هذا الذيل فهو الجواب على ما جاء في مجلتى المقتبس والمشرق حين تفريضهما الجزء الاول من هذا الديوان . فقد آخذتنى الاولى بحذف طائفه من ابيات الديوان ورأت واجـب الامانـــة كان يقضى بأبقائها . وغريب من مجلة المقتبس وهي في عـداد المجـــلات الراقية ان تعهد الى هذا المآخــذ في حين ان المحذوف من الابيات انما هو مناف للادب في لفظه ومعناه فكان الواجب على تلك المجلة ان تشكرنى على ما فعلت لا ان تحسب ذلك التهذيب سقطه تجيز النقد وتهيب بالصديق الــى المؤاخذه . على ان الديوان سيوضع بين ايدى طلاب المدارس وقد لايحرم من نظرات السيدات ايضا فهل يليق ان يقرأوا فيـــه الفاظا يمجها الذوق وينكرها ادب هذا العصر ؟

اقول ويبين بصورة جليه ان ديوانه المطبوع لم يكن هو جميع شـعره عدا ما قدمناه من انه في مرضه الاخير طلب من ابنه ان يجمع جميع اشـعاره التي قالها في الهجاء وان يحرقها خشية ان يلحق ولده اذى منها بعد وفاته .

فلذا يمكننا ان نقول ان ما بين ايدينا لم يكن هو جميع شعر ابى عباده البحترى ومع هذا فان شعره في الطبقة العليا ويقال له سلاسل الذهب ورووه عنه كثير من العلماء والادباء واكثر فيه من ذكر حلب والتغزل بها وفيه ايضا كثير من التشبيب بعلوه بنت زريعه الحلبيه وكان يهواها كما قدمنا .

وشرح ديوانه ابو العلاء المعرى وسماه عبث الوليد . وقد طرق سمعى ان هذا الشرح لابى العلاء قد طبع مؤخرا ولكن لم اطلع عليه .

وفاتــــه :

يذكر مؤرخو الادب انه قد انتقل في آخر عمره الى الشام ثم رجع الى منبج وتوفى بها بداء السكته سنة (٢٨٤) على الاصح عن ثمانين سنة .

جعفر بن قداحـة

هو جعفر بن قدامه بن زياد الكاتب .

وكان له ولد اسمه قدامه وكان ولده (هذا نصرانيا اسلم على يد المكتفى بالله وكان احد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار اليه في علم المنطق وكان ابوه جعفر ممن لايفكر فيه ولا علم عنده مات في سنة عشرين وثلثمائة(١)) .

ثم يذكر معجم الادباء ان كنية جعفر بن قدامة هذا هي ابو القاسم كما انه يقول عنه جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب(٢) .

اما الخطيب البغدادي(٣) فيقول هو احد مشايخ الكتاب وعلمائهم وكان وافر الادب حسن المعرفة وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها وحدث عن ابي العيناء الضرير وحماد بن اسحاق الموصلي ومحمد بن مالك الخزاعي ونحوهم روى عنه ابو الفرج الاصبهاني .

اقول يظهر بجلاء هذا التفاوت بين اقوال مؤرخي الادب حول جعفر بن قدامة فمعجم الادباء قد قال كما ذكرنا بان جعفر ممن لايفكر فيه ولا علم

(١) معجم الادباء ج : ١٧ ص ١٢ و ١٣ بتصرف .
(٢) معجم الادباء ج : ٧ ص ١٧٧ .
(٣) الخطيب ج : ٧ ص ٢١٥ .

عنده والخطيب يقول عنه شهادته التي درجناها نقلا عنه . فهل هذا التبايـن حاصل من اختلاف في الاسماء او النقل عن السماع ؟ .

والذي اميل اليه اكثر ويكاد يوافق الحقيقة ان ماكتبه ياقوت في معجم الادباء فهو يناقض نفسه بنفسه اذ يقول : ونقلت من خط ابى سعيد معن بن خلف البستى مستوفى بيت الزرد والفرش السلطانى الملكنا هى بتولية نظام الملك قال : قال جعفر بن قدامه الكاتب .

اســـمع بالله يا ابـن الملـــك والنجـــدة منـى

يومنا في الحســن والبهجة قـــد جـــاز الثمنى

فزرنـــى نفســـك الحســـرة اولا فاســتزرلى(٤)

ثم يذكر الاستاذ كوركيس عواد بانه (كان وافر الادب حسن المعرفـة وله مصنفات في صنعة الكتابه وغيرها(٥)) .

ثم ان كتاب الديارات نفسـه للشابشتى يذكر الاماكن التي يرتاهـــا والجلساء الذين يلتقى معهم ويحادثهم . فيقول : وذكر ابن قدامة قال حضرت جنازة شاجى فلما انصرفنا دخلت مع عبيدالله مساعدا له ومؤنسا وهو مطرق ودموعه تجرى على خديه فلم ار باكيا احسن منه ، ثم رفع رأسه واقبـــل علينا فقـــال :

يمينـــا بانـــى لوبليـــت بفقدهـــا
وبـــى نبـــض عـــرق للحيـاة وللنكس

لا وشـــكت قتـــل النفس عنـد فراقهـا
ولكنهـــا مانـــت وقـد ذهبت نفســى

---

(٤) معجم آلادباء ج : ٧ ص ١٧٧ .
(٥) حاشية الديارات رقم (٤) ص ٧٢ .

من هو عبيدالله ومن هى شاجى :

لاجل ان نتوسع في قول صاحب الديارات نود ان نتكلم عن عبيدالله وشاجى اللذين وردا في الموضوع المؤيد لقيمة هذا الاديب الذى انكر عليه ياقوت بانه لا يفكر فيه ولا علم عنده .

ومحدثنا عن عبيدالله وشاجى هو الشابشتى في دياراته(٦) حيث يقول :

ولما خرج عبيدالله بن عبدالله بن طاهر من بغداد الى سر من رأى ، وكان المعتز استدعاه نزل هذا الدير(٧) فاقام به يومين واستطابه وشرب فيه ثم قال هذه الابيات :

ما ترى طيب وقتنا ياسعيد
زمن ضاحك وروض نضيد
ورياض كانهى يبردد
كل يوم لهن صبغ جديد
وكأن الشقيق فيها عشيق
وكأن البهار صب عميد
وكأن الغصون ميلا قدود
وكأن النوار فيها عقود
وكأن الثمر والورق الخضر
ثياب من تحتهن نهود
فاسقنيها راحا تريح من الهم
وتبدى سرورنا ونعيد

---

(٦) الديارات تحقيق كوركيس عواد ص ٧١ .
(٧) المقصود دير العذراى أنظر البحث عنه في كتابنا تاريخ سامراء قدما وحديثا كما وانظر كتاب الديارات للشابشتى تحقيق الاستاذ كوركيس عواد ص ٦٩ .

واحثت الكـــأس يـــا ســـعيد فقـد
حثـك نـــاى وحـــرك عـــــود

وافتـــرع عــذرة اللذاذات فــي ديـــر
العــــذارى فعلهـــا لا تعــــود

وعبيدالله من احسن الناس ادبا وشعرا وتصرفا في سائر العلوم مع كرم نفس وحسن خلق •

ولما وصل عبيدالله في سفرته المذكورة الى المعتز امره بالمقام عنده في ذلك اليوم فأقام • قال عبيدالله : فارسل المعتز الى شاربة ان تخرج فتعاللت عليه، فقال : عندى من يحب ان يسمعك واحب لك وله ذلك ، ولابد من حضورك • فخرجت فجلست خلف الستاره ، ثم قالت : لولا الزائر ماجئنا فأول صوت غنتــــه :

غشـــــيت النــــازل بالانعــــم
كمنعــــرج الوشــــم فــي المعصم

ثــم غنت بعـــده :

لقــــد راعنــــى للبين صـــوت حمامــة
علـى غصــن بــان جاوبتــه حمائــم

فقال لى المعتز : كيف تسمع به قلت ، اسمع شيئا حظ العجب منه اكثر من حد الطرب فاستحسن هذا الكلام من ثم اسمعنى زمرز نام الزامر وقـد ضعف وارعش وازمنه النقرس • وارانى الالة التي عملها احمد بن موســى المهندس من صغر يرسل فيها الماء فيسمع لها زمر السرناى • ثم ادخلنى الــى شبلك وأمر ان يجمع بين السبع والفيل ، فرأيتهما كيف يتواثبان • ثم قال لى : أذكر انى اريتك اربعة اشياء طريفه • قلت : نعم يا سيدى • قال ايها اظرف

عندك ؟ قلت : غناء شاريه . فقال لى : صدقت ! قال جحظه : دخلت على عبيدالله بن عبدالله بن طاهر يوما ، فجاءه مشيخه فأمرهم بالجلوس عن يمينه . وجاءه كهول ، فأمرهم بالجلوس عن شماله . ودخل احداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس . فسألته عنهم فقال هؤلاء بنى وأوصى الى الشيوخ وهؤلاء بنوهم وأوما الى الكهول وهؤلاء بنوهم وأوما الى الاحداث قات بنوك لام اولا مهات شتى ؟ قال ام جميعهم شاجى ، وانشد :

زرعت وشاجى بيتنا في شبيبتي
غراس الهوى فاعتم بالثمر العذب

فشاب بنو شاجى لظهرى وادركوا
وشاب بنوهم وهي مالكة قلبي

قال : وهي معى منذ سبعون سنة . وكان بعض المنجمين حكم بموته قبلها فماتت قبله ، فقال :

فيا عجبا منى وممن رعيته
بأوكد اسباب الهوى ورعانى

وكنت أرجى ان اكون فداءه
فلما أتى وقت الحمام فدانى

ويقول الاستاذ كوركيس عواد في حاشية الديارات(٨) انها كانت (اى شاجى) جارية لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر . وكانت احدى المحسنات المبرزات المتقدمات في الغناء . وفي نشوار المحاضرة قصة جرت لها وسائر اخبارها في الاغاني ونهاية الارب .

---

(٨) حاشية الديارات رقم (٣) ص ٧٣ .

جعفر بن قدامة يحدث عن اسحاق الموصلي :

ذكر معجم الادباء(٩) هذا الحديث بقوله : وقال جعفر بن قدامة : حدثنى علي بن يحى المنجم قال : سأل اسحاق الموصلى المأمون ان يكون دخوله اليه مع اهل العلم والادب والرواة ، لامع المغنين ، فاذا اراد الغناء غناه ، فأجابه الى ذلك ، ثم سأله بعد ذلك بمدة ، ان يكون دخوله مع الفقهاء ، فأذن له في ذلك ، فكان يدخل ويده في يد القضاة ، حتى يجلس بين يدى المأمون ، وسأل اسحاق المأمون ان يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة فضحك المأمون وقال : ولا كل هذا يا اسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة الف درهم وأمر له بها .

بـرد وغثاثـه :

قال ياقوت(١٠) : قرأت في كتاب المحاضرات لابى حيان قال : وقلت للعروض : اراك منخرطا في سلك بن قدامة ، ومنصبا اليه ، ومتوفرا عليه ، وكيف يتفق بينكما ، وكيف تأتلفان ولا تختلفان . فقال : اعلم أن الزمان وقت الاعتدال ، والرجل كما تعرف على غاية البرد والغثاثه وخساسة الطبع ، وانا كذا تعرفني وتشبتني ، فاعتدلنا الى ان يتغير الزمان ، ثم نفترق ونختلف ولا تتفق وانشأ يقول :

وصاحب اصبح من برده
كالماء في كانون او في شباط

ندمانه من ضيق اخلاقه
كأنهم في مثل سم الخياط

---

(٩) ج : ٦ ص ٩ .
(١٠) المصدر السابق ج : ٧ ص ١٨١ .

نادمته يوما فألفيته
متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد اوهمن انه
بعض التماثيل التي في البساط

« نماذج من شعره »

١ ــ تاه عقلى به وحق النبي

كيف يخفى وان أتانى نهارا
كسف الشمس بالجمال البهى
فكلا حالتيه يفضح سرى
وينادي بكل أمر خفى
بابى احسن الانام جميعا
تاه عقلى به وحق النبي(١١)

٢ ــ وفاء لصديق :

قال ابن بشران وفي سنة عشرة وثلاثمائه ، أخرج علي بن عيسى الوزير الى اليمن منفيا ، فقال ابو القاسم ، جعفر بن قدامة الكاتب في ذلك(١٢) .

اصبح الملك واهى الارجاء
وأمور الورى بغير استواء
منذ نادت نوى على بن عيسى
واستمرت به الى صنعاء

---

(١١) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٧٨ .
(١٢) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٧٩ .

فوحـــق الـــذي يميـــت ويحـــى
وهـــو الله مـــالك الاشـــياء

لقـــد اختبـــل بعـــده كـــل أمـــر
واســـتبانت كآبـــة الاعـــداء

ثـــم صـــاروا بعـــد العـــدادة والله جميعا في صورة الاولياء

يتألـــون كلهـــم فـــي علـــى
انـــه قـــد خـــلا مـــن النظـــراء

٣ ــ مـــاذا

ومن شعره ايضـا(١٣)

تســـمع (مـــت مثلك) بعـــض قولـــى
ولا تتســـللن منـــى لـــو اذا

اذا أشـــعرت بالهجـــران جســـمى
ومـــت بغصـــتى فيكـــون مـــاذا

٤ ــ ضيعت بعـــدك :

ولجعفر بن قدامه يمدح ابن الفرات(١٤) .

يا ابـــن الفرات وياكريـــم الخيـــم محمود الفعال .

ضـــيعت بعـــدك واطرحـــت وبان للنـــاس اختـــلالى
وتغـــيرت مـــذ غـــيرت
احـــوالك الايـــام حالـــى

---

(١٣) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٨٠ .
(١٤) معجم الادباء ج : ٧ ط الاخيرة ص ١٨٠ ــ ١٨١ .

لهفـــــا ابـــــا حســــــن علـــــى
ايامـــــك الغـــــر الخوالـــــى
لهفـــــا عليهـــــا انهـــــا
بليـــت باحـــــوال بوالـــــى

ملاحظـات لابـد منهـا :

ان من يقرأ ترجمة جعفر بن قدامة في معجم الادباء لياقوت الحموى يجد خلطا كثيرا في الموضـــوع •

فقد ورد في الجزء السابع ص ١٧٨ من المعجم ما يلي :

وقال ابو محمد عبيدالله بن ابى القاسم عبد المجيد بن بشران الاهوازى في تاريخه : مات ابو القاسم جعفر بن قدامه بن زياد يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخره سنة تسع عشرة وثلاثمائة ١ هـ وورد في المعجـم نفســه الجزء السابع عشر ص ١٢ و ٣ في ترجمة قدامة ابن جعفر بن قدامة الكاتب • ما يلـي •

مات في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة في ايام المطيع ، وانا لا اعتمد علــى ما تفرد به ابن الجوزى لانه عندى كثير التخليط ولكن آخر ما علمنا مـــن امر قدامة ان ابا حيان ذكر انه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة ابى سعيد السيدانى وفي المعظفى في سنة عشرين وثلاثمائه •

كما جاء في المعجم نفسه ص ١٣ و ١٤ ما يأتى :

ان قدامة بن جعفر كان كاتبا لبنى بويه وجهل في هـــذا القول فـــان قدامة كان اقدم عهدا • ادرك زمن ثعلب والمبرد وابى سعيد السكرى وابـــن قتيبه وطبقتهـــم •

فان ماجاء في الجزئين السابع والجزء السابع عشر يجد مقاربة في تأريخ

وفاة قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب وبين والده جعفر بن قدامة .

ولم ندر هل ان هذا التباين قد جاء من تشابه الابن بالجد ام هناك عدم تحقيق في هذا الموضوع ؟

اما الاستاذ كوركيس عواد(١٥) فانـه يذكر بانه (مات سنة ٣١٩ هـ (٩٣١) ويذكر بان ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب ومعجم الادباء والاغانى ونهاية الارب . ويلوح من تحديد سنة وفاته التي ذكرها انه قد اعتمد علـى رواية معجم الادباء كما ذكرناها اعلاه .

---

(١٥) حاشية الديارات رقم (٤) ص ٧٢ .

المحتـويات

	صفحة

ياتي هذا الكتاب الذي تعهدته مطبعة دار القادسية ضمن مجموعة من الدراسات للمرحوم الشاعر الاديب السيد عبد الرزاق شاكر البدري ، والذي اوصى بطبعها بعد وفاته ..

ان كتاب شعراء وأدباء العصر العباسي في القرن الثالث الهجري يتناول حياة وشعر والنشاط الادبي لمجموعة الشعراء الذين عاشوا ابان الخلافة العباسية في سامراء والتي استمرت لاكثر من نصف قرن (٢٢٢ ـ ٢٧٤ هجرية) او للشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في عاصمة الدولة العربية الاسلامية خلال القرن الثالث الهجري ، وهم شعراء وأدباء بعضهم معروف للعامة والخاصة وبعضهم لايعرف به الا القليل ...

واخيرا لابد من الاشارة الى ان المؤلف قد صدرت له دراسات اخرى عديدة منها :ـ

١ ـ سيرة الامام العاشر ـ علي الهادي ـ دار القادسية
٢ ـ نساء من بلادي : الاتحاد العام لنساء العراق

وفي تراثه العديد من الدراسات منها :ـ

١ ـ القرامطة في التاريخ
٢ ـ سامراء قديما وحديثا
٣ ـ من نوادر الادب واللغة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢٧٥ لسنة ١٩٨٦
مطبعة دار القادسية / بغداد